الثقافة الجديدة



238





مجلة شهرية يصدرها الحزب الشيوعي العراقي

238

العدد 12 السنة 38 تشرين الاول 1991

فهرست

■ موقفنا:

■ نحو المؤتمر الخامس لحزبنا ـ آراء ومناقشات.

■ ادب وفن

■ كتب جديدة

■ وثائق

■ العراق في الصحافة

■ مقتطفات ومعالجات

بلاغ عن اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي

عقدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي اجتماعاً اعتيادياً أواسط ايلول ١٩٩١ في محافظة اربيل، افتتحه بالوقوف دقيقة اجلال واحترام لشهداء الحزب والحركة الوطنية وانتفاضة آذار المجيدة، وتدارست فيه الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي المتأزم في البلاد، في ضوء مشروع بيان اللجنة المركزية وتقرير المكتب السياسي بهذا الشأن.

وتناول الاجتماع بالتحليل العميق نتائج المغامرة الانتحارية التي لجأت اليها الدكتاتورية الحاكمة لمعالجة أزمة البلاد التي يستحيل حلها في ظل الدكتاتورية.

ويحث الاجتماع الانتفاضة الشاملة لشعبنا، هذا الحدث المجيد في تاريخنا المعاصر، والذي زعزع أسس الدكتاتورية وحطم العديد من مؤسساتها وأوكارها خلال ساعات معدودات. وحلل الاجتماع أسباب الانتفاضة وتطوراتها وأسباب انتكاستها وكوامن انفجارها من جديد، وفنّد كل المزاعم والافتراءات التي حاولت النيل منها واتهامها بالطائفية والقومية الضيقة.

وأعار الاجتماع اهتماماً خاصاً باوضاع الجماهير ومعاناتها المعاشية والاجتماعية، وتوقف عند ظاهرة التوتر المتزايد وتحشيدات السلطة العسكرية والاصطدامات المسلحة في منطقة كردستان، وتهديد السلطة بشن الهجوم على مناطق الاهوار حيث يلتجيء عشرات الالوف من مواطني الوسط والجنوب.

كما احتلت القضية الكردية جانباً مهماً من أعمال الاجتماع، حيث شخّص التقدم الكبير الذي حققته بفضل النضال المفعم بالتضحيات للشعب الكردي خصوصاً والشعب العراقي عموماً، وجدد موقف الحزب المبدئي من الاعتراف بحق الشعب الكردي في تقرير مصيره بنفسه، والحل الآني لقضيته على أساس الحكم الذاتي الحقيقي وتطويره وفق الظرف الملموس لنضال الشعب العراقي بقوميتيه الرئيسيتين واقلياته القومية من أجل الاطاحة بالدكتاتورية واقامة البديل الديمقراطي، انطلاقاً من أن الديمقراطية في العراق كله والحقوق القومية العادلة للشعب الكردي متلازمان ولا يمكن تحقيق احدهما دون الآخر

مادام الشعبان العربي والكردي يتعايشان في دولة واحدة. وبالارتباط مع ذلك أكدت اللجنة المركزية موقف الحزب المتحفظ من المفاوضات بين الجبهة الكردستانية والدكتاتورية المتزعزعة.

وفي الوقت الذي عبّرت فيه اللجنة المركزية عن حرصها على الجبهة الكردستانية العراقية وأهمية دورها أكدت ضرورة التمسك بسياسة التحالف في إطار لجنة العمل المشترك وتوسيعه ليشمل قوى تعارض الحكم القائم وتعمل على الاطاحة به وعلى اقامة نظام ديمقراطي تعددي ينبثق عن إرادة الشعب المعبر عنها بانتخابات حرة مباشرة، تصون الاستقلال والسيادة الوطنية.

ورأى الاجتماع ان من واجبه ان يدعو كل قوى المعارضة للتحلي بأقصى اليقظة والمرونة والمسؤولية وذلك من أجل احباط المحاولات لشق صفوفها واثارة الخلافات والنعرات الطائفية والدينية والقومية والسياسية، وبالتالي الاصطدام بين اطرافها.

ووجدت اللجنة المركزية ان تطور الوضع في العراق وآفاقه عزز وأكد تشخيص أوليات مهام الحزب التي يأتي في مقدمتها اعادة بناء تنظيماته في المدن والريف حيث تتطلع الجماهير اليه لقيادة نضالها في هذا الظرف العصيب الذي يمر فيه شعبنا، ودعت اللجنة المركزية جماهير شعبنا لتعبئة نفسها وتنظيم نضالاتها المطلبية. كما اهابت بمنتسبي الجيش، وناشدته الوقوف إلى جانب الشعب ونضاله.

كذلك درس الاجتماع الوضع الراهن في الشرق الأوسط والمنطقة العربية بعد غزو الكويت وما نجم عنه من تعزيز الهيمنة العسكرية والاقتصادية والسياسية للامبريالية العالمية بزعامة الولايات المتحدة الامريكية، والاخلال بموازين القوى في المنطقة لغير صالح الشعوب العربية، والاضرار الفادح بقضية الشعب العربي الفلسطيني.

واستعرض الاجتماع التغييرات الهائلة في الوضع الدولي وانهيار المعسكر الاشتراكي في بلدان اوربا الشرقية والاتحاد السوفييتي وانتكاسة الحركة الشيوعية العالمية، وتوصل إلى عدد من الاستنتاجات الاولية بشأنها.

وواصل اجتماع اللجنة المركزية اعماله بالمناقشة المستفيضة واتخاذ القرار المناسب لعقد المؤتمر الوطني الخامس للحزب واقرار مشروعي وثيقتي البرنامج والنظام الداخلي الجديدين للحزب في ضوء الحاجة الموضوعية إلى تجديده فكرياً وسياسياً وتنظيمياً، وتوزيعها على المنظمات الحزبية لدراستها وتقديم التعديلات.

واختتم الاجتماع أعماله بتجديد انتخاب الرفيق عزيز محمد سكرتيراً عاماً للجنة المركزية، كما انتخب أعضاء المكتب السياسي.

اواسط ايلول

١٩٩١



ملاحظات أولية :

مهماتنا ودورنا في إطار الثورة الوطنية الديمقراطية وآفاق البديل الاشتراكي

فالح عبد الجبار

* مدخل عام :

ينطلق البرنامج المطلوب لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية (ث. و. د) من فهم أوسع لطبيعة هذه المرحلة وتناقضاتها، ويتضمن بالتالي المهمات الرئيسية المطروحة فيها، وعلى فهم أدق لطبيعة الارتباط بينها وبين الأفق الاشتراكي، الذي يقتضي، في إطار الخبرة الراهنة العملية والنظرية، شروطاً عالمية ومحلية محددة ينبغي تعيينها.

وان أول معلم في البرنامج هو فك التداخل القديم بين مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية والافق الاشتراكي، وفهماً أوسع ولواضح لطبيعة مرحلة (ث. و. د) في الظرف الراهن (بالتحديد الطابع المميز للرأسمالية وآفاق تطورها محلياً، وإطارها العالمي الجديد الخ، ونمط تفاعل الاثنين، الخ). وفهماً تجديدياً لطبيعة البديل الاشتراكي عالمياً ومحلياً.

هذا الفهم الجديد والترابط الجديد يتضمنان في ثناياهما تحديد المهام.

وكمدخل عام، ينبغي ان ينطلق البرنامج من استيعاب مفهوم التشكيلات الاجتماعية ـ الاقتصادية الماركسي، الذي يرتكز على ان تشكيلة ما لا تغادر المسرح إلا بعد ان تستنفد امكانات تطورها، وان ثمة شروطاً موضوعية وذاتية لازمة للانتقال منها إلى تشكيلة أرقى، سواء بثورة اجتماعية عنيفة أو سلمية تبعاً للوضع الملموس، وان ثمة حاملاً

اجتماعياً لعملية التطور هذه يتمثل في طبقة أو طبقات وفئات اجتماعية محددة، وان عملية التطور هذه شمولية، عالمية، وان كانت تجرى في إطارات جزئية (بلدان محددة) لكل منها ظروفه المميزة.

* ثورة التحرر الوطني والثورة الوطنية الديمقراطية:

مرت بلداننا العربية، ومنها العراق، بطورين يتسمان بعناصر مشتركة. الطور الأول هو طور الثورة الوطنية التحررية الرامية إلى تحقيق الاستقلال من نير الاحتلال الكولونيالي، الذي تعرضت له بلداننا، على أيدي الرأسماليين الكولونياليين.

وقد رفع راية النضال الوطني التحرري الفلاحون والحرفيون وشيوخ العشائر وتجار المدن، وهي القوى الاجتماعية المميزة لمجتمع تقليدي، ما قبل رأسمالي.

وتكلل هذا النضال في العراق بثورة العشرين، التي أفضت إلى اقامة الدولة العراقية المعاصرة (الحكم الأهلي). وهو نظام حكم سياسي يرتكز على تحالف الاقطاع والبرجوازية الكومبرادورية (الوسيط التجاري مع المتروبولات)، والتبعية الكولونيالية.

وطرح مستوى التطور الاجتماعي ـ الاقتصادي ما قبل الرأسمالي، بطابعه شبه الاقطاعي شبه الكولونيالي، طرح على جدول العمل التاريخي مهمات جديدة هي مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية، التي لخصها باني الحزب الرفيق فهد في:

١ ـ الديمقراطية السياسية.

٢ ـ تفكيك العلاقات شبه الاقطاعية والقبلية في الريف.

٣ ـ فك التبعية الكولونيالية الاقتصادية والعسكرية (ازالة القواعد العسكرية والمعاهدات وتحرير الثروة الوطنية).

٤ ـ تصنيع البلاد (مع تركيز خاص على الصناعات الثقيلة) (انظر كتابات ر. فهد ـ طبعة ١٩٧٦ ـ قضيتنا الوطنية ص ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١٠، ١١١، كذلك الميثاق الوطني ص ١٣٣ ـ ١٣٧).

٥ ـ مساواة حقيقية في الحقوق القومية للاكراد والجماعات القومية الصغيرة.

٦ ـ اقامة اتحاد عربي يرتكز على التعاون الاقتصادي والصناعي والزراعي والديمقراطية.

٧ ـ انتهاج سياسة خارجية وطنية.

لقد صيغ هذا البرنامج في أوائل الاربعينات، أيام هيمنة النظام الكولونيالي عالميا، واندلاع الصراع عالمياً ضد الوحش الفاشي والنازي والعسكرية اليابانية، من جانب دول

التحالف الديمقراطي. وهي أيضاً فترة التطور الرأسمالي الدخيل (الكولونيالي) ونشوء الطبقة العاملة العراقية، ونمو البرجوازية الوطنية في إطار ضيق، أي، آخر المطاف، في مجتمع آخذ بالخروج من أسر المجتمع التقليدي السابق.

يعكس هذا البرنامج مهمات مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية في فترة محددة من التطور. وهو برنامج تطور رأسمالي وطني من الألف إلى الياء في المدينة (التصنيع) والريف (توزيع الاراضي على الفلاحين)، في إطار ديمقراطية سياسية (برلمان، احزاب، انتخابات، حرية صحف، حرية نقابات، الخ).

وفي إطار هذا البرنامج الديمقراطي، البرجوازي في جوهره بحكم طبيعة التطور، لم يغفل البرنامج هذه المرحلة كطور ضروري موضوعياً لكنس البقايا ما قبل الرأسمالية، وتطوير البلاد ارتباطاً بالافق الاشتراكي، رغم ان هذا الافق لم يكن مطروحا مباشرة في المهام البرنامجية، بل مطروحاً في النظام الداخلي وفي كتابات أخرى، كأفقٍ عامٍ يناضل في سبيله كل حزب شيوعي.

ورغم الطابع البرجوازي للمرحلة لم يغفل البرنامج دور العمال المتميز في هذا الطور المتناقض التناحري ومصلحتهم في تطوره من جهة، وفي مكافحة ميوله المعادية لمصالحهم الآنية والمقبلة من جهة أخرى: «كافحوا ضد التدخل الاجنبي الذي يعرقل صناعتنا الوطنية. كافحوا في سبيل حماية الصناعة الوطنية. كافحوا في سبيل نقابات قوية وكافحوا في سبيل ضمان اجتماعي، كافحوا ضد العمل الاضافي واسلوب العمل بالقطعة». (فهد - ص ٢١٦).

ان لب البرنامج سياسياً هو الديمقراطية السياسية، ولب البرنامج اجتماعياً هو التصنيع والاصلاح الزراعي (تطوير القوى المنتجة)، ولب البرنامج وطنيا هو فك التبعية الكولونيالية اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً.

وناصل الحزب لتنظيم وجمع القوى الطبقية ذات المصلحة في تحقيق هذه المهام: الطبقة العاملة الفتية، الفلاحون، الحرفيون، المثقفون، البرجوازية الصغيرة، البرجوازية الوطنية.

وساهم الحزب في النضال الوطني الديمقراطي بمختلف الأشكال والوسائل.

وبالطبع فان عدداً من المهام قد تحقق في مجرى التطور المتعرج خلال نصف القرن الذي مضى منذ ذلك الحين.

ومنذ ذلك الحين قطع التطور الرأسمالي أشواطا غير قليلة، رغم انه ما يزال متدنيا بالمقياس العالمي.

وقد لعبت الدولة، دور الحامل الرئيسي لهذا التطور، بحكم الضعف البنيوي

للرأسمالية العراقية من جانب، وتوفر الثروة النفطية التي تؤمن للدولة ريوعاً رأسمالية ضخمة تتيح لها القيام بدور المالك المنتج أو الرأسمالي الجماعي.

ان العقود الثلاثة الاخيرة من مسار الثورة الوطنية الديمقراطية (أي منذ ثورة تموز ٥٨) شهدت، بفضل الصراع الطبقي والوطني الذي أسهمت الطبقة العاملة بقسط كبير فيه، تحقق عدد من المهام التاريخية للمرحلة رغم تعرج المسار العام للحركة، بتأثير الطابع الداخلي لاصطفاف القوى من جانب، والظروف العالمية للصراع بين البلدان المتحررة والامبريالية العالمية (الانتصار الديمقراطي على التحالف الفاشي ـ النازي ـ العسكري الياباني، نشوء «الديمقراطيات الشعبية» في اوربا الشرقية، الحرب الباردة والمجابهة، الاستقطاب الثنائي العالمي، تحرر بلدان تابعة عديدة، وصول احزاب الطبقة العاملة للسلطة في عدد من بلدان حركة التحرر ـ الصين، فيتنام، كوريا، كوبا، الخ).

ان المهام الأساسية للمرحلة ١ ـ الديمقراطية السياسية، ٢ ـ الاصلاح الزراعي، ٣ ـ التصنيع، ٤ ـ فك الارتباط الكولونيالي، لم تتحقق بكامل امتلائها.

أولاً: فالديمقراطية كبنية سياسية، كنظام للعلاقات بين الطبقات، وبين الدولة والمجتمع المدني، ما تزال مغيّبة، منذ تموز ٥٨، حتى اليوم، في ظل دكتاتورية عسكرية، فدكتاتورية الحزب الواحد (الاتحاد الاشتراكي) ثم الحزب القائد الواحد (الحالي) الذي يحتكر حق الحياة السياسية والفكرية الخ، في الدولة والمجتمع.

ان هذه المهمة الأساسية من مهام الثورة الوطنية الديمقراطية، ما تزال تحتفظ باهميتها الحاسمة، بل انها تمثل مركز الثقل في النضال (هذه المهمة مسجلة كمهمة رقم واحد في برنامج الرفيق فهد).

انها لمفارقة ان الحقبة شبه الكولونيالية اتسمت، بوجود بنى برلمانية (وان تكن هزيلة ومحدودة)، وبوجود قدر من الاعراف القانونية والدستورية، بل ان برنامج الحزب لعام ١٩٤٣ يطالب بـ «الالتزام بالدستور» و «التقيّد به».

أما الحقبة الراهنة من تطور الرأسمالية، فانها تشهد الغياب التام لهذه الحياة الديمقراطية حتى في حدودها الدنيا.

ان نشوء هذا الشكل السياسي الاستبدادي المميّز (الواحدي) على مدى ٣٠ عاماً يرجع إلى الطابع المميز لدور الدولة في التطور الرأسمالي، أي قيامها بدور المالك المنتج، والسطوة الهائلة التي اكتسبتها الدولة التي تهيمن عليها البرجوازية البيروقراطية من جراء هذا الدور المدعم بريوع نفطية عملاقة.

ان كسر التوازن يمكن ان يتحقق بفعل حركة شعبية واسعة، والأساس الموضوعي لذلك هو حركة تمركز السكان في المدن، وتفجر التناقضات الملازمة لنمط الانتاج

الرأسمالي الخاص هذا بطابعه الطفيلي والتابع والاستبدادي.

ثانياً: رغم ان الاصلاحات الزراعية كنست علاقات المحاصصة شبه الاقطاعية (جوهر مهمات المرحلة) إلا ان بقايا هذه العلاقات ما تزال ماثلة، من جانب، وان تطور الرأسمالية في الريف يولد تمايزات وتناقضات جديدة (نهب اراضي الفلاحين، الاستغلال البشع لفقراء الفلاحين والعمال الزراعيين، تدهور الانتاج الزراعي، الاستغلال الاجنبي لقوة العمل الزراعية... الخ) ويطرح مستويين من المهمات:

أ ـ تطوير القوى المنتجة في الريف على أساس برجوازي (ملكية صغيرة وملكية رأسمالية) (المكننة، المجمعات).

ب ـ حماية العمال الزراعيين من النتائج الاجتماعية ـ الاقتصادية للاستغلال الرأسمالي.

ج ـ تدعيم نزعات التعاون الطوعي الانتاجي لفقراء وصغار الفلاحين كسبيل وحيد للجم الميول التدميرية لنمط الانتاج الرأسمالي عليهم (بما يعنيه ذلك من الحماية من نهب الأراضي، ومن الفقر والهجرة للمدن).

د ـ تشجيع الاستثمارات الكبيرة (الحكومية، الخاصة، المختلطة، وفي حدود معينة الاستثمارات الأجنبية).

ثالثاً: التصنيع (أو تطوير القوى المنتجة) المهمات ما تزال وستظل راهنة ويستجد فيها تفرعات جديدة:

أ ـ الرأسمالية عندنا ما تزال بمستوى ضعيف اقتصادياً وتكنولوجياً اذا قيست بالمستوى العالمي.

ب ـ تطورها القطاعي مختل وتحتاج إلى تكامل قطاعي يبين انتاج وسائل الانتاج وانتاج وسائل استهلاك وخدمات وصناعة عسكرية.

ان القطاع الأول ما يزال ضعيفاً، والقطاع الثاني ضعيف نسبياً، والقطاع الثالث نما على حساب الآخرين.

ج ـ القطاع الخامس (غير المنظور) و(اتحدث عنه مجازاً) هو النشاطات غير المنتجة وغير الضرورية للانتاج (المضاربات، والمقاولات الوسيطة) التي تدخل بمثابة طفيلي لا يولّد فائضاً ولا يساعد على توليد فائض بل يسهم في نقل جزء من الفائض من جناح إلى جناح آخر من الرأسمالية).

د ـ ينبغي دعم كل النشاطات المنتجة أو غير المنتجة ولكن الضرورية للانتاج بوجه النشاطات الطفيلية. وهذا يفتح ملف تحالفات اجتماعية (ولربما سياسية) جديدة وعلى مدى فترة تاريخية مديدة يجب النص عليها بوضوح.

هـ ـ توجيه النشاطات الرأسمالية وجهة منتجة باستخدام آليات اقتصادية، الضرائب الحوافز، المشاركة، التمويل، الخ، وتطمين الرأسمال بالتعويض في حالة التأميم.

و ـ أشكال الرأسمالية:

١ ـ الدولة (قطاع الدولة) رأسمالية الدولة.

٢ ـ الرأسمال الخاص الكبير.

٣ ـ الرأسمال الخاص المتوسط والصغير.

٤ ـ الرأسمال المختلط (دولتي ـ خاص).

ان حركة نمط الانتاج الرأسمالي تفترض، بفعل قانون القيمة، وآليات التركّز والتمركز، انهيار الرأسمال الصغير والمتوسط لصالح الكبير، ولعبت السياسات الاقتصادية للنظام الحالي دورها تدعيم هذا الميل وليس لجمه.

وعلينا طرح بديل انساني ممكن في حدود الرأسمالية ذاتها.

ان نمو الانتاجية، وارتفاع التركيب العضوي، ميل ضروري لاستمرار الرأسمال كقيمة تنمّي نفسها بنفسها. وهذا الميل تقدمي صاعد (تطوير القوى المنتجة) ولكنه متناقض ومدمّر للمنتجين الصغار والمتوسطين، الذين يمكن تطوير انتاجهم بدعم الدولة بدل تركهم للهلاك لو فعلت قوانين السوق فعلها الحر. كما يجب البحث عن التناسب المعقول بين رأسمالية الدولة والرأسمال الخاص، الكبير والمتوسط، هذا التناسب الذي يمكن ان يتحدد في كل فترة حسب الظروف.

الخلاصة:

١ ـ تطوير القوى المنتجة، ٢ ـ خلق تناسب قطاعي، ٣ ـ دعم النشاطات المنتجة ومناهضة النشاطات الطفيلية بالآليات الاقتصادية، ٤ ـ تناسب معين بين أشكال الرأسمالية (الدولتي والخاص)، ٥ ـ لجم ميول تدمير صغار ومتوسطي المنتجين بالحدود الممكنة لنمط الانتاج الرأسمالي، ٦ ـ قيام الدولة بدور المنتج + المحفّز + الضامن للتطور الرأسمالي وقيامها بدور اللاّجم لميوله المعادية للمجتمع والبيئة.

رابعاً: فك التبعية

اذا كانت التبعية الكولونيالية مباشرة (شركات نفط) واذا كانت المهمات المطروحة منذ الاربعينات (برنامج الرفيق فهد) قد تحققت بالخروج من منطقه (الاسترليني) والخروج

من حلف بغداد، وطرد القواعد العسكرية والغاء المعاهدات الاجنبية، ثم تأميم النفط، الخ فان تبعية جديدة، ذات طابع بنيوي تتبلور وتتعمق منذ عقود.

وتمد علاقات التبعية اخطبوطها ليشمل قطاع الدولة (العقود الحكومية) والقطاع الخاص والمختلط (العلاقات المباشرة)، ويشمل سائر قطاعات الانتاج: الصناعة، الانتاج العسكري، الزراعة، النقل، المقاولات، الخ.

- التعامل مع السوق العالمي كسوق رأسمالي منقسم إلى كتل. أساس التعامل أ - تطوير الانتاج، ب - تبادل متكافيء، ج - صيانة الاستقلالية الوطنية.. الخ.

خامساً: الوحدة العربية

١ - السوق العربية المشتركة - حرية حركة رؤوس المال، والسلع، والعمل، أي رفع الحواجز الجمركية.

٢ - الديمقراطية السياسية.

الاشتراكية:

المفروض التخلي عن الصياغة السابقة واحلال الصياغة التالية لمفهوم الثورة الاشتراكية.

(ان الاشتراكية تشكل نفيا للرأسمالية ينضج بفعل تطور القوى المنتجة تطورا هائلاً بخلق وفرة هائلة في الثروة الاجتماعية ويضفي عليها الطابع الاجتماعي، ويستدعي (بثورة اجتماعية، عنفية أو سلمية) نقل الهيمنة عليها وادارتها إلى يد المنتجين المشاركين الاحرار. وتلعب الطبقة العاملة والمنتجون الفكريون وسائر الفئات الاجتماعية (المتغيرة) التي تجد مصلحة لها في بسط الرقابة الاجتماعية على الانتاج والتداول المادي، تلعب هذه القوى جميعاً دور الحامل المادي الاجتماعي لهذه العملية).

ان بلدنا بعيد عن هذه التخوم التاريخية. وان العالم نفسه ينضج تدريجياً وان العملية عالمية وليست جزئية. ان طريقنا في العالم العربي إلى الأفق الاشتراكي، يمر محلياً بتطوير القوى المنتجة الذي يجري حتى الآن وسيجري لافق طويل، على أساس رأسمالي. ويمر هذا الطريق شمولياً (أي عالمياً) بنضج وتبلور الاشتراكية عالمياً في الكتلة المقررة للتاريخ العالمي من الدول المتطورة.

ان هذا الاستنتاج مبني على أساس فرضية ماركس العلمية في صورتها النقية.

وتجربة الاتحاد السوفييتي وبلدان اوربا الشرقية تبين ان ثورات سياسية عمالية نجحت في الامساك بزمام السلطة في بلدان ضعيفة التطور، واضطرت بالتالي إلى العمل حثيثاً على تطوير قواها المنتجة تعويضاً عما لم تنجزه الرأسمالية. فتلك ضرورة موضوعية لا يمكن تجاوزها. لقد طوّرت هذه البلدان في مجرى ذلك التخطيط والمركزة، وطورت الصناعة، وطبقت العديد من القيم الانسانية كوجهة اجتماعية للانتاج (حق العمل، انعدام البطالة، التعليم المجاني، الضمان الاجتماعي، الخ) وحققت ذلك رغم ظروف الحصار الاقتصادي السياسي الامبريالي ورغم ضعف مستوى تطور هذه البلدان واضطرارها إلى تخصيص جزء كبير من الانتاج لشؤون الدفاع، الأمر الذي لم يسمح لها بتلبية واشباع الحاجات المادية لسائر أفراد المجتمع.

ان قيام الدولة بدور أساسي في عملية المركزة بوصفها المالك والمنتج (والذي أدى عملياً إلى القضاء على الملكية الخاصة الرأسمالية، بخلاف دور الدولة في بلداننا، ومنها العراق، حيث أدى ذلك إلى إنماء الرأسمال الخاص) أفضى إلى نشوء بنية سياسية واحدية الحزب بعيداً عن الصورة الماركسية أو اللينينية للدولة العمالية. كما جرى بشكل مفتعل الغاء العلاقات السلعية ـ النقدية قبل نضج المقدمات الموضوعية للنفي) وجرى الالغاء القسري لاشكال خاصة من الانتاج الفردي (الصغير) والرأسمالي دون ان يستنفد هذا الشكل دوره الخ، وجرى فرض النموذج على سائر البلدان دون اعتبار لاختلاف ظروفها.

ان أزمة نموذج التطور افقدته شعبيته، وجاءت محاولات التجديد في ظروف فقد فيها النموذج سند شعبي حقيقي، بل دون سند عمالي في بعض الاحيان.

ان فقدان التفويض الشعبي يرجع إلى فشل النموذج القديم في خلق وفرة اقتصادية وتوفير حريات ديمقراطية، ليس فقط في المجتمع بل وداخل الاحزاب الحاكمة.

نظرة في اسلوب التحالفات السياسية

د. عبد الرؤوف حسين علوان

تمهيد:

يندر ان يغفل الخطاب السياسي لأي حزب سياسي أو حركة تقدمية وديمقراطية الأهمية الكبيرة لقضية التحالفات، باعتبارها: «أحد الشروط الأساسية لنجاح النضال المعادي للامبريالية والرجعية المحلية، ومن أجل الاستقلال الوطني والتطور اللاحق في طريق التقدم الاجتماعي»[1]. والملاحظ ان الاحزاب والقوى والشخصيات الوطنية تعبر عن ادراكها للحاجة إلى هذا التلاحم، اذ تطالب باقامة الجبهة العريضة...»[2].

والحزب الشيوعي العراقي، متمسك بمبدأ التحالف مع الاحزاب الوطنية وكرس جهداً كبيراً لتحقيق أشكال متنوعة من التحالفات في مسيرته الكفاحية[3]، وامتلك تجربة ثرة تسمح، بالنظر اليها نظرة تقييمية، سواء كل تحالف على انفراد (في فترة محددة) أو ككل، وذلك في زمن يندفع فيه العالم كله لتدقيق منطلقاته القديمة تحت تأثير البريسترويكا.

ولكن هل يمكن التصدي لمثل هكذا مهمة، بأخذ مفهوم التحالفات بذاته ومعالجته، على نحو يجعل من هذا الاسلوب السياسي ذا فائدة حقيقية وفعلية لعموم القوى المتحالفة باتجاه تحقيق اهدافها الملموسة، دون المرور على الخلفيات الفكرية والايديولوجية والسياسية للتعامل في إطاره؟

يبدو، ان من الغافل الاجابة بالسلب على ذلك. فهنا يترتب على البحث فحص كتلة

غير قليلة من الاعتبارات والمنطلقات والمفاهيم الايديولوجية والسياسية، وبالتالي استخلاص المفيد منها من أجل وضعه في العملية السياسية لاحراز نجاحات ملموسة ذات أهمية لمجموع القوى المتحالفة.

ولكن البحث الذي نحن بصدده لا يدعي انه قادر على انجاز كل ذلك. فهو يهدف إلى معالجة ماله صلة بالتحالفات، تاركاً تلك الموضوعات العقدية الفكرية والايديولوجية ذات الصلة بالمنهج على أمل معالجتها كموضوعات مستقلة.

١ ـ الايديولوجيا ونمطية التفكير القديم:

ان التحديد الانطولوجي الذي صاغه ف. انجلس في مؤلفه: «لودفيغ فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية» عن علاقة المادة/ الروح، واسبقية المادة على الروح كان الأساس النظري الذي طبع الماركسية ـ اللينينية طيلة الفترة الماضية. فالعلاقة بين الموضوع والذات، ومحاولات ايجاد علاقات متبادلة ديالكتيكية بينهما، سرت ثنائياتها إلى كل المجالات الاجتماعية والسياسية والثقافية، الأمر الذي يعني ان المنطلق النظري اتخذ منحى ايديولوجياً، بغض النظر عن الدوافع التي حدت بانجلس إلى التأكيد على ذلك التحديد الانطولوجي.

وقد تكرس ذلك بفكرة ادخال الديالكتيك في المجال التاريخي. اذ اصبحت القوانين الديالكتيكية هي القوانين في المجتمع والسياسة ايضاً. . بمعنى، ان القوانين الديالكتيكية المعروفة سلفاً اصبحت منطلقات أولية، مسبقة، لبحث أية ظاهرة اجتماعية، واقتصادية، وسياسية، وثقافية. ولهذا اجتزىء الكل في أقطاب لا يمكن التوفيق بينها: فالمجتمع قطبان، والسياسة الدولية عالمان، والثقافة ثقافتان (المقصود هنا، الاستخدام السياسي لمفهوم الثقافة، والذي يجزئه إلى: ثقافة تقدمية وأخرى رجعية) وهكذا كانت الحصيلة من كل ذلك وضع أسس مكينة للدوغمائية، التي تركت تأثيراتها الفعالة على فهم العمليات الاجتماعية والسياسية والثقافية، . . .

بيد ان الظاهرة، وفي أي مجال، لا يمكن فهمها على أساس من قوانين وقواعد معروفة سلفاً. اذ لو صح ذلك لما كانت ثمة قيمة لأية دراسة توصف بانها علمية.

ان الظاهرة تبرز تحت تأثير قوانينها الخاصة، وعلى العلم اكتشاف تلك القوانين. أما القوانين الديالكتيكية فانها ممكنة التحقق في الاتجاه العام. ومن هنا، فان من غير الضروري استخدام قوانين الديالكتيك العامة كمدخل لدراسة الظاهرات التي تبرز في المجالات المختلفة.

وتأسيساً على ذلك، فان بحث الظاهرات الاجتماعية والسياسية، . . . لابد وان يمتلك مدخله الخاص، دون التقيد بأية قنونات مصاغة سلفاً تمليها التصورات عن كيفية تقدم المجتمع، أو السياسات المتوجب اتباعها لتحقيق مثل هذا التقدم.

ونعتقد ان منطلقاً كهذا سيكون مفيداً في بحث التحالفات السياسية.

٢ ـ التحديدات الكلاسيكية لمفهوم السياسة:

ثمة ثلاثة تحديدات يطرحها لينين في كتاباته عن مفهوم السياسة.

الأول ـ «السياسة فن الممكنات».

ان التمعن في هذا التحديد لمفهوم السياسة، يبين ان «الممكن» ليس له «فن». فـ«الممكن»، أو«الممكنات»، باعتبارها وقائع ملموسة، قابلة للاستخدام أو التوظيف، والخ . . . ولهذا فان الفن ليس لـ «الممكن»، بل لاستخدامه. وعليه، فان السياسة ليست فن الممكنات، بل هي فن استخدام الممكنات.

وان استخدام الممكنات ومحاولة توظيفها، سياسياً، باتجاه معين، لاهداف وغايات سياسية معينة، لا يعني غير المناورة. وبالتالي فان السياسة ليست إلا فن المناورة.

والثاني، ـ «السياسة تعبير مكثف عن الاقتصاد».

هذا التحديد، على ما يبدو، تمليه المنطلقات الايدولوجية. فدلالاته ترمي إلى تأكيد العلاقة بين البنية التحتية والبنية الفوقية، والذي هو أحد الموضوعات الهامة في المادية التاريخية، على الرغم من ان الاقتصاد لا يعني البنية التحتية. وحقيقة، فان لينين كان يؤكد في كتاباته على ان السياسة السوفيتية تمليها اعتبارات «نمط الانتاج الاشتراكي» في حينه. فدكتاتورية البروليتاريا، مثلاً، أو التأكيد على الثنائية القطبية للعالم في مجال العلاقات الدولية، هي من متطلبات الدفاع عن «نمط الانتاج الاشتراكي» في الاتحاد السوفييتي آنذاك.

ولكن دراسة مسألة العلاقة بين السياسة والاقتصاد ليست من مهمة هذا البحث، كما وان دراسة قضية التحالفات بعيدة، على وجه العموم، عن هذه العلاقة بين السياسة والاقتصاد.

والثالث، ـ يشير لينين في بعض كتاباته إلى ان السياسة هي العلاقة بين الطبقات الاجتماعية، وبينها مجتمعة مع الدولة.

ان هذا التحديد يأخذ منحى سوسيولوجياً لتأكيد موضوعة (يقال في بعض الكتابات المدرسية «نظرية») الطبقات والصراع الطبقي، وهي موضوعة حيوية أخرى في مجال

المادية التاريخية، وذات أهمية ايديولوجية.

ولكن مسألة التحالفات تفترض لا العلاقات الطبقية مع الدولة، وانما العلاقات السياسية، بمعنى آخر، ان التحالف يفترض احزاباً سياسية، وحركات، ومنظمات، الخ . . . موجودة واقعياً، وفحص علاقاتها مع بعضها ومع الدولة. وهو الأمر الذي يعيدنا إلى امتلاك فن المناورة باعتباره سياسة.

أما عما هو ضروري للمناورة السياسية كفن، فيمكن وضع الاعتبارات والمنطلقات التالية:

١ ـ المرونة السياسية:

ان التفكير السياسي الذي يحاول موضعةَ منظوره الايديولوجي في الحياة السياسية مباشرة، دون الأخذ بالاعتبار الوقائع الملموسة، سواء الاجتماعية أو السياسية، لابد وان ينقاد نحو واقع التزمت السياسي، الذي يجد تجلياته، في أغلب الأحيان، في مظهر التطرف. وغني عن البيان، ان التطرف يقود نحو العنف.

وان تفكيراً سياسياً من هذا النوع يمكن تلمسه في الخطاب السياسي لاحزاب، وحركات، والخ. . . تتبنى ما يسمى بـ «السياسة المبدأية»، أو «الموقف المبدأي»، وهو الأمر الذي يعني منطلقاتها الايديولوجية. ولكن السياسة التي تضع في هادفيتها تأكيد «مباديء»، دون الاكتراث بالنتائج المحرزة، انما هي سياسة عقيمة. رغم طابع التنديد الذي يُوجه إلى تلك السياسات التي تربط مسعاها وخططها بالنتائج، بوصفها سياسة براغماتية، و«غير مبدئية».

ولكن السياسة الحكيمة هي تلك التي تتمسك بالمباديء التي توصلها إلى نتائج عملية ملموسة مثمرة. وعدا ذلك ليس التمسك بها سوى دوغمائية تظهر آثارها المضرة عاجلاً أم آجلاً.

ولهذا، فان المناورة السياسية تتطلب اعتماد المرونة والديناميكية في طرح الحلول المناسبة التي تقود لا إلى التباعد، والافتراق، بل إلى التقارب والتماس، حيث يمكن تجنب التهميش السياسي، وضعف القدرة على لعب دور فاعل في الحياة السياسية.

٢ ـ العقلانية السياسية في التعامل مع الوقائع الملموسة:

ان التطرف السياسي ينقاد، تحت تأثير وزر أزماته، إلى التبريرية. والموضوعة

البارزة في النهج التبريري هي: «الظروف الموضوعية». فهذا التعبير كان، في أغلب الأحيان، حاصلاً لمسؤولية الانتكاسات التي تجلبها السياسات غير المرنة. ذلك لأن الحزب السياسي يحاول ان يظهر ذاته كقوة سياسية مواجهة لقوة أخرى قاهرة، لا حول له ازاءها. وحيث يصبح مهمشاً في زاوية، فانه يطرح فكرة: «ماذا نفعل؟»!

غير ان هذا الوضع، في مجال التحالفات، هو نتاج الابتعاد عن العقلانية في التعامل مع الوقائع الملموسة، التي تتطلب التعامل معها، كما هي، وعلى حالها، دون تأويلها لتدخل في قالب فكري سلفي معين، لتضحى شيئاً لا ـ معقولاً.

يضاف إلى ذلك ان المعقولية السياسية هي اللا ـ عاطفية. فالكوابح العاطفية متنوعة منها الروابط الاجتماعية (الانتماء العشيري، أو القبيلي، . . .)، ومنها الحالة الذاتية (المحاباة، التحامل، . . .). وهذه يُفترض ان لا تشكل عامل ضغط روحي، أو نفسي، للاساءة إلى الوقائع الملموسة مثلما هي، وبالتالي اعاقة المناورة السياسية.

بطبيعة الحال، لا يمكن، هنا، عدم أخذ العالم الروحي للسياسي بنظر الاعتبار. فالحس السليم، والسليقة هي بمثابة عناصر غير قليلة الشأن لتقرير العقلانية، وبنحو الخصوص، عند اتخاذ القرار، أو تحديد الاتجاه الصحيح[1].

والمعقولية السياسية هي، أيضاً، اللا ـ أرادوية. ان الارادة ضرورية، بيد ان ضابطها الأهم، وأساسها يُفترض ان تكون الواقعة الملموسة، كامكانية، مثلما هي موجودة في الواقع، وليس تأويلاتها الممكنة الحدوث ارادوياً.

٣ ـ التنوع والتعارض في التحالف:

ان تحقيق شكل ما للتحالف السياسي لا يعني الغاء للتمايز[*]، والتنوع والتعارض في التحالف المعين، بل على العكس يفترضه. والفارق بين الفكرتين هام جداً.

فالاعتقاد الذاهب إلى انه بمجرد تحقيق التحالف سيكون من الممكن تشكيل وحدة تامة في الرأي، وأساليب العمل، انما يقود نحو الركود السياسي. فيما يفترض الاعتقاد بوجود التعارض، والتمايز في التحالف تلك الميول الباحثة عن امكانيات متاحة لخلق حالة من التوازن داخل التحالف، باتجاه هدف ملموس، بغض النظر عن حجمه، يخدم الاتجاه العام. أي انه يعطي ديناميكية وحيوية لتحرك التحالف.

٤ ـ العامل الاخلاقي:

ان المناورة السياسية داخل التحالف لابد وان تكون محسوبة دائماً لخدمة ولصالح

الهدف العام، المتوحدة عليه القوى السياسية (احزاب، حركات، منظمات، . . .)، باعتماد الوقائع الملموسة. اذ ان التعامل مع الاهداف العامة، وهي كبيرة في الغالب، قد يقود إلى مضار سياسية للتحالف نفسه.

بهذا المعنى، فان المناورة السياسية لا تدخل في اعتباراتها الروح الانتهازية، و«الغدر»، و«عدم الثبات»، و«ضعف المصداقية»، و«المراوغة»، وما إلى ذلك من الأمور التي تشيع عدم الثقة، وبالتالي تهدد التحالف بالانهيار، أو الركود في أقل الاحوال.

* * *

ان السياسة كفن للمناورة تقتضي التميز بين نوعين من التكتيك. والاول يعني الموقف العام للحزب، اقراره لمبدأ التحالفات مثلاً. وبالتالي فانه بوصفه موقفاً سياسياً للحزب ازاء الدخول في التحالفات، يُشكل الأساس للتحركات السياسية التي تتجسد في إطار التحالف ذاته - فيه ومعه.

وان تجربة حزبنا تعطي نماذج لنوعي المناورة الموصوفين أعلاه.

أولاً، - يمكن اعتبار «جبهة الاتحاد الوطني. . التي أعلن عنها في ٩ آذار ١٩٥٧»، التحالف الأول من نوعه الذي يحقق من خلاله الحزب تكتيكاً سياسياً فعالاً. فمن المعلوم، ان بعضاً من الاطراف التي ارتبط معها الحزب في تحالف، رفضت، لاسباب خاصة بها، ضم الحزب الديمقراطي الكردستاني إلى الجبهة.

وازاء وضع كهذا، فان الحزب لم يُملِ شروطاً على هذه الاحزاب، بل مال إلى المرونة السياسية، بأن انظم مع «الحزب الديمقراطي الكردستاني إلى جبهة ثنائية». . . «لتنسيق نشاطه مع اطراف جبهة الاتحاد الوطني»[٦].

ثانياً، - ولكن، في ظروف أخرى، كيف تعامل الحزب مع الحزب الديمقراطي الكردستاني، وبنحو الخصوص، في سنوات السبعينات؟

يذهب التقييم لتجربة حزبنا في سنوات تحالفه مع الحزب الحاكم في العراق إلى ان الحزب كان: «منذ البداية يقدر الأهمية الكبيرة لانضمام (حدك) إلى الجبهة بما يمثله من ثقل سياسي وعسكري في ذلك الوقت، ومن هذا المنطلق بذل جهوداً كبيرة لاقناع (حدك) بالانضمام إلى الجبهة، بأمل زيادة وزن القوى الديمقراطية داخلياً لصالح النضال من أجل الحقوق والحريات الديمقراطية، وانهاء فترة الانتقال واقامة الاوضاع الدستورية، وتحقيق الحكم الذاتي، وتشريع قانون له واقامة مؤسساته التشريعية والتنفيذية على أسس ديمقراطية.

غير ان حدك وقف موقفاً سلبياً، عكسته توجيهاته الداخلية، في العديد من الخطوات التقدمية التي أقدم عليها الحكم، كعقد معاهدة الصداقة والتعاون مع الاتحاد

السوفييتي . . . ووقف موقفاً سلبياً من المساهمة في الحوار بشأن الجبهة، جراء رفضه اشراك حزبنا فيها، وأصر على حصره بين «الحزبين الرئيسين» ـ حدك والحزب الحاكم ـ «ممثلي القوميتين الرئيسيتين»، وان كان قد أبدى بعض الاعتراضات الصحيحة على بعض جوانب الميثاق، واتخذ مواقف مناهضة لحزبنا، وقام بملاحقة رفاقنا في مناطق نفوذه، وقتل العديد منهم»[٧].

ويضيف التقييم إلى ذلك: «. . . أما الحزب الديمقراطي الكردستاني، فقد رفض ان يأخذ مع حزبنا منبراً مشتركاً في المحادثات، مما أضعف موقف الحزبين ازاء الحزب الحاكم جراء رفض (حدك) صيغة القانون واعلان استئناف القتال في آذار ١٩٧٤، رغم نصائح حزبنا بعدم الاقدام على هذه الخطوة وتحذيرنا له من نتائجها»[٨].

ان الحزب، في التقييم، يعطي تصوراً واضحاً عن حقيقة الوضع آنذاك بالعلاقة مع الحزب الديمقراطي الكردستاني. وبمعنى آخر، فان الحزب اتخذ موقفاً سياسياً ضد عودة القتال، في كردستان، باعتباره محاولة للضغط على (حدك) بهدف دفعه نحو التحالف لزيادة وزن القوى الديمقراطية، وليس العمل على انهيار الحركة القومية الكردية التي سببتهُ بصورة أساسية اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ بين العراق وايران.

وفي حينه، وحتى بعد انتقال الحزب إلى صف المعارضة للنظام، لم يكن تقييم التحرك عملية سهلة، وخصوصاً في الواقع الكردستاني، الذي كان يتعرض بشدة للممارسات الشوفينية للنظام الدكتاتوري.

ولكن المراجعات التقييمية للاحزاب السياسية فيما بعد وضعت القضية في حدودها الواقعية. فاذا كان تقييم حزبنا هو المعروض هنا، فان (حدك) مارس النقد الذاتي لسياساته في تلك الفترة في مؤتمره التاسع الاستثنائي عام ١٩٧٩.

وقد بينت التجربة ان مثل هذه المراجعات التقييمية لسياسات سابقة ذات أهمية في تمتين علاقات التقارب والتحالفات، والتي ابتدأت تظهر في الثمانينات، ومن مواقع المعارضة، وحتى الآن.

٣ ـ الديمقراطية كإطار هام لفاعلية التحالفات:

ثمة ثالوث متلازم ذو صلة مباشرة بالمجال السياسي وهو: الحق (= قانون في مجال الدولة) ـ القوة (المؤسسة العسكرية للدولة) ـ الحرية (= الديمقراطية السياسية).

وان الحديث عن فهم معين للديمقراطية غير ممكن بدون ترابطاته تلك. ذلك لأن الديمقراطية ليست مفهوماً قائماً بذاته ولذاته، بمعنى آخر، لا وجود لديمقراطية خالصة.

فحدود الديمقراطية (الحرية) مصاغة في قوانين (الحق) وتحرسها القوة. ويمكن تلمس ذلك في تجارب مختلف البلدان.

ففي البلدان الرأسمالية، التي تتمسك بمفهوم الديمقراطية الليبرالية، لا يمكن الحديث عن حرية منفلته غير مؤطرة بقوانين ومحروسة بالقوة.

كما ان مفهوم الطابع الطبقي للديمقراطية، في البلدان التي كانت تسمى اشتراكية، لا يمكن اعتباره منطلقاً يمكن بتحقيقه تخليص الديمقراطية من ترابطاتها تلك مع الحق والقوة. فهذا الفهم اذ مال إلى الأخذ بالمفهوم الكمي عن الديمقراطية، أي انه ذهب إلى كون الديمقراطية هي ديمقراطية الأكثرية (= عمال وفلاحين ومثقفين... وهم أغلبية الشعب). فانه، في الواقع العملي، وكما كشفته التطورات للاحداث لاحقا، لم يكن إلا تعبيراً عن الكليانية، حيث تجليات القوة، أي القمع، احتل الحيز الأكبر في الحياة السياسية، وتحولت القوانين إلى أوامر بيروقراطية، حسبما يظهر جليا في الخطاب السياسي للبريسترويكا.

يضاف إلى دلك، ان الديمقراطية تكون عملية سياسية بمقدار ارتباطها بالسيرورة الاجتماعية التاريخية. وبوصفها كذلك، أي عملية سياسية، فان لها زمنها الخاص بها. لذا فان من غير الممكن النظر إلى تحقق الديمقراطية وكأنه وليد اللحظة.

ويعود السبب في ذلك إلى ان: «الديمقراطية، كما هي في الحقيقة، وكما ينبغي ان تكون في الواقع، وفي مفهومنا المعاصر لها، هي نمط حياة، وسلوك شخصي، وعلاقات اجتماعية، وعلاقات اقتصادية وسياسية وثقافية وروحية بين السلطات والشعوب، وفيما بين الجماعات البشرية، وفيما بين الشعوب والأمم، وفيما بين الدول»[9].

بهذا المعنى، الذي يطرحه الحزب الشيوعي اللبناني، فان الديمقراطية هي تكوين اجتماعي - بنيوي يتبلور خلال سيرورة اجتماعية تاريخية معينة، تلعب فيها دوراً عوامل عديدة من بينها المستوى الاقتصادي الاجتماعي الموجود فعلياً، وبصورة ملموسة في بلد معين. ومن وجهة النظر الاجتماعية، فان الديمقراطية كتكوين اجتماعي - بنيوي تفترض وجوداً واقعياً للمجتمع المدني المتطور.

وعليه، فانه، طالما كانت مستويات التطور الاقتصادي - الاجتماعي، ومستوى تبلور المجتمعات المدنية متفاوتاً بين مختلف البلدان، فان الديمقراطية المتحققة في كل بلد هي كمستوى، أو في طور، مختلف عما في بلد أو بلدان أخرى. وبالتالي فان الضرورة تقتضي بالتعامل مع الديمقراطية المتحققة بصورة ملموسة، وليس التعامل مع تصوراتنا عنها، والتي غالباً ما تكون صافية، ونقيّة، وخالصة. إذ ان تصوراً كهذا عن الديمقراطية يدفع نحو طرح أهداف غير واقعية، وبالتالي يعيق عملية تشكل الديمقراطية

بوصفها تكويناً اجتماعياً ـ بنيوياً في السيرورة الاجتماعية التاريخية.

وفي هذا السياق، يمكن التوقف عند التجربة القريبة للحزب الشيوعي اللبناني. ففي وثيقته، المطروحة للنقاش جرى التأكيد على: «ان حرية المشاركة في السلطة تأتي قبل حرية المعارضة»[١٠].

بطبيعة الحال، ان الديمقراطية المتحققة بصورة ملموسة، مؤشرات وثوابت. فالانفتاح الديمقراطي يتجلى عبر التجسيد الحقوقي (في قوانين دولتية) لحرية المعارضة، ولحرية المشاركة في السلطة، وحتى تداول السلطة.

ولكن ترتيب أولويات بين حرية المعارضة، وحرية المشاركة في السلطة، رغم ان الجانب الأول يفترض الثاني، لا يمثل ملمحاً معتداً به للديمقراطية المتحققة فعلاً. والواقعة القريبة على ذلك هي عدم دخول الحزب الشقيق في مؤسسات دولتية هامة، أي انه لم يشارك عملياً في السلطة، ولكن ذلك لا يعني عدم وجود مستوى معين من الديمقراطية في لبنان.

٤ ـ دروس واستنتاجات:

ان الأمور المبحوثة اعلاه تشكل مدخلاً للنظر في تجربة حزبنا بهدف استخلاص بعض الدروس والاستنتاجات التي نعتقد انها ذات أهمية وفائدة في مجال التحالفات.

أولاً، ـ درس من جبهة الاتحاد الوطني

كانت جبهة الاتحاد الوطني المعلن عنها في ٩/ آذار/ ١٩٥٧ قد شكلت «القاعدة السياسية لثورة تموز ١٩٥٨، واستطاعت ان تلف أوسع الجماهير حولها وتتحول إلى حركة جماهيرية فاعلة ضد الحكم الملكي»[١١].

ولكن بعد انتصار الثورة: «لم تواصل الجبهة جهودها من أجل تعزيز المكاسب الثورية التي رأى العديد من أطراف الجبهة ان مهمتها قد انتهت. وبذل الحزب الشيوعي العراقي محاولات عديدة من أجل ان تكون الجبهة أداة فاعلة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في البلاد إلا ان هذه الجهود قوبلت بعدم الاهتمام من جانب القوى الأخرى»[١٢].

وتوضح دراسات تاريخية أخرى لهذه التجربة كيف ان القوى الأخرى رأت ان «الجبهة انتهت مهمتها»، اذ يشار إلى الشعارات السياسية التي رفعتها القوى القومية والتي لم يحن أوانها، وكذلك يشار إلى توجهات البرجوازية الوطنية العراقية لاحتواء حكم عبد الكريم قاسم.

وعلى ما يبدو، فان مثل هذه الأمور، وفقاً للمنظور الذي يمليه واقع العالم الراهن، ليست كافية لتقييم قضية ذات أهمية كبيرة في تاريخ البلاد السياسي، دون التقليل من أهميتها.

وحقيقة الأمر، ان التمعن في هذه التجربة لا يظهر ميولاً للحلول الوسط، أو ايجاد توازنات معينة، بل ان التجربة أوضحت العكس. فهنا تبرز ميول الاستقطاب الحزبي بصورة واضحة. وهو الأمر الذي قاد إلى العنف الشديد، جراء تصارع القوى السياسية، كما هو معروف.

صحيح ان الحديث يجري عن حدث هام في الحياة السياسية للعراق في عصر مغاير لذلك الذي جرى فيه الحدث. ولكن استلهام درس هام لقضايا التحالفات في الوقت الحالي لا يخلو من أهمية. ويكمن هذا الدرس في تمثل المنطلقات والاعتبارات السياسية المتحالفة، ونعني المرونة السياسية، والحلول الوسط، وايجاد توازن مستقر داخل التحالف مبني على أساس «توازن المصالح»، والخ . . .

ثانياً، ـ التحالف مع حزب حاكم

ان تقييم تجربة الحزب للاعوام ١٩٦٨ ـ ١٩٧٩، انما يهدف إلى القيام بمراجعة نقدية، تقييمية لتحالفه مع الحزب الحاكم. ويشير التقييم بهذا الصدد إلى ما يلي:

١ ـ «ان تجربة التحالف مع حزب حاكم كانت الأولى من نوعها في ممارسات حزبنا النضالية»[١٣].

٢ ـ ان هذه التجربة بينت: «ضرورة اتباع الحزب سياسة تنظيمية تأخذ بنظر الاعتبار تذبذب البرجوازية الصغيرة وحزبها، واحتمالات ارتداد سلطة الحزب الحاكم ومعاداته للديمقراطية وفكره الشوفيني وخوفه من الحركة الجماهيرية ومن نشاط الطبقة العاملة المستقل. وذلك يعني اتخاذ الاجراءات الضرورية لصيانة الكادر ومنظمات الحزب، والجمع الصائب بين التنظيم السري والنشاط الجماهيري ورفع اليقظة الثورية الدائمة»[١٤].

في هذين النصين يتداخل عدد من الاشكاليات التي تنطوي على طبيعة فكرية، وايديولوجية، وسياسية. وهذه هي:

أ ـ التحالف مع حزب حاكم.

ب ـ مسألة «الحزب القائد» ـ مشروطياته ومخاوفه.

جـ ـ التوقع المسبق للارتداد.

د ـ الاعلان عن كيفية معينة للتعامل مع وضع متذبذب في السياسة التنظيمية.

بطبيعة الحال هذه اشكاليات غير قليلة الأهمية، ولكن، يبدو، ان المدخل لمعالجتها لابد

وان ينطلق من مسألة الديمقراطية. وحيث ان المنظور العام للموقف من الديمقراطية أصبح واضحا، كما يفترض، فان الأمر المطلوب هو كيفية التعامل مع هكذا ديمقراطية متحققة بالفعل. والمسألة هذه بالذات تدفع نحو التناول النظري أكثر من معالجة المسائل السياسية الملموسة، التي يمكن لها ان تدعم الاستنتاجات النظرية ذات الأهمية.

ان النقطة الجوهرية تكمن في وجود ميول ضاغطة على الحزب الحاكم تدفع به نحو البحث عن تحالفات ممكنة. وهذه الميول تمليها الحاجة إلى الوحدة الاجتماعية والسياسية الضرورية، ضرورة قصوى، لتسيير آلية الدولة على نحو مطمئن ومستقر، لكي تؤدي، أي الدولة، وظائفها الاجتماعية.

وهنا تظهر مسألتان:

الأولى، ان هذه الحاجة تمليها الدولة على الحزب الحاكم وليست ارادته.

والثانية، انها نقطة ضعف الحكم الممكنة الاستخدام من قبل القوى الداخلة في التحالف.

والمسألتان مأخوذتان في آن واحد تشكلان موطنا للتنابذ المحتوم، أي تنخلق، هنا ميول متصارعة بين اتجاهين: الدكتاتوري والديمقراطي. فالقوى السياسية المتحالفة مع حزب حاكم اذ تحاول ان تحصل على وضع ديمقراطي أفضل (كحرية معارضة، أو حرية مشاركة في السلطة، أو تداول السلطة، . . .)، فان الحزب الحاكم، ومن موقع السلطة، يُظهر ميولاً لكبح هذه العملية، مستخدماً مشروطياته أولاً، والقمع ثانياً. وهذه تعبيرات عن مخاوف الحزب الحاكم.

وتجربة حزبنا مع الحزب الحاكم بينت ذلك على نحو جلي في مرحلتين:

١ ـ سياسة الحزب الحاكم «المعادية للشيوعية والديمقراطية، التي تجسدت في جملة من الاجراءات، استهدفت منذ البداية محاصرة الحركة الجماهيرية والحيلولة دون نمو تأثيرها على سير البلاد اللاحق، وقد تمثلت هذه السياسة في الموقف من النشاطات الجماهيرية والعمالية. اذ جرى اطلاق النار على عمال الزيوت النباتية المضربين في ١٩٦٨/١١/٥ وقتل عاملين، والهجوم على التجمع الجماهيري الذي نظمه حزبنا في ساحة السباع في بغداد في ١٩٦٨/١١/٧ في الذكرى (٥١) لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى، وقتل رفاقنا، ومواصلة ملاحقة القوى والشخصيات الوطنية واضطهادها بشكل وحشي وتصفية بعضهم جسدياً والتعريض بالعقيدة الشيوعية في اجهزة الاعلام الرسمية، ومواصلة الحرب الشوفينية ضد شعبنا الكردي»[٥].

٢ ـ وفي تناوله لتقييم الفترة من عام (١٩٧١ ـ حتى ١٩٧٥) أشار إلى ان: قيام الجبهة كان «باتفاق فوقي لم يسند أو يعزز بقاعدة متينة من التلاحم النضالي

المشترك، . . . ، وقد أثر هذا على عمل الحزب المستقل في تحريك الجماهير للمطالبة بحقوقها والضغط على السلطة، . . . ، في الوقت الذي كانت تمنع، تحت طائلة العقوبات القاسية، نشاط المنظمات الجماهيرية غير الحكومية وترفض حتى الاعمال الجماهيرية المشتركة وتطوير نضال الجماهير الذي كان يهدف اليه حزبنا، الأمر الذي اضعف قدرة الحزب على التأثير في الاحداث عن طريق تحريك الجماهير بقيادته وتعبئتها حول شعارات وتغير ميزان القوى لصالح الطبقة العاملة»[١٦] (التشديد لنا - ر. ح).

ان مآل الأمور هذا، حيث ضعفت «قدرة الحزب على التأثير في الاحداث»، كان قد أملاه التنابذ المشار اليه اعلاه. فهاجس الحفاظ على تسيير آلية الدولة بصورة مستقرة، يدفع الحزب الحاكم نحو ابراز مظاهر دكتاتورية أكبر، وبنحو الخصوص، تضخيم الاجهزة غير المرئية (الأمنية، وفي العراق سخر النظام الحاكم المنظمات الجماهيرية أيضاً لهذا الغرض). وكان من شأن ذلك ان يضيّق من مساحة العمل السري. وهذا ما دعا «التقييم» إلى الاستنتاج الآتي:

«.. بينت التجربة ضرورة اتباع الحزب سياسة تنظيمية تأخذ بنظر الاعتبار تذبذب البرجوازية الصغيرة وحزبها واحتمالات ارتداد حزب السلطة ومعاداته الديمقراطية وفكره الشوفيني وخوفه من الحركة الجماهيرية ومن نشاط الطبقة العاملة المستقل. وذلك يعني اتخاذ الاجراءات الضرورية لصيانة الكادر ومنظمات الحزب، والجمع الصائب بين التنظيم السري والنشاط الجماهيري، ورفع اليقظة الثورية»[١٧].

وهكذا، فان الدرس الذي يمكن استخلاصه من دراسة هذه التجربة، والذي يبدو ذا أهمية فائقة للمستقبل ليس «الجمع الصائب بين التنظيم السري والنشاط الجماهيري»، وانما هو **الاصرار على العلانية في وضع ديمقراطي متحقق بالفعل**. ذلك لأن التجربة بينت، أيضاً، انه لابد من التعامل مع الوضع القائم كما هو في عيانيته، وواقعيته. فاندفاع النظام الدكتاتوري الارهابي نحو الكليانية، افضى، مثلما هو معلوم إلى تبني الحزب لاسلوب الكفاح المسلّح، وتحددت سياسة تنظيمية تعتمد مبدأ السرية في التنظيم الحزبي.

وهكذا، فان الوضع التاريخي الملموس يتطلب سياسة عقلانية ملموسة.

ثمة وجه آخر للقضية. فالدولة اذ تُملي متطلباتها على حزب حاكم، فانه هو الآخر، يمتلك القدرة على املاء توجهاته على الدولة. وهذه موضوعة أخرى هامة في قضية الدولة.

ان مفهوم «الحزب القائد» يعادل مفهوم «السلطة». وسلطة الدولة ليست الدولة وليست آليتها، انما فاعليتها. والسلطة، بوصفها فاعلية دولة، تتأثر بصورة مباشرة بالايديولوجيا (طبعاً، ايديولوجيا الحزب الحاكم).

وبقـدر ما يظهـر الحزب الحاكم ميولاً لموضعة ايديولوجيته في الحياة الاجتماعية والسياسية، دون التعـامل مع وقائع هذه الحياة العيانية، أي بتطرف، بنفس القدر تظهر الدولة في آليتها تجاوباً متطرفاً ضد المجتمع، والاحزاب السياسية، والمواطن. والعكس صحيح تمـامـاً. ولهـذا فان آلية الدولة وتوجهاتها هي بمثابة مرآة عاكسة لمدى عقلانية المنطلقات والاعتبارات الايديولوجية المنعكسة في المجال السياسي.

ومع ان تجربة بلدان ما تسمى بـ «الاشتراكية» سابقاً تعطينا برهاناً مقنعاً على ذلك. فان تجربة التحالف لحزبنا مع حزب حاكم تؤكد ذلك أيضاً.

لهـذا السبب، وعلى ما تأتي به الـذاكرة، فان تقرير ل. م لحزبنا الشيوعي العراقي عام ١٩٧٧ كان قد أكد على اشتداد الصراع على الجبهة الايديولوجية، (حسبما اذكر لأن التقرير ليس متـوفراً لديّ الآن). فقد ابتدأت تظهر ملامح ما سمي فيما بعد «بالتأطير الاجتماعي»، الذي لم يكن يعني غير «قومنة» المجتمع، والمواطن، والفكر، وبصورة متطرفة، ومنتقلاً نقلة نوعية نحو الكليانية، المغيبة لأية ديمقراطية.

وبـطبيعـة الحـال، فان كل ذلـك، كان قد شحـذ التنـابـذ المشـار اليه، إلى أقصاه، مفضياً إلى الوحدانية الحزبية: أو ما يسمى بـ «الحزب الواحد».

ان وضعـاً، هكـذا، على الجبهة الايديولوجية، المتجسدة في سياسات عملية، يتعذر معه ايجاد توافق بمستوى معين للقوى المتحالفة. ولهذا كان الافتراق أمراً واقعاً. وقد تعامل الحزب معه على هذا النحو.

وعليه، فان الدرس الآخر، من تجربة حزبنا مع حزب حاكم، يكمن في ضرورة التخلي عن التزمت الايديولوجي للتعامل مع واقع سياسي ملموس.

ونعتقد ان مثل هذا الدرس مفيد ليس لحزبنا وحسب، وانما لمختلف قوى المعارضة التي تنـاضل في الوقت الراهن لاسقاط النظام الدكتاتوري الارهابي في العراق، واقامة البديل الديمقراطي، وبنحو الخصوص، إلى تلك القوى الدينية الاسلامية التي تبدي ميولاً للتعامل بالمنطلقات الايديولوجية مع الواقع السياسي.

ثمة قضية ثالثة، ذات صلة بالمناورة السياسية في إطار التحالف. ونعتقد ان هذه القضية ممكن النـظر بهـا بعـد تحليل موضوعة الدولة بصورة شاملة: تكوّنها، تركيبها، آلياتها، وظيفتها وفاعليتها. وهو موضوع آخر لا يتسع له هذا البحث. ولكنه مهم لسببين أثنين:

١ ـ وضع خاتمة للعمل بنظرية «لمن الغلبة؟» السوفيتية المصممة لبلدان العالم الثالث، والتي تشيع روح الانتظار (انتظار الفرز الطبقي داخل البرجوازية الصغيرة في موقع السلطة، إلى جناحين: يميني وديمقراطي ثوري كما تزعم)، ومحاولة اللعب الخطر مع

عناصر السلطة (تحت ذريعة دعم الاجنحة التقدمية، أو «اليسارية» في البرجوازية الصغيرة في موقع السلطة، كما تدعي)، وما إلى ذلك. . .

٢ ـ بهدف اكتشاف الممكنات المعقولة والمتاحة للمناورة في إطار الديمقراطية المتحققة بالفعل.

ثالثاً ـ الايديولوجيا واعاقة المناورة في الخطاب السياسي

ان الايديولوجيا السياسية التي تنعكس بوضوح في خطاب حزبنا السياسي، بكل تنوعه، لا يمكن ان تمر بدون ان تحدث تأثيراً معيناً على أطراف التحالف، سلباً أو ايجاباً. ويبدو، ان السلب هو الغالب لأن الخطاب السياسي يعبّر ايديو ـ سياسياً عن روح الاستقطاب في ثنائي اجتماعي وسياسي.

ولننظر الآن في بعض النصوص من هذا الخطاب:

أ ـ يؤكد المؤتمر الوطني الثالث لحزبنا على: «ان الطبقة العاملة في بلادنا مؤهلة للاضطلاع بالدور الطليعي والقيادي في النضال الثوري الشعبي». . .»[18]

ب ـ يشير «التقييم» إلى: «. . . ان جوهر استقلالية الحزب الشيوعي في الجبهة هو ممارسته لدوره القيادي في طليعة الطبقة العاملة وسائر الكادحين في النضال»[19].

ج ـ وجاء في «التقييم»: «وتؤكد تجربة حزبنا ان قيادة الطبقة العاملة وحزبها الشيوعي للسلطة السياسية هي شرط ضروري لانجاز الثورة الوطنية الديمقراطية والانتقال بها إلى الثورة الاشتراكية، وان ليس بمقدور الاحزاب البرجوازية الصغيرة انجاز ذلك حتى لو انتهجت لفترة معينة سياسة تقدمية معادية للامبريالية»[20].

معلوم ان «الطبقة»، بوصفها هكذا، لا يمكن ان تلعب دوراً سياسياً بطبيعة ثابتة ومستديمة (نستثني هنا الاعتبارات التي يمليها الوضع الثوري). ولكن الطبقة الاجتماعية تجد حضورها في الحياة السياسية عبر امتداداتها في الحزب السياسي الذي يعبّر، برنامجياً، عن مصالحها واهدافها. والحزب الشيوعي هو هذا الامتداد للطبقة العاملة في الحياة السياسية، فهو المعبر عن مصالحها، وطموحاتها، وآمالها والخ. . . والخطاب السياسي لحزبنا الشيوعي يعلن ذلك، والقوى السياسية تفهمه، ايضاً، على هذا النحو.

يضاف إلى ذلك، ان مشروع الحزب الشيوعي للتطور والتقدم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي معروف ايضاً من قبل القوى ذاتها، سيما وان هذا المشروع يتمثل تجربة «البلدان الاشتراكية».

وحيث ان الاحزاب السياسية، التي يتحالف معها الحزب، أو تلك التي يتعايش معها على الساحة، لها مصالح متنوعة: اقتصادية، اجتماعية، وسياسية فانها تفهم الخطاب السياسي لحزبنا على انه محاولة للتفرد السلطوي (وما يستتبع ذلك من تعبيرات

من قبيل: اختطاف السلطة، أو التآمر، رغم اعلان الحزب ايديولوجياً وسياسياً عن عدم تبيه لمثل هكذا ميول ويدينها، والخ . . .)، بهدف اقامة نظام حكم يؤثر بصورة حادة على مصالح الاحزاب السياسية الأخرى.

وهكذا، فان المنطلق الايديولوجي السياسي يصبح أساسا لميول الافتراق بدلاً من اشاعة الطمأنينة، وشحذ ميول التقارب.

بيد ان واقع الأمور، والتجربة التاريخية، تؤكدان انه لا الطبقة العاملة، ولا ممثلوها السياسيون، الاحزاب الشيوعية، يمتلكون القدرة الفعلية لقيادة الوضع بهدف انجاز مرحلة توصف بكونها «مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية».

«ويناضل حزبنا من أجل ان يقوم التحالف على صعيد قيادات الاحزاب وبين قواعدها، وعلى صعيد الجماهير اللاحزبية الواسعة لكي يصبح وسيلة فعالة لتعبئة قوى الشعب واطلاق طاقاته النضالية من أجل انجاز الاهداف الوطنية المشتركة ولبناء قواعد السلطة الديمقراطية، كما ويناضل لاستثمار الامكانيات الموضوعية لتطوير هذا التحالف ليس فقط لانجاز الثورة الوطنية الديمقراطية، وانما في مرحلة الاشتراكية ايضاً، حسب قوانينها العامة، واحتساباً لظروف وخصائص بلادنا»[١١].

ان هذا النص من البرنامج يُجمل الامرين. فمن جهة يستدعي التحالفات السياسية والطبقية، ومن جهة أخرى، يطلب «الزعامة» من خلال التأكيد على «القوانين العامة لبناء الاشتراكية» والأمران يعنيان ان الخطاب السياسي واقع في تناقض.

وبالطبع، فان الايديولوجية السياسية التي تقود نحو المأزق تضعف امكانيات المناورة في التحالف، هذا اذا لم نقل انها تنهيه، بسبب من كونها تشحذ الصراع غير المحمود العواقب على الجبهة الايديولوجية.

ولنرى، بالملموس، كيف تعاملت الاحزاب السياسية مع الخطاب السياسي للحزب الشيوعي.

معلوم ان القوى الخارجية التي يستند اليها الحزب الشيوعي لعرض امكانياته لبناء الاشتراكية وفقاً لنمطه الخاص هما وجود «المعسكر الاشتراكي»، والثقل السياسي العالمي للقوى الثورية، بغض النظر عما آلت اليه الاوضاع الآن، وما كشفت عنه.

ولكن تجربة التحالفات للحزب مع «الحزب الحاكم» بينت ان مصادر القوة هذه يمكن سحبها بيسر، بالاستناد إلى العلاقات الدولية، الممكنة التوظيف من قبله بفعالية كبيرة، وبالتالي الاخلال «بتوازن القوى» لصالحه. فتسلمه للسلطة «وبدء المعركة ضد الاحتكارات النفطية، وتعاون حكمه مع البلدان الاشتراكية، وقيامه باصلاحات هامة في الاقتصاد، اكسبه ثقلاً في توازن القوى* كان يفتقر اليه»[١٢].

أما الاحزاب السياسية الأخرى، ومن مواقع خارج السلطة، فقد تعاملت مع الخطاب السياسي بردود أفعال متباينة، تبعاً للمرحلة والظروف التاريخية التي قام فيها التحالف. ولكن السمة العامة لردود الافعال هذه هي اظهار الميول لعزل الحزب الشيوعي، وتهميشه سياسياً بهدف ابعاده عن السلطة.

ان التحليل اعلاه يتجه، مثلما هو واضح، نحو إحداث تغيير جدي في المنطلق الايديو ـ سياسي في خطاب الحزب السياسي التحالفي، لابعاد تلك الأثار السلبية على القوى المتحالف معها. فمن الوجهة النظرية، لابد وان ينطلق من التناقض المشار اليه، أي بين ضرورة تحقيق تحالف طبقي وسياسي لانجاز مهمات مرحلية، وبين «قوانين بناء الاشتراكية».

وحيث ان الخبرة التاريخية للحركة الشيوعية والعمالية لم تفض إلى نتائج ايجابية، كما تبينه التطورات الحالية، فان فكرة الاشتراكية، والبحث عن كيفية جديدة لبنائها، باستلهام التجربة التاريخية، تصبح مهمة ملحة أمام الجميع. وهذا هو الشرط الهام لاحداث التغيير الجدي، والجذري، في الايديولوجيا السياسية القديمة.

ولكن، رغم ذلك، فان من الممكن اشاعة الميول لتحقيق ديمقراطية ممكنة، وبمستوى معين، في الخطاب السياسي التحالفي لحزبنا.

ونعتقد ان المنطلقات الجديدة الواردة في: «مشروع الموضوعات السياسية والفكرية والبرنامجية والتنظيمية التي أعدها المكتب السياسي»، وأقرها اجتماع اللجنة المركزية الكامل في آذار/ ١٩٩٠، ذات أهمية كبيرة بهذا الصدد:

«ولم تعد الديمقراطية مفهوماً عاماً مجرداً، قابلاً للتجزئة أو التفسير الكيفي، بل اصبحت بنية سياسية ملموسة تجد تعبيراتها في دولة القانون الديمقراطية، والتعددية السياسية والحزبية، والحياة البرلمانية، والانتخابات الحرة المباشرة، وحريات التنظيم والصحافة والاحزاب، وكل ما يلغي اغتراب الانسان عن السلطة في المجتمع المتوجه اشتراكياً، وكل ما يلغي حرية الانسان في المجتمع الرأسمالي»[٢٣].

رابعاً، ـ الثقة بدلاً من «القوة»

ان الخطاب السياسي التحالفي للحزب الشيوعي، وخصوصاً مع حزب حاكم، يميل، في أغلب الأحيان، إلى الرد على هاجس الريبة الذي ينتاب حزب السلطة من حلفائه، حسبما جرت الاشارة اليه آنفاً.

ولهذا، فانه، أي الخطاب السياسي، يحاول ايجاد صياغات تبدو وكأنها مطمئنة، مقنعة، ولكنها تستثير الهواجس أكثر. ومن بين تلك الصياغات أو الموضوعات هي موضوعة «القوة»، والتي يمكن ملاحظتها ايضاً في الخطاب السياسي لحزبنا. اذ ان تقرير الاجتماع

الاعتيادي الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي في آذار ١٩٧٨ يذهب إلى القـول: «ان الجبهـة، التي تضم احزاباً تقدمية، هي ليست حاصل جمع بسيط لقوى الاحـزاب المنتمية اليهـا، بل انهـا الجهـاز. . . ، السياسي والتنظيمي لكل قوى شعبنا التقدمية وهي وسيلة أساسية لزج جماهير احزابها في عمل وطني مشترك» . . . ، وان تنامي قوة الجبهة وتعاظم نفوذها، . . ، قوة لكل طرف فيها، وان تعزز مكانة كل حزب مشارك فيها، هو قوة اضافية إلى الجبهة»[٢٤].

ان تعبيرات «القوة»، هي تعبيرات رياضية، وميكانيكية، أما مغزاها السياسي فاصبح واضحاً. ولكن القضية كلها تكمن في كيفية تحويل منطلق «القوة» هذا، إلى فعل سياسي. اذ كيف يمكن ان تصبح «قوة» الحزب بمثابة «قوة» للمجموع؟ وكيف يمكن تجسيد كل ذلك؟ وكيف يمكن توفير قناعة للاحزاب الأخرى في التحالف بأن تضخيم القوى الحزبية، لحزب معين، هي «قوة» للجميع، دون تسعير أوار المنافسة، وتلافي التماسات، التي قد تقود إلى صراعات حزبية شديدة، وعنفية؟ والخ . . .

بطبيعة الحال، ان اشكاليات من هذا النوع يتعذر تجسيدها في الواقع العملي بغير القدرة على تحريك التحالف، الأمر الوحيد القادر على ابراز «قوته»، وهذا التحريك غير ممكن، أيضاً، إلا في التحالف ومع قواه.

وبهذا المعنى، فانه من غير الممكن طرح مفهوم «القوة» بوصفه حصيلة متوقعة لقيام التحالف وحسب. ذلك لأن «قوة» التحالف تكون مضمرة دائماً، ولا يمكن ان تبرز إلا في حركة التحالف ذاته. فالتحالف لا يمكن، مثلاً، ان يبرز قوته في سكونه، وركوده. انه يظهر فقط في مسار ديناميكيته الحركية.

وعليه، فان القضية، اذ تعـاد إلى مسألة تحرك التحالف، فلابد من ابراز العنصر الأكثر فاعلية، وضرورة لمثل هذا التحريك، والذي هو الثقة.

ولهـذا السبب بالذات، فان العمل على اشاعة روح الثقة في التحالف وتوطيدها ينطوي على أهمية كبيرة. ويمكن القول ان هذه المسألة تجيب على ذلك اللغز الذي يتردد في الخطاب السياسي لمختلف القوى السياسية، ونعني به الاشارات المتكررة في خطابها عن كون التحالفات «فوقية»، و«غير جماهيرية»، واقتصارها «على القيادات»، وما إلى ذلك.

وحقيقـة، فان شيوع الهـواجس المتنـوعـة في اوساط قيادات الاحزاب السياسية المتحالفة، والغرق بافكار التنافس الحزبي وتضخيم القوى الحزبية باعتباره مظهراً للقوة، والمنطلقات الايديو- سياسية ذات الابعاد السلبية، والخ . . . من شأنها ان تغيّب الثقة، وبالتالي اعاقة عملية تطور الديمقراطية كتكوين بنيوي اجتماعي - سياسي، أي، بعبارة

أخـرى، هو الذي يغلق الاحزاب السياسية في دوائر متماسة عند القيادات، ومتباعدة، ومنعزلة عن بعضها البعض قاعديا، وهذا، باختصار، يجعل التحالفات، أبعد من ان تكون ذات طابع جماهيري.

الثقة، اذن، أساس التحالف بطبيعة جماهيرية، وبالتالي فهي أساس المناورة السياسية.

ولكي تتجسد الثقة في الواقع العملي يتوجب الامساك بروحها. ونعني: الاستماع إلى رأي الآخر، والبحث عن مختلف الامكـانيات المتاحة للتجاوب معه، عبر ايجاد الحلول الوسط، وخلق حالة مستقرة للتحالف على أساس «توازن المصالح»، حسبما يرد في الخطاب السياسي للبريسترويكا.

ولكن، ثمة عناصر أخرى لتوطيد الثقة، كابراز أهمية تمثل العامل الاخلاقي في السياسة، وأهم مضـامينه هو اقران الاقوال بالافعال، مثل الالتزام بالاتفاقات، والايفاء بالتعهدات، والخ . . . ، واستبعاد أية هواجس أو توقعات وهمية مسبقة تمليها روح المنافسة الحزبية الضيقة، وغيرها . . .

وتـدخـل في هذا البـاب عنـاصر ذات أهمية من شأنها توطيد الثقة بين الاحزاب المتحـالفـة من قبيل: الـدعم والمسـاعـدة المتبـادلـة، والـدفـاع عن الحليف، وتبادل المعلومات، والتشاور في الأمور الهامة، وما إلى ذلك.

خامساً، «كفاح وتضامن»، أم «تعاون ثقة»؟

ان شعـار «كفـاح وتضامن» هو من الشعارات الشائعة في خطاب حزبنا السياسي التحالفي. وهو اشتقاق، كما يبدو، من الموضوعة النظرية الديالكتيكية: «وحدة وصراع». أمـا مغزاه السياسي فيوضحه التقييم: « . . . تحدد وتبلور بصورة أكثر نهج حزبنا القائم على: (الكفاح والتضامن)، أي الضغط من أجل تعميق الاتجاهات الايجابية، والنضال ضد الاتجاهات السلبية في جميع الميادين»[٣].

والكفـاح يمليه الاستقـلال الايديولـوجي والسياسي والتـنظيمي للحزب، باعتباره يمتلك مشروعاً برنامجياً يغطي مرحلة كاملة هي: «مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية».

على هذا النحو، يتبـدى الـطابـع الاستقطابي الحزبي بصورة واضحة وفي إطار التحالف ذاته. وهو الأمر الذي لا يساعد، بأية حال، على لحمة التحالف، أو وحدته.

فالـوحدة، هنا، ونقصد المجال التحالفي، لا يمكن النظر اليها وكأنها وحدة بين «شيئين»، على غرار التجريد النظري، وانما يتوجب النظر اليها بوصفها وحدة حيّة بين قوى سياسية ناشطة في الحياة السياسية، في المرحلة التاريخية المعينة. ولكل منها مصالح، وأهـداف، آمـال، وطمـوحـات، والخ . . . متباينة. وان التوفيق بين هذاالكل المتوحّد

والمتمايز غير ممكن على أساس ما يمليه الافتراض النظري التجريدي، حتى وان كان بطبيعة ديالكتيكية. ونعني بذلك، ان مستلزمات الديمومة لوحدة كهذه هي ليست عناصر الشدّ، والتوتر أو، يمكن القول، التطرف، في التحالف، والتي يفترضها: الصراع، أو الكفاح، بل المرونة السياسية، وابداء الميول للتعاون المتبادل المبني على أساس الثقة، وهو المعبر عن مضمون شعار: تعاون ثقة!

ونعتقد ان شعارا كهذا يجعل حزبنا منسجماً في كونه طلاّباً للتحالف، وديمقراطي النزعة.

١٥/ تموز/ ١٩٩١

الهوامش

(١) د. سامي خالد: «من تجارب التحالفات الوطنية في العراق». «الثقافة الجديدة». العدد ١٨٧، تموز ١٩٨٧.

(٢) «نحو لقاء وطني واسع». «الثقافة الجديدة»، العدد ١٩٦، نيسان ١٩٨٨.

(٣) «تقييم تجربة حزبنا النضالية للسنوات ١٩٦٨ ـ ١٩٧٩»، المقر من قبل المؤتمر الوطني الرابع للحزب الشيوعي العراقي ١٠ ـ ١٥ تشرين الثاني ١٩٨٥.

(٤) «السياسة والعلم: أخضوع أم مساواة؟». حوار بين البروفيسور فودولازوف (الاتحاد السوفييتي) مع خوليو انغيتا السكرتير العام للحزب الشيوعي الاسباني «الثقافة الجديدة». العدد ٢١٥، تشرين الثاني، ١٩٨٩، ص ٤١.

(٥) راجع: «التفكير السياسي الجديد: التحالفات ـ القيم ـ الديمقراطية» (ندوة)، العدد ٧، ١٩٩٠، ص ١٥

(٦) د. سامي خالد «من تجارب التحالفات الوطنية في العراق»، مصدر مشار اليه. ص ٣٨.

(٧) «تقييم تجربة حزبنا النضالية للسنوات ١٩٦٨ ـ ١٩٧٩»، مصدر مشار اليه، ص ٣٢ ـ ٣٣.

(٨) نفس المصدر، ص ٣٧.

(٩) راجع: «الوثيقة البرنامجية الفكرية ـ السياسية ـ التنظيمية تحضيراً للمؤتمر الوطني السادس للحزب الشيوعي اللبناني»، مشروع للنقاش في الحزب. كانون الثاني ١٩٩١، ص ١١.

(١٠) نفس المصدر، ص ١٢.

(١١) د. سامي خالد: «من تجارب التحالفات الوطنية في العراق»، مصدر مشار اليه، ص ٣٩.

(١٢) نفس المصدر، ص ٤٠

(١٣) «تقييم تجربة حزبنا النضالية للسنوات ١٩٦٨ ـ ١٩٧٩»، مصدر مشار اليه، ص ٣٨.

(١٤) نفس المصدر، ص ٧١.

(١٥) نفس المصدر، ص ١١

(١٦) نفس المصدر، ص ٣٨ ـ ٣٩.

(١٧) نفس المصدر، ص ٧٥.
(١٨) نفس المصدر، ص ١٩.
(١٩) نفس المصدر، ص ٤٠.
(٢٠) نفس المصدر، ص ٤٠.
(٢١) «برنامج الحزب الشيوعي العراقي»، المُقر من قبل المؤتمر الوطني الرابع». .
(٢٢) «مشروع الموضوعات السياسية والفكرية والبرنامجية والتنظيمية»، أقرها اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي. آذار/١٩٩٠، ص ٢٦. ونعتمد في هذا البحث نص الصيغة التي أوردناها آنفاً من وثيقة الحزب الشيوعي اللبناني.
(٢٣) «تقرير الاجتماع الاعتيادي الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي في ١٠/آذار/١٩٧٨»، ص ١٨.

* الوسيلة، تعني، قاموسياً، ما يُتقرب به إلى الغير، وتعني، ايضاً، الدرَجة. ولكن التحالف السياسي لا يهدف في مضمونه، إلى التقرب من الغير (الأطراف الأخرى) فقط، بل التقرب إلى الهدف العام المشترك مع الغير. اذ ان التقرب من الغير، ومن ثم الانقياد نحو الركود السياسي، يجعل من التحالف هدفاً بذاته. أما التحالف الساعي إلى التقرب من الهدف العام المشترك فلا يكتفي بالتقرب من الغير، بل لابد ان يتحرك باتجاه هدفه. وهذا التحريك غير ممكن بدون المناورة، سواء كانت سياسية أو تاكتيكية.
عليه، فان المنظور الأداتي ليس هو المطلوب للتحالف بل النظر اليه بوصفه اسلوباً سياسياً، يتعامل الحزب، أي حزب، فيه ومعه، من موقع المناورة لتحريكه، وليس من موقع المناشدات العاطفية المألوفة.

(٢٤) «تقييم تجربة حزبنا النضالية للسنوات ١٩٦٨ ـ ١٩٧٩»، مصدر مشار اليه، ص ١٠.



تقرير من كردستان

نصف عام بعد الانتفاضة

عصام الخفاجي

مشهد واحد يتكرر حيثما انتقلت في كردستان. من زاويته في أقصى الغرب إلى بنجوين في أقصى الشرق سلاسل بشرية تنام وتعيش في العراء بالمعنى الحرفي للكلمة. بالنسبة لكثيرين يتلخص الحلم بالحصول على خيمة الأمم المتحدة المبطّنة، التي لا مجال لمقاومة شتاء كردستان القادم بدونها. وما عدا هذا ليس غير تفاصيل ابعاد شبح الموت برداً أولاً، ومن ثم يمكن التحايل على الجوع والسعي لتأمين لقمة العيش.

الوضع اللاانساني لأكثر من مليون من أبناء كردستان ليس نتاج اليوم، لكنه تفاقم بشكل مريع بعد انكسار انتفاضة آذار.

أكثر من مليون كردي يترقبون مجيء الشتاء بقلق، لا يعرفون شيئاً عن المفاوضات التي تجري في بغداد بين السلطة وبين قادة الجبهة الكردستانية ويعلقون آمالاً على المجهول.

من هم هؤلاء المشردون؟ كيف يعيشون؟ وكيف يفكرون؟

اتخذت قضية المهجرين ابعادها الراهنة منذ عام ١٩٨٨، أثناء المأساة التي لم تروَ كامل فصولها حتى اليوم، مأساة الانفال الأولى والثانية والثالثة.

في هذه المجزرة التي رافقت الانكسار العسكري لحركة الانصار توجه قادة الجحوش والافواج الخفيفة إلى السكان غير المسلحين طالبين منهم النزول والتجمع في السهول لكي تستطيع السلطة تأمين الغذاء والمسكن لهم وتوزيع الاراضي عليهم. صدقت

العوائل هذه الوعود، أو انها كانت مضطرة إلى الرضوخ بعد ان فقدت الظهير العسكري الذي يدعمها، أي البيشمركَه. وهناك اقتيد ١٨٠ الف نسمة إلى أماكن لا يعرف أحد عنها شيئاً حتى اليوم. وتم تدمير ما يزيد عن أربعة آلاف قرية وقصبة مُنع سكانها من العودة اليها، واستبيحت الاراضي الزراعية والممتلكات التي لم تستطع الأسر اصطحابها معها، وتم، على عجل، بناء مجمعات قسرية أشبه بمعسكرات الاعتقال على مقربة من المدن.

طوال أكثر من سنتين، حين كان كثيرون يستنكرون «الحملات لتشويه موقف القيادة العراقية من الشعب الكردي» بدا ان مؤامرة الصمت هذه ستتكفل بالهاء الرأي العام وجعله ينسى هذه المأساة. بل ان هذه المؤامرة ساهمت في تشجيع السلطة على ارتكاب جرائم جديدة.

في عام ١٩٨٩ مُحي قضاء قلعة ذزه من الوجود بعد ان تم تهجير سكانه البالغ عددهم حوالى ٧٠ الف نسمة، لكن رد الفعل العالمي على ذلك كان أضعف بكثير من الاحتجاج على جريمة حلبجة.

ثم جاءت انتفاضة آذار والانكسار العسكري الذي تلاها، وانضاف مئات الوف جدد إلى مئات الالوف الذين سبقوهم. محافظات ومدن انتفضت برمتها، ثم جاءت قطعان الحرس الجمهوري لتنتقم منها ومن سكانها انتقام المحتلين.

بعد ستة أشهر الوضع أكثر من ملتبس. والشيء الوحيد الواضح هو ان أكثر من مليون ونصف من السكان لا يمتلكون مأوى، أو لا يستطيعون العودة إلى بيوتهم، أكراد وتركمان من كركوك وچمچمال يتحشدون في السليمانية واربيل وحواليهما، أكراد من سنجار والشيخان وكلدانيون وآشوريون من المناطق المحيطة بالموصل ينتشرون في الوديان والطرق المحيطة بدهوك، أسرى المجمعات السكنية حملوا ما لديهم من متاع وعادوا إلى اراضيهم العاريّة من أي بناء أو غطاء يسكنون فيه.

الكل ينتظر، ثمة من ينتظر الأمم المتحدة، ومن ينتظر المجموعة الأوروبية، ومن ينتظر سقوط صدام، ومن ينتظر التوصل إلى اتفاق معه..

ثمة جهود جدية تُبذل، لكنها لم تحقق شيئاً ملموساً لحل قضية لا تحتمل التأجيل. الاستاذ جلال الطالباني، في حديثه «لطريق الشعب» (اواسط ايلول/١٩٩١) أعترف بأنه «كان بوسعنا بذل جهود أوسع وأعمق من أجل تلافي المأساة» وكشف عن قرار المجموعة الأوروبية تخصيص ١٢ مليون دولار كمساعدة اولية لبناء مجمعات للسكان المشردين، فضلاً عن خطط لبعض الحكومات الأوروبية بتولي اعمار اقسام من مناطق كردستان. لكنه أشار في الوقت نفسه إلى انه لا يعتبر هذا حلاً دائماً، إنه حل مؤقت لمواجهة الشتاء، أما الحل الدائم فيتمثل «في اعادة اعمار الريف الكردي. واذا لم يعاد بناء الاقتصاد الكردي

لا يمكن وضع حد لمشكلة المشردين في كردستان».

هذا التدمير للاقتصاد الكردي يصفه الأخ بروسك نوري شاويس من قادة حزب الشعب الديمقراطي الكردستاني وصفاً معبراً: «انحلال اجتماعي» يتمثل في اقتلاع الناس من بيئات عملهم وتحويلهم إلى مهمّشين. يقول الأخ بروسك في لقاء اجريناه مع اعضاء الهيئة العامة للجبهة الكردستانية (وهي الجهاز التنفيذي الذي يلي مباشرة القيادة السياسية للجبهة) «يتمثل الانحلال الاجتماعي في غياب الفلاح الكردي عن أرضه، وفي حقيقة ان غالبية الفلاحين يعيشون في مجمعات قسرية مزرية وتماثل شروط حياتهم شروط حياة المقيمين في معسكرات الاعتقال النازية». ويعطينا ارقاماً تفصيلية: عدد المهجرين الذي يعيشون في المناطق المحررة فقط يبلغ ١,٨ مليون بما فيهم المهجرون من كركوك. فاذا أضفنا اليهم المقيمين في معسكرات اللاجئين بتركيا وايران فان الرقم سيتضاعف على أقل تقدير. من أين جاؤوا؟ تذكروا هذا الرقم جيداً: ثمة ٤٣٧٥ مدينة وقرية كردية مدمرة.

كل من التقينا من القادة، يرى الوضع القائم شديد الخطر لأنه وضع شلل تدل كل المؤشرات على ان السلطة تريد بقاءه هكذا. الجبهة الكردستانية، لأسباب سياسية معقدة، لا تريد ان تطرح نفسها سلطة لادارة المناطق المحررة، وهي ليست كذلك بالفعل. اذ حتى في المناطق التي ينعدم فيها الوجود الملموس للسلطة، أي وجود اجهزة القمع، مثل دهوك ثمة اجهزة تنسيق مع المحافظين ومديريات التربية والصحة... الخ. أما السلطة فتتصرف عكس ذلك، مستثمرة هذا السلوك من جانب الجبهة لكي تغيّب وجودها وتتبرأ من مسؤولياتها وتحاول الايحاء بأن المآسي القائمة ناتجة عن «سيطرة المعارضة وعجزها عن تقديم بديل ايجابي». فضلاً عن هذا فان السلطة تريد ابتزاز الجانب الكردي وتحويل هذه المأساة الانسانية إلى ورقة للضغط بحجة ان تولي مسؤولياتها مرهون بالوصول إلى اتفاق مع الجبهة الكردستانية.

حين تسأل قادة الاحزاب وممثليها في الهيئة العامة عن كيفية تصورهم للعلاقة بين الاعمار والاتفاق مع السلطة لا تجد أوهاماً عن حسن نية السلطة أو عن جديتها في معالجة قضية المشردين. انتظار نتائج المفاوضات يعني، كما يقول ممثل الحزب الاشتراكي الكردستاني في الهيئة، ان نطمئن الناس على ان بيوتهم التي سيعمرونها لن تتعرض للتدمير مجدداً. ومن جهة أخرى فسواء تم التوصل إلى اتفاق أم لا، كما يقول الأخ قادر عزيز سكرتير حزب كادحي كردستان في لقاء معه، لابد ان يجري الاعمار. ويضيف «نفضل ان يبقى الوضع شبيهاً بهدنة اذا لم نتوصل إلى اتفاق يتحقق حوله اجماع. لكن قرار شن العدوان علينا ليس بيدنا، انه بيد الطرف المقابل». ومن هذا المنطق بالذات يؤيد الأخ بروسك أن تتولى المنظمات الدولية أو الحكومات اعادة بناء مدن وقرى كردستان، من

منطلق عدم الثقة بالسلطة. يقول «اذا تولت المنظمة أو الحكومة الفلانية اعادة بناء حلبجة وقلعة دزه مثلاً فسيتحول تدميرها مجدداً إلى قضية سياسية دولية».

في وضع الترقب هذا تزدهر الشائعات في كردستان. مرة تسمع عن قرب وصول السيدة ميتران إلى قلعة دزه للاشراف على اعمارها، ومرة يقال لك ان وزيراً بريطانياً سيصل الاسبوع القادم، وهكذا. والناس العاديون ينتظرون حداً أدنى من المساعدات وتطميناً حول المدى القصير لا غير، لكي يعرفوا هل يهيئون انفسهم للزراعة أم للحرب؟

الخروج من الأسر

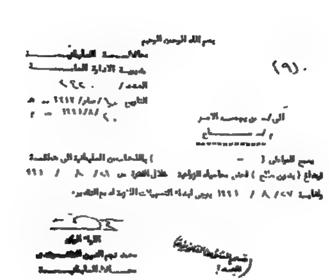
لقائنا مع قادة جك كان الحديث يدور عن ضرورة فك المجمعات وتشجيع الفلاحين على العودة إلى قراهم. هذه الضرورة لم تعد مجرد حديث سياسي يدور حول حق الشعب الكردي في العودة، بل باتت مع تفاقم الأزمة الاقتصادية تهدد بتفسخ اجتماعي كبير.

البطالة، الاعتماد على مساعدات من الغير، الارتفاع الجنوني في الاسعار وغيرها اخذت بنشر آثارها: انتشار الجريمة على مستوى العراق ككل بشكل جنوني وفي كردستان خصوصاً، ظاهرة تعاطي المخدرات في أربيل، البغاء في المجمعات القسرية... الخ.

كثير من العوائل لم تنتظر اجراءات من فوق، بل حملت مؤنها وعادت إلى قراها. قره داغ كانت مركزاً حضارياً وتاريخياً يتبع محافظة السليمانية وكانت تضم ٨٥ قرية. ومنطقة سهل كرميان، ضحية الانفال الرئيسة، كانت تضم أضعاف هذا العدد من القرى بدأ تدمير قره داغ قبل الانفال، في عام ١٩٨٧ وصارت، هي وكَرميان، تقع ضمن ما يسمى المناطق المحظورة أمنياً، وأفرغت من السكان كلياً.

بعد نصف عام على الانتفاضة، ومع وجود حواجز للجيش هناك، ثمة اليوم حوالي مائة عائلة شقت طريقها إلى اراضيها واستقرت هناك. بعض هذه العوائل استخرجت اوراقاً تمنحها الاذن بالعودة إلى قراها لمدة اسبوع واحد لجني المحاصيل. ولكن أين يسكنون؟ في «الكبرات»، سقوف من اغصان الشجر تستقر فوق أربعة جذوع بلا جدران، وعلى اغصان الاشجار القريبة تُعلق الملابس والطناجر وأكياس الطعام.

عائلة كاكا جميل كانت تملك اربعين دونماً وجراراً وتزرع ارضها تبغاً. الآن لم يعد الوقت مناسباً لزراعة التبغ، ويتركز السعي على حصاد ما تم زرعه من حبوب وفواكه. تسألهم، هل تبقون هنا إذا حل الشتاء؟ يقولون باصرار، نعم اذا جاءتنا خيم الأمم المتحدة. ـ وإن لم يحصل ذلك؟ ـ نذهب إلى السليمانية ومصيرنا بيد القدر. عائلة أخرى



بسم الله الرحمن الرحيم

(٩)

الى / من يهمه الامر

(١) نموذج للاوراق التي تخول المواطنين الذهاب إلى بيوتهم، ولكن لمدة اسبوع واحد فقط وذلك لجني المحاصيل! استمارة تذكر باجراءات سلطات الاحتلال الصهيوني تجاه سكان الضفة وغزة.

تقول سنبقى رغم ان «العقيد» يأتينا يوماً ليهددنا بضرورة الخروج فوراً من المناطق المحظورة. نسأل، هل تخافون الجيش؟ - كلا فهم مثل اخوتنا، انظر اليهم، لقد تعبوا من الحرب مثلنا، لكن «العقيد» شيء آخر!

لكن هناك من لا يزرع ولا أرض له، ومع هذا أصر على ترك المجمعات والمجيء إلى أرضه. أحمد ذو وجه يشبه وجوه الدراويش، له ثلاثة اخوة اختفوا أثناء الانفال المشؤومة وهو الآن مسؤول عن اعالة ٢٥ طفلاً وامرأة. أحمد يعيش على «الزكاة»، أو بصريح العبارة من التسوّل. ولكن من يعطي رغيفاً اليوم وقد صار سعره ١٥٠ فلساً؟

ثمة تفاوت، مع هذا، بين منطقة وأخرى في كردستان. هناك أماكن السياحة التي تشبه جيوباً استثنائية داخل بحر البؤس.

في منطقة هيران، التدمير مماثل لكل ما شاهدنا من قره داغ مروراً ببرزان وغيرها. الكتل الكونكريتية المتكومة على الأرض لا تزال كما هي منذ الانفال، هنا كان الجامع، هنا التكية، هنا المستوصف... الخ. هيران كانت تضم ٦٠٠ بيت وقريباً منها قرية كاموساك التي كانت تضم ١٥٠ بيتاً. الآن تجد الكبرات منتشرة بكثافة أكبر، الناس تشعر

بأمان أكثر اذ لا وجود للسلطة هنا. والكازينوهات السياحية والمواد المهربة تشكل مصدر عيش قسم لا بأس به من السكان.

في هيران، سألنا الشيخ ابراهيم وهو مسؤول مستوصف ميدان اقامه الاتحاد الوطني الكردستاني هناك - هل تشعرون بالاستقرار؟ أجاب بدون تردد، مادام صدام في الحكم لن نشعر بالاستقرار.

* * *

ومع هذا، تستمر الحياة، بل ان هذا الشعب يجبر الحياة على الانصياع له برغم المصاعب الاستثنائية.

الزراعة تشكل حلم الجميع حتى من اضطر إلى تركها، ومن توافرت له فرص كسب غيرها. شاب وأمه وزوجته وطفلته الرضيعة كانوا ضمن من التقينا في احدى القرى «المحظورة أمنياً». سألناه عما يزرع، فأجاب انه لا يزرع شيئاً الآن لكنه يعوّل على امكانية زراعة أرض خلال الموسم الوشيك. - ولكن كيف تعيش الآن؟ أجاب انه يقترض مبلغاً زهيداً يذهب به إلى رانيه، أحد أهم مراكز التهريب في كردستان، ليشتري بعض السلع ويبيعها في السليمانية مقابل ربح يكفي لتأمين الكفاف. لكنه مصر على العودة إلى الزراعة.

المشكلة ان السلطة لم تكتف بقلب الواقع السكاني وبالتشريد، بل انها خلقت مشاكل معقدة تحول بين الفلاح وأرضه. باختصار، السلطة تحكم على الشعب بالجوع فيما تتباكى من الحصار المفروض من الخارج.

في شقلاوة حدثنا اعضاء من اللجنة الزراعية التابعة للجبهة الكردستانية عن الحلول التي قدموها لمعالجة بعض هذه المشاكل.

بعد جريمة التهجير اعتبرت السلطة الأراضي الزراعية المسجلة قانونياً باسماء الفلاحين الاكراد، خاضعة لاحكام قانون تأجير الاراضي الزراعية رقم ٣٥ لسنة ١٩٨٣. هذا القانون يسري على الاراضي العائدة للدولة والفائضة عن حاجات التوزيع على الفلاحين، أي كأن السلطة صادرت أراضي الفلاحين بدون اشعار. وقامت بتأجيرها لازلامها من أبناء المحافظات العربية أو لأمراء الجحوش ومستشاري الافواج الخفيفة من الاكراد.

الآن عاد كثير من الفلاحين إلى أراضيهم وطالبوا باستعادتها، وهو أمر قانوني. وشكلت الجبهة الكردستانية لجاناً زراعية في كل من محافظات كردستان، اتخذت قرارات أبعد ما تكون عن الانتقامية. اذ عومل ايجار الأرض بوصفه اجراءاً قانونياً، حتى يتم اتخاذ

قرار مركزي بفسخ العقود واعادة الأرض إلى مالكيها، وتم اتخاذ قرار بأن يوزع حاصل هذا الموسم وفق نظام المناصفة، نصف العائد للفلاح مالك الأرض والنصف الآخر للمستأجر «حتى اذا علمنا بأن المستأجر ينتمي إلى مرتزقة الحزب الحاكم، وهو واقع الحال في مناطق مثل مخمور في محافظة التأميم» كما يقول الرفيق روان.

لكن المشاكل أبعد ما تكون عن التسوية. صحيح ان الغالبية تشعر بعدالة الاجراءات المتخذة، لكن هذه الاجراءات لم تمس حقوق الملكية والتصرف بل تركزّت على توزيع الناتج الزراعي. ومع هذا فقد حاول الأغوات التأثير على قرارات اللجان ففشلوا. وهكذا تم تطبيق اجراءات موحدّة في التوزيع في اربيل والسليمانية ودهوك. ضريبة الثورة التي تستوفى لتمويل نشاط اللجان الزراعية وغيرها من حاجات الادارة كانت تفرض على حصة الفلاح المستأجر في السليمانية مثلاً، أما الآن فقد باتت تفرض على حصة المستأجر فقط جرياً وراء التقليد المتبع في اربيل.

في مناطق عديدة من كردستان ثمة عشرات الوف الدونمات لم تحصد هذا الموسم، برغم الحاجة الماسة إلى المحاصيل الزراعية، لأن المستأجرين من ازلام السلطة هربوا من اراضيهم.

(٢) كتاب من مديرية الاستخبارات العسكرية حول سلبيات مفارز الجحوش.

من جانب آخر هناك فلاحون اجبروا على ترك اراضيهم والتشرد في المدن منذ عام ١٩٨٨ . هؤلاء تغيرت «مهنهم» قسراً حيث سُجلوا في دوائر الاحوال المدنية كعمال أو سواق سيارات . والآن لابد من إعادة تغيير مهنهم لكي لا تضيع حقوقهم في أراضيهم إلى الأبد .

وينطلق اعضاء اللجان الزراعية من تقدير يقوم على ضرورة عدم تأجيج الصراعات التي تريد السلطة تعميقها ، بين الفلاحين من جهة وبين قسم كبير من المستأجرين لا يتحمل بالضرورة مسؤولية تهجيرهم . فهناك مئات من خريجي كليات الزراعة الذين استفادوا من قانون تأجير أراضي الاصلاح الزراعي «المتروكة» للمتفرغين للزراعة . وهؤلاء استأجروا قطع أراض لا تتجاوز مساحتها مائة دونم . لكن الأراضي تعود للفلاحين المشردين . هنا لم تطبق اللجان الزراعية قرارات التوزيع بالمناصفة بل ألزمت المستأجر بدفع مبلغ مقطوع (٤٠٠ دينار) للفلاح .

المشكلة الكبرى لا تكمن هنا . فبجهود كبيرة نجحت اللجان الزراعية بهذا القدر أو ذاك ، في حل قضية حصاد هذا العام . لكن السؤال الأساسي ، على حد تعبير الرفيق روان : من يزرع كردستان؟

موسم بدء الزراعة بدأ في اوائل ايلول . وحتى لو اهملنا عامل القلق من الوضع السياسي غير المستقر، فمستأجر العام الماضي لن يزرع الأرض هذا العام لأنه يعرف ان مالكها الحقيقي يطالب بها ، والمالك الشرعي لا يجرؤ على زراعتها خوفاً من ان يبتلع المستأجر حقوقه . والمناصفة حل وقتي نجح لأن المستأجر كان بوسعه الادعاء انه تكفل بالحراثة والبذار وبرسوم ايجار الأرض قبل الانتفاضة ، لكنه لن ينجح الآن ، فضلاً عن ان نصف العائد لن يكفي معيشة الفلاح . ففي ظل الاوضاع الراهنة تحتاج العائلة الكردية المتوسطة إلى عائد زراعة ستين دونماً من الحبوب لكي تسد حاجاتها الأساسية .

وفوق هذا كله فان الصراع على الأرض لا يمكن تسكينه بتشغيل الفلاحين المعدمين كعمال اجراء ، لأن زراعة الحبوب لم تعد تتطلب أكثر من سائق جرار وما لا يتجاوز الخمسة عمال ودراسة .

والسؤال هو، هل تتخذ القيادة السياسية للجبهة الكردستانية قراراً من طرفها يعيد الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل عام ١٩٨٨ ويتم فسخ عقود التأجير الجائرة؟ أم تنتظر الجبهة قراراً من السلطة المركزية بذلك؟

لبننة كردستان

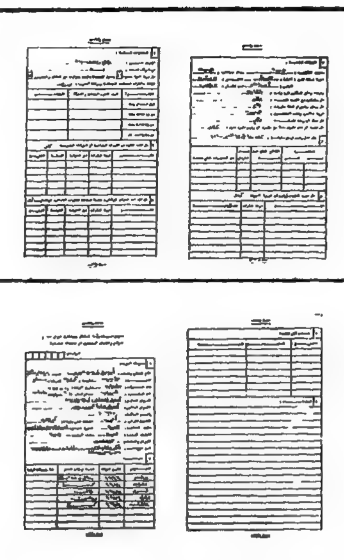
للانحلال الاجتماعي وجهه الآخر الأكثر بشاعة لارتباطه بمساعي السلطة المتعمدة

لقطع ارتباط المواطن بالعمل الانتاجي وجعله يعتمد على الارتزاق. هذا الموضوع لم يقتصر على كردستان وحدها، بل امتد إلى محاولة تجييش عشائر ومناطق عربية بأكملها باثارة نزعات التضامن القبلي أو الاقليمي أو الطائفي عند بعض الفئات المتخلفة وتحويلها إلى درع للنظام يقيه من الشعب.

غير ان الظاهرة تكتسب ابعاداً أكثر خطورة هنا لأن السلطة، كما لاحظنا، اتبعت مخططاً منتظماً لتدمير بنية المجتمع الكردي واجباره على الاعتماد على ما تضخه الدولة له مقابل خدمات الارتزاق. وفضلاً عن ذلك، لما كانت كردستان عملياً ساحة حرب ضد السلطات المتعاقبة منذ ثلاثين عاماً فان وظيفة المرتزق الكردي كانت تحويله إلى قاتل لأخيه الكردي في حرب ارادت السلطة تصويرها حرباً أهلية كردية بعين أنصارها ومعارضيها. لكن التسمية التي شاعت على السن الاكراد لهؤلاء المرتزقة: الجاش (الجحوش) ذات دلالة كبيرة هنا، اذ نجح المجتمع الكردي في عزل هؤلاء عن جسمه، برغم ان اعدادهم لم تكن قليلة، من خلاله تصويرهم مطايا لاعدائه.

في الجزء العربي من العراق، حولت السلطة التنوع الاثني ـ الحضاري الغني للمجتمع العراقي إلى انقسامات طائفية ـ اقليمية عميقة تعيق التفاعل الخصب الذي يكسب الشخصية العراقية سماتها المميزة. لكن التماسك العشائري ـ الطائفي دفاعاً عن عن طبقة حاكمة لم يصل إلى حد وضع طائفة في مواجهة أخرى، أو عشيرة في مواجهة أخرى، أولاً بسبب تحلل البنى القبلية بسرعة أكبر في الجزء العربي نتيجة درجة التطور والرسملة السابقة فيه، وثانياً لأن المعارضة لم تتخذ شكل حرب أنصار مسلحة في أحد أجزاء العراق العربي تتطلب تجييش كتلة سكانية في مواجهتها. ان وثائق اجهزة الأمن التي وقعت في أيدي المنتفضين تبين بجلاء سعي السلطة إلى استثارة الغرائز العشائرية ـ المناطقية بالتركيز على عشائر محددة ومناطق محددة (الجبور، طي، مناطق الشرقاط والدليم وتكريت. . . الخ). لكن عنصر الأمن أو الاستخبارات العسكرية أو المخابرات الذي يتم تجنيده من هذه العشائر و/أو المناطق لا يشترط فيه ان يعمل مباشرة إلى جانب أبناء عشيرته أو منطقته.

في كردستان استثيرت الخلافات الطبيعية التي كانت قائمة بين العشائر المتجاورة، وهي خلافات حول حدود اراضي كل قبيلة، لتشكيل ما سمي بالافواج الخفيفة، حيث يتولى أحد أبناء عشيرة ما حشد عدد من أبناء عشيرته لتشكيل فوج يقوم على أساس عشائري يجري تسليحه وتمويله من قبل السلطة نفسها. وعلى هذا الأساس وجدت السلطة في شيوخ بعض العشائر (الزيباريين، الهركيين، السورجيين، الدوسكي) مجالاً طبيعياً لتجنيد رجالها.



(٣) نمـوذج الاستمـارات التي تعـدهـا مديريات الأمن لتقييم «رؤساء العشائر والمتنفذين» في كردستان.

بالـطبع، لـم يخلُ الأمر من استثناءات مهمة. ولـم يحصل قط ان انحازت عشيرة بكاملها وبصورة متجانسة إلى جانب السلطة، فثمة اسماء بارزة من مناضلين في صفوف الثورة الكردية والحركة الوطنية العراقية ينتمون إلى كل من تلك العشائر.

أكثر من هذا، انعكست الصراعات والتنافس بين اجهزة السلطة القمعية، وسعي كل منهـا لتجنيد مرتـزقـة خاصين بهـا، على هذا الوضع وفاقمته. وسنقتطف أدناه، ببعض التفصيل، من ملفّين من ملفات الأمن، أحدهما بعنوان «آخر تطورات الوضع العشائري» والآخر بعنوان «دراسة العشائر العربية في محافظة اربيل» لما تلقيانه من ضوء على مادة دراستنا.

ملف العشـائـر العـربية يعـدد ثمـاني عشائر، ويقدم نبذة عن «رؤسائها الحاليين والمرشحين لرئاستها مستقبلاً» ثم يحدد امكانية «مد جسورنا للتأثير عليهم ايجابياً من خلال

رئيس العشيرة» بعد ان يشير إلى «مواقفهم من الحزب والثورة» وطبيعة علاقاتهم مع «المخربين» وعلاقاتهم مع العشائر الكردية والعربية المجاورة وامكانية استثمار الصراعات والخلافات الموجودة فيما بين العشائر. ثم ينتقل الملف إلى متابعة تفصيلية لامكانية التجنيد من خلال جرد أبناء العشيرة الذين يتبوأون مواقع في الحزب الحاكم أو جهاز الدولة، وعناصر العشيرة المنتمين إلى جهاز الأمن من «المتفوقين دراسياً» في دورات الأمن بغرض ترفيعهم ووضعهم في مراكز أكثر أهمية.

أما ملف تطورات الوضع العشائري فيتابع المشاكل المسلحة بين الهركيين الذين قامت اجهزة السلطة بنقل بعضهم من أماكنهم في قضاء عقرة إلى المنطقة المحيطة باربيل «على أساس ان هؤلاء يشكلون حزاماً للمدينة لحمايتها». لكن هذه العملية انتهت إلى تأجيج الصراعات بينهم وبين عشيرة الزرارية التي تجاوزوا على أراضيها مما أدى إلى معارك ذهب ضحيتها كثيرون من أبناء العشيرتين.

والطريف في أمر هذه «الأزمة» ان جهود السلطة توجهت إلى ايجاد حل لها حرصاً على كسب الطرفين إلى حد ارسال خير الله طلفاح وعضو القيادة القطرية آنذاك عبد الفتاح الياسين لمصالحة رئيسي العشيرتين في ١٩٨٣/١٠/٧ (كتاب مديرية أمن اربيل إلى مديرية أمن منطقة الحكم الذاتي، سري للغاية، العدد ش. س. ١٢٥١٠ في ١٩٨٣/١٠/١١). وقد اضطرت السلطة إلى ذلك لأن «معظم أبناء عشيرة الزرارية منتمين إلى الجيش الشعبي» (كتاب محافظة اربيل، المراسلات السرية إلى مجلس قيادة الثورة ـ لجنة شؤون الشمال، (سري وشخصي) رقم ٣٣١٩/٤ بتاريخ ١٩٨١/٨/١١) في حين ان اسلحة جزء كبير من الهركيين جاءت عن طريق الاستخبارات العسكرية (كتاب أمن اربيل إلى مديرية أمن منطقة الحكم الذاتي، «سري للغاية» العدد ش. س. ١٢٤٧٧ بتاريخ ١٩٨٢/٩/١١)، بل يظهر من خلال المراسلات ان هناك قرى باكملها تابعة للاستخبارات العسكرية يسكنها هؤلاء مثل قرية جرة (تقرير قيادة الجيش الشعبي لمنطقة اربيل بخصوص التحقيق مع عناصر الجيش الشعبي، غير موجه إلى جهة محددة وبدون رقم أو تاريخ).

وهكذا كانت كل جهة من جهات اجهزة القمع تحاول ابعاد تهمة التسبب بالمعارك عن عملائها لتلقيها على الطرف الآخر، الأمر الذي يوضح إلى أي حد ساهمت هذه الاجهزة بتشويه تركيب المجتمع الكردستاني.

الاستمارات التي تنظم بعنوان «نموذج معلومات رؤساء العشائر ومستشاري أفواج الدفاع الوطني والاشخاص المتنفذين في المنطقة الشمالية» (سري وشخصي) توضح إلى أي حد غذت السلطة النوازع العشائرية وتعزيز روابط المصالح عن طريق القرابة في الوقت



(٤) مشهد تقليدي في كردستان: أطفال يبحثون في القمامة (مانگيش).

الذي كانت دعايتها تتحدث عن بناء «الانسان العراقي الجديد»، كما توضح الأساليب الرخيصة التي أتبعت لربط هؤلاء بها.

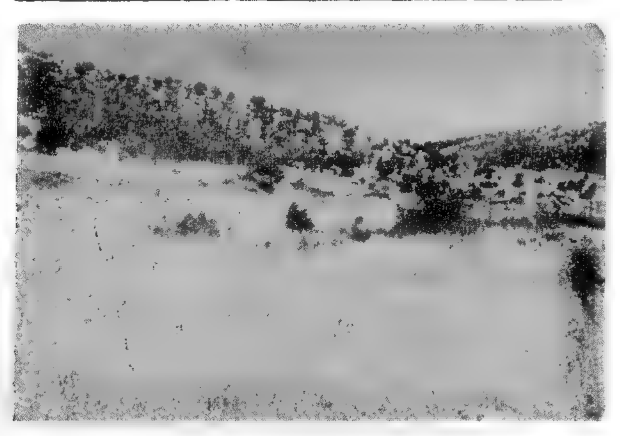
نشير من بين المعلومات التي تتضمنها هذه النماذج إلى عينة من الفقرات: الصفات الشخصية، سمعته الشخصية، سمعته العائلية، درجة ميله إلى المادة، الخمر، الجنس، لعب القمار، بماذا يمكن التأثير عليه وكسبه، هل يتعاون مع الاجهزة الأمنية، درجة تأثيره وثقله العشائري، هل لديه أو لدى عشيرته عداء مع عشيرة أو رئيس عشيرة أخرى، هل لديه أقارب مسؤولين في اجهزة الدولة: الاسم، درجة القرابة، المسؤولية، الاتجاه السياسي، درجة ولائه للسلطة، هل درجة الولاء محسومة، [أم] يحاول الاحتفاظ بعلاقات متوازنة مع السلطة والمخربين، علاقته بالاحزاب السياسية المعادية وحركات التخريب (هذه الفقرة مقسمة إلى أربع فقرات: قبل عام ١٩٥٨، من ١٩٥٨ لغاية ١٩٦٨، من ١٩٦٨ لغاية ١٩٧٥، من ١٩٧٥ ولحد الآن)، هل لديه أقارب من الاحزاب المعادية أو الحركات التخريبية: الاسم، درجة القرابة، اسم الحركة، المهنة، التاريخ، المناصب التي شغلها.

حتى عام ١٩٨٨ كان عدد الافواج الخفيفة قد بلغ ٢٥٠ فوجاً تضم عدداً يقل عن نصف مليون انسان بقليل. بالطبع، لم يكن هؤلاء جميعاً مقاتلين بمعنى الكلمة. فملفات الأمن والاستخبارات العسكرية تحوي الكثير من الشكاوي بحقهم، والقسم الأكبر من

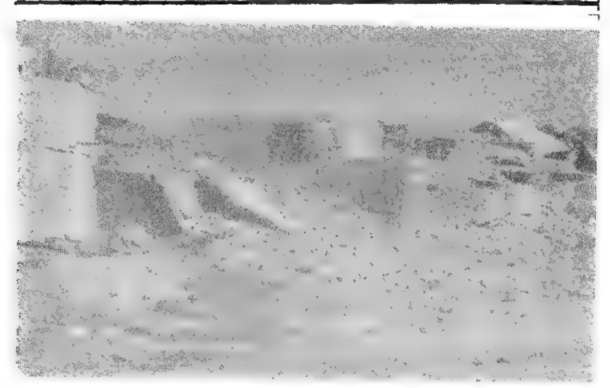
مراسلات «الجهات العليا» بشأنهم يؤكد على ضرورة متابعة هذه الأفواج والتأكد من قيامها بواجباتها القتالية ضد «المخربين»، ذلك ان هذه الجهات تعرف، قبل غيرها، ان الافواج الخفيفة ما كان لها ان تستمر لولا اغراءات المال والاعفاء من الخدمة العسكرية للعناصر أو عدم سوق عناصرها إلى جبهات الحرب والاكتفاء بابقائهم في مناطقهم.

ومن جهتهم، كان امراء الجحوش يرفعون تقارير كاذبة عن عمليات وهمية قاموا بها ضد «المخربين» ليؤمنوا بقاء تشكيلاتهم، في حين ان كثيراً منهم كان منصرفاً إلى استغلال سلطته لابتزاز المواطنين ونهبهم وممارسة نشاطات التهريب والتجارة. وكان مسؤولوهم في الاجهزة الامنية يتواطأون معهم ويشاركونهم تلك النشاطات.

في كتاب موجه بتاريخ ١٦/٨/١٩٨٩ يعدد ضابط المفارز الخاصة في مديرية الاستخبارات العسكرية ١٢ فقرة سلبية على «المفارز الخاصة المرتبطة بهذه المديرية» منها ((١) عدم التزام آمري المفارز الخاصة بادارة شؤون مفارزهم ومتابعة مقاتليهم.. حيث ان آمر المفرزة مهتم باشغاله الخاصة ومنها بيع وشراء السيارات والاشراف على المزارع وغيرها.. (٤)قيام عدد كبير جداً من المقاتلين باشغال حرة وبعلم آمري المفارز الخاصة ولم يترددوا إلى المفرزة نهائياً... (٦) كثرة مشاكل المقاتلين واعتدائهم على



(٥) بارزان ممحية من الوجود: هنا كان مضيف الشيخ احمد البرزاني.



(٦) من مشاهد الهمجية: محلة باروشكي في دهوك التي انطلقت منها انتفاضة آذار. دمرتها قطعان الحرس الجمهوري.

المواطنين. . . (١٠) استغلال وابتزاز قسم من آمر المفارز للمواطنين».

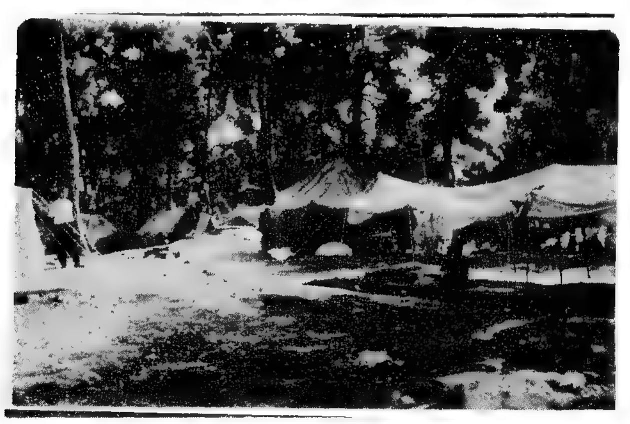
من هذه الممارسات وغيرها تشكلت كتلة من المتميزين، فيما كرس كبار رؤساء العشائر وجودهم ولكن من خلال التساوق مع التحولات التي طرأت على المجتمع العراقي ككل باتجاه رسملته. وخطورة هذا الوضع تتمثل في أنه لن يزول بزوال الاسباب السياسية المباشرة التي أدت إلى نشوء الظاهرة، بمعنى ان التراكم النقدي بيد كتلة من المتعاونين مع السلطة تحول إلى موجودات عينية ومصالح وتأثير اجتماعي انتقل من أرياف كردستان حيث كان الآغا يمارس سلطته على فلاحيه و/أو أبناء عشيرته إلى المدينة، وهي ظاهرة ليست خاصة بكردستان فقط بل بالعراق ككل. وقد أشرنا في موضع آخر (الثقافة الجديدة، العدد ٢٣٧) إلى أمثلة عن تأسيس مشاريع صناعية أو شركات مقاولات من قبل رؤساء عشائر الجحوش.

ما الذي استجد على هذا الوضع؟

مع تصاعد الأزمة الاقتصادية ابتداء من عام ١٩٨٨ شحّت امكانات السلطة عن تأمين ارتباط الافواج الخفيفة بها، لأن هذا الارتباط كان قائماً بالدرجة الأساس على قاعدة الارتزاق، فضلاً عن ان السلطة لم تعد تشعر بحاجة ماسة لخدمات هذه الافواج بعد ان وجهت ضربة عسكرية لحركة الانصار. ثم جاء غزو الكويت وما تلاه من هزيمة مروعة،

وانكسار هيبة النظام، ثم انتفاضة آذار لكي تفكك الوجود الفعلي لهذه الافواج الخفيفة. ومن التبسيط بمكان أخذ جانب واحد من صورة الوضع والقول بأن المنتمين للافواج الخفيفة وقفوا إلى جانب الانتفاضة لأسباب انتهازية. فهؤلاء لم يكونوا كتلة متجانسة، لكن انفجار الأزمة الشاملة هو الذي ساعد على توعية قسم كبير منهم بهذه الحقيقة، حقيقة ان السلطة اشترت دماءهم بحفنة دنانير وانه لا مصلحة لهم بالوقوف إلى جانب المتاجرين بهم سواء كانوا من رؤساء عشائرهم أو من اجهزة القمع الحكومية. وفي الوقت نفسه، من السذاجة بمكانه ألا نأخذ عنصر الانتهازية بعين الاعتبار. فالسيد س، أحد رؤساء العشائر التي باعت ولاءها للسلطات المتعاقبة منذ الحكم العارفي، أقام وليمة بكلفة ٢٠٠ الف دولار لكل ضباط قوات التحالف في قصره المنيف بكردستان، وابلغهم بانه يقسم أمامهم بانه لم يعد جندياً عند صدام بل عوناً لهم. هذه الواقعة التي رواها لنا عشرات من المطلعين على الشؤون الكردية من أبناء المنطقة رافقتها وقائع مماثلة أقل شأناً.

وكان الخيار أمام الجبهة الكردستانية، والاحزاب الكردستانية كل على انفراد، معقداً وصعباً. استمرار انقسام المجتمع الكردستاني، خصوصاً وقد لاحظنا ان كتلة الجحوش لم تعد كمّاً مهملاً، أو العمل على ادماجهم في جسم المجتمع والحركة الوطنية انطلاقاً من ان حكم الدكتاتورية لمدة تقارب ربع القرن لابد وان يترك تشويهات عميقة لا يجدي



(٧) مهجرو زاويته أوفر حظاً! لقد توفرت لهم الخيم!



(٨) مشردون تزاحموا لالتقاط مساعدات الأمم المتحدة.

اغماض العين عنها. هذه التشويهات امتدت إلى كل مسامة من مسامات المجتمع العراقي عموماً والمجتمع الكردستاني خصوصاً.

ليست الاحزاب الوطنية، بالطبع، بمنجى عن هذه الظاهرة. ولا يمكن القول انها، في تعاملها مع الافواج الخفيفة ورؤساء عشائر الجحوش، انطلقت من تلك الاعتبارات بالضرورة. يشير لك رجل الشارع إلى ان الحزب الفلاني «نفخ» جماهيريته بضم رؤساء الجحوش وعشائرهم إليه واعطاهم الحماية من انتقام الشعب منهم، اذ أصبحوا من «المنتمين اليه».

المناضلان رفيق من الاتحاد الوطني الكردستاني وابو ايفان من الحزب الشيوعي العراقي كشفا لنا ان قراراً صدر من القيادة السياسية للجبهة الكردستانية يعفو عن كل الجرائم السياسية المرتكبة قبل انتفاضة آذار ١٩٩١. هذا القرار، برغم انه أدى إلى اثار احاسيس مشروعة لدى ضحايا من اجرموا بحقهم خلال فترة حكم الحزب الحاكم، إلا انه اضفى جواً انسانياً ومنع ردود الفعل الانتقامية التي قد تستثمرها السلطة لاشاعة جو حرب أهلية في داخل المجتمع الكردستاني، إذ يثأر ابن العشيرة لابن عشيرته القتيل... وهكذا. أكثر من هذا، والرفيقان يعملان في اللجان التحقيقية للجبهة الكردستانية بدهوك، فان كل قضية تحال، بعد الانتهاء من التحقيق، إلى المحاكم المدنية التي لم تمسها

(جك) للبت بها .

اثبتت (جك) هنا حكمتها كجهة مسؤولة لا تنوي ان تستثمر اجواء الانتفاضة لكي تتصرف كما تصرف الحزب الحاكم. لكن السؤال الذي يدور على السن الجماهير هو: ما الحد الفاصل؟ أين يمكن القول ان فلاناً لا يزال من عناصر السلطة وانه يستخدم جو التسامح هذا لكي يدمّر قضية الشعب الكردي، ومتى نعرف ان فلاناً فكّ يده من الايغال بدم شعبه؟

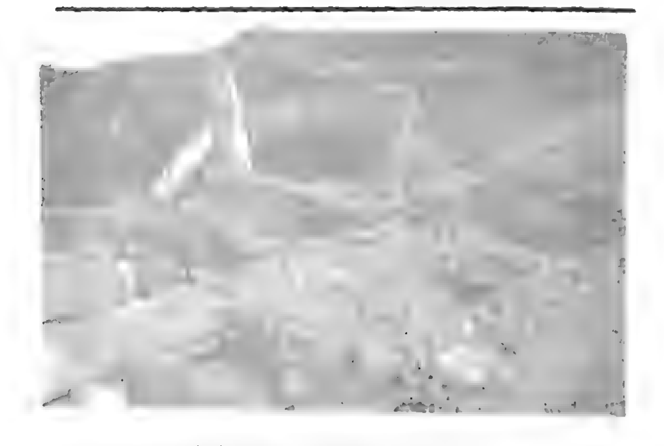
مثل هذا السؤال واجهه الفيتناميون والكوبيون وعشرات الشعوب الأخرى، ولكن بعد اسقاط سلطة العدو. المأساة في كردستان ان السلطة قائمة، وان حرب الاشاعات مستمرة. برقية التقــطت في الثلث الأول من ايلول من «الاجهـزة العليا» تشير إلى طلب السلطة لعنـاصـرهـا بالعمـل في داخل اجهزة الاحزاب والجبهة الكردستانية مع استمرار صرف مخصصاتهم والتعويض عما لم يصرف منذ آذار ١٩٩١ .

بالنسبة للجمهور الواسع من سكان كردستان القضية تتعلق بالجرائم التي يقترفها اناس محسوبون على الجبهة الكردستانية وهم في الواقع، من رجال الافواج الخفيفة التي أصبحت الآن «بيشمركه»! فالمناضل الكردي أو العربي الذي ضحى بزهرة شبابه في حرب الانصـار صار يقف أمام حواجز المرور ليجد ان فلاناً الذي كان بالأمس عدوه لأنه من الجحوش، صار اليوم حارساً للحاجز بصفته منتمياً لاحزاب الجبهة الكردستانية! وفوق هذا فان جرائم ترقى إلى مستوى الخيانة صارت ترتكب باسم البيشمركه.

سد بخمة لم ينجز حين غزا النظام العراقي الكويت. كانت معداته قد وصلت إلى منطقة بخمة، وكلفتها لا تقل عن مئتي مليون دولار وكلفة اقامة السد الكلية مليار دولار. وحين قامت الحرب قام السيد (س) نفسـه الـذي أشـرنـا اليه، وكان من رجال صدام المعدودين في كردستان، بتفكيك الاجزاء وبيعها كسكراب «خردة» حديد إلى تجار ايرانيين واتراك بما لا يزيد عن ٢٠ مليون دينار!

هذه جريمة كبرى بحق الاقتصاد الوطني. ومثلها نهب المرصد الفلكي العراقي قريباً من جبل هندرين. وقد اقترف هذه الجرائم اناس ربتّهم السلطة بتقاليدها. لكن المأساة تكمن في «جرائم» أخرى، لا يمكن للمرء اطلاق الحكم عليها بسهولة.

خذ مثلاً حالـة مئـات آلاف الجياع الـذين أضيف إلى جوعهم، الشعـور بعدم الاطمئنان حتى إلى المستقبل القريب، مثل حالة المهجرين الذين لا يستطيعون زراعة أرضهم، كما أشرنا. ان هؤلاء الناس مجبرون على وضع اليد على كل ما تقع اليد عليه وتحويله إلى نقود لأنهم لا يعرفون ما يخبيء القدر لهم غداً. بل ان الرفيق أبو دلشاد يحدثنا عن حالات تواطؤ بين رجـال الصليب الأحمـر الدولي وعناصر محسوبة على البيشمركه





(٩) التدمير في هيرانه والحياة تستمر: مستوصف ميدان أليم فوق الانقاض.

لسرقة التموين وبيعه في السوق السوداء أسوة بما تعلمّوه من أساليب بيع الحزب الحاكم للمعونات الدولية!

وماذا تريد سلطة صدام حسين أكثر من هذا؟ اشعار الجماهير بان الأمن قد غاب بغيابها هي عن ساحة السيطرة على ضحاياها.

ما العمل؟

حين تتوجه بالسؤال عن كيفية تجاوز الآثار السلبية، ليس ثمة جواب «وحد». حرب الشائعات تصل إلى هذا الميدان أيضاً.

ولأن الجبهة الكردستانية لم تتعاط، حتى الآن، مع الوضع بوصفها قيادة سياسية، أو ادارة للمناطق المحررة، فان التشابك بين أوضاع كردستان وأوضاع باقي العراق الخاضع المدكتاتورية وفوضاها لا يزال قائماً.

تاجر من انصار صدام كان يتابع «معاملة قضائية» له في مقر الهيئة العامة للجبهة في خليفان. سألته عن طبيعة «شكواه القضائية» فاستفاض في الشرح لكي يبين لنا كيف ان «الجهل» يجعل الناس يعتقدون ان التهريب يضر بالاقتصاد الوطني في حين انه «على حد تعبير التاجر» «يجلب للبلاد عملات صعبة مقابل التخلص من السيارات الفائضة عن الحاجة»!

السيارة تباع بثلث قيمتها بالضبط في مراكز التهريب بفعل انهيار سعر صرف الدينار العراقي. والفرق يذهب إلى جيوب هؤلاء اللصوص الذين صنفتهم غرف التجارة العراقية كتجار. وهكذا فان عليك ان ترى بعينك نهب العراق الذي يتم احياناً كثيرة تحت شعارات «قومية» كما يحدث مع سوق الاردن التي يسعى نظامها إلى فك أزمته الاقتصادية من خلال تشجيع تجّاره وصنّاعييه على نهب العراق مقابل تقديم ما يعادل ربع قيمة المواد المنهوبة في صورة مواد غذائية ترتفع أسعارها بالمقابل ولا يعود المواطن متوسط الدخل قادراً على شرائها.

بالطبع ليست الافواج الخفيفة وعناصرها وحدهم مسؤولين عن هذه الظاهرة. جياع يريدون تحويل كل ما يقع تحت يدهم إلى نقود يسدون بها رمق معيشتهم. ومناضلون لا شك في تضحياتهم، قضوا أكثر من عقد من السنين بعيداً عن المدن والمحتشدات الجماهيرية، واذا بهم يجدون انفسهم فجأة مطالبين بادارة حياة مجتمع ابتعدوا عنه، بسبب دفاعهم عنه، ولا يعرفون كيفية التعامل مع ظواهر حضارية معقدة.

لبنان جديدة؟ هذا ما يريده صدام وجلاوزته بالتأكيد ليثبتوا انهم البديل الوحيد القادر

على ضمان سير المجتمع. لكن الأمر ليس كذلك بالضبط. في السليمانية واربيل ودهوك ليس ثمة مقرات للاحزاب المؤتلفة في (جك). اتفق الجميع على إغلاق مقرات الاحزاب وابقاء مقر واحد للجبهة الكردستانية لكي لا تنفلت الأمور. ومُنع أي حزب من الاحتفاظ بسجون خاصة به أو أسر أي شخص، بل مُنع أي عنصر حزبي من دخول مراكز المحافظات بسلاحه إن لم يكن ضمن العدد المتفق عليه مع المحافظ من عناصر البيشمركَه الذين يحق لهم التجول باسلحتهم في داخل المحافظات الثلاث.

لكن المشكلة لا تكمن هنا، بل في الجوع وحياة التشرد التي تواجهها جمهرة كبيرة من سكان كردستان، وهي ظواهر لا يمكن حلها مع بقاء السلطة الحاكمة. حين نسأل عن الحياة الاقتصادية في المدينة الكردستانية تجابه دائماً بسؤال معاد: من يطلب منتجات المدينة اذا كان الوضع كاسداً. في طاسلوجه، قريباً من السليمانية، يعمل خط انتاجي واحد من اثني عشر خطاً في معمل السمنت، وفي اربيل، توقفت أهم معاملها، وهي معامل الكاشي والطابوق والمواد الانشائية لأن سعر طن السمنت بلغ ١٢٠ ديناراً، ولأن المواد الأولية الأخرى شحيحة والطلب معدوم تقريباً على منتجات البناء.

ولأن الشعب لا يثق بالسلطة، فان كل ممتلكات الدولة عرضة للنهب، من سيارات نقل القمامة إلى معدات المستوصفات.

ما العمل؟ سلطة تثق بالشعب ويثق الشعب بها!



رأي
بشأن الاحداث الاخيرة في الاتحاد السوفييتي

في ١٨ - ٢٠ آب ١٩٩١

د. عبد الحميد بخش (ابو زكي)

كان الحدث مفاجأة ولا مفاجأة في آن واحد. وهو اذ تم لا بالاعتماد على الطرق الشرعية، وليس بالاستناد إلى المؤسسات المنتخبة للدولة وإلى للحزب والجماهير، مع تجاهل الوقائع الجديدة في المجتمع السوفييتي وفي العالم، واذ اتخذ شكلاً انقلابياً فوقياً انعزالياً واضحاً، فانه يظل حدثاً تكتنفه ويحمل في طياته كثرة من الالغاز. وهذه الالغاز تحيط بمقدمات الحدث وطريقة حدوثه وباسماء ومواقع القائمين به، بموقف غورباتشوف ويلتسن وشيفرنادزه ووسائل الاعلام ودوائر المخابرات الغربية وبالقوى التي تصدت له وطرق تعاملها معه. كما انها ترتبط بفشله وطريقة انتهائه وبنتائجه وبمستقبل التطورات اللاحقة في الاتحاد السوفييتي ذاته. واذ يمكن القطع الآن بأن الانقلاب كان عملاً أحمقاً وعواقبه وخيمة على المجتمع والدولة والحزب في الاتحاد السوفييتي، فان اعطاء تحليل وتقييم متكاملين واستخلاص الاستنتاجات بشأن الحدث واستيعاب دروسه بشكل كامل وفك جميع الغازه الآن أمر غير ممكن ولأسباب كثيرة. ان آفاق التطور اللاحق في الاتحاد السوفييتي حبلى بمختلف التوقعات. فالاسباب التي ولدت الانقلاب ما زالت قائمة ويزيد من تفاقمها ردود الفعل الدراماتيكية والمؤلمة، وخاصة السياسية التهديمية الهجومية العشواء والهوجاء، وسياسة اصدار المراسيم، وهي سياسة غير ديمقراطية، يتبعها يلتسن ومن يحيط به ومن هم وراءه، اضافة إلى عجز غورباتشوف عن «الوقوف على رجليه» وتجميعه للقوى البناءة، الديمقراطية الاصلاحية حقاً دون زيف، في المجتمع للتصدي للاخطار (علماً بأن

هناك قوى ومصادر داخلية وخارجية تشكك في سلامة موقفه تجاه الاحداث وما أعقبها، ولربما تستهدف زعزعة موقعه وازاحته لاحقاً). ويمكن القول بأن تصدعاً كبيراً يفوق توقف اعادة البناء والاخطاء التي رافقتها وفقدان الوضوح في أهدافها ثم تعثرها، قد حل في الاتحاد السوفييتي لا يمكن ترميمه بسهولة. وهذا التصدع يتجلى في:

- تصدع وحدة المجتمع السوفييتي والدولة السوفييتية، بل وهناك أخطار تمزقه والاحتراب في داخله، وتيسير التدخل الغربي في شؤونه وتقرير أشكال مستقبله.

- تصدع، بل تداعي الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي وتصدع الاحزاب والمنظمات الحزبية في الجمهوريات السوفييتية. وقد أصبح الشيوعيون واحزابهم وتنظيماتهم في مركز رد الفعل السلبي تماماً للاحداث الأخيرة والهدف الأساسي للضربات الرئيسية للقوى الرجعية والمرتدة بسبب توقف قيادة الحزب من الاحداث ومن مجموعة الثمانية، اضافة إلى التعقيدات والمصاعب التي تحيط بهم جراء الاخطاء والانحرافات والتشويهات والانتهاكات والمفاسد الماضية. وأهم من ذلك كله عجز الحزب عن اجراء التغييرات الجذرية الضرورية وأخذ المبادرة في تحقيقها على نطاق الحزب والدولة والمجتمع، حتى يخشى من ان يكون قد فقد القدرة على المبادرة تماماً للقيام بذلك، بل انه قد فقدها فعلاً وحقاً. وهذا ما يهدده الآن، ويهدد مستقبل وجوده كقوة أساسية مؤثرة. فكم من الضروري ان يتعض من دروس البلدان الاشتراكية التي كان للقيادة السوفييتية دور في انهيارها ومأساتها.

- تصدع القوة الاساسية للسلطة السوفييتية، بما فيها الجيش والمخابرات. ان الضربات ستظل توجه إلى هذه الاجهزة حتى تفكيكها. وبهذا يقصم ظهر السلطة السوفييتية كي لا تستطيع من النهوض من كبوتها لتتجاوب مع متطلبات التطور، ومتطلبات الواقع المزمن، حتى يتم الاجهاز عليها. ولهذا تأثير سلبي لا تعرف حدوده بالنسبة للتطور العالمي كله، وبالنسبة لمجموعة حركة التحرر والديمقراطية والتقدم الاجتماعي العالمية، حيث ستكون حركة فقدت مرتكزها السياسي والاجتماعي العالمي.

- تصدع في المسيرة الديمقراطية في المجتمع. ويتضح ان القوى الديمقراطية السليمة النزيهة المخلصة في الحزب والدولة والمجتمع قد أصابها التفكك والوهن، وستظل تضعف وستغدو أكثر عجزاً في الحركة والتأثير (إن لم تحزم أمرها وتوحد صفوفها اليوم وليس غداً)، مقابل ازدياد قوة وحيوية ونفوذ القوى المتلبسة بلباس الديمقراطية المزيفة والكاذبة في تطور الحياة السياسية والاجتماعية بما يحرفها عن السير الحقيقي نحو الديمقراطية ومجتمع القانون والعدالة الاجتماعية، وبما ينتقص من سيادة البلاد ووحدة أراضيها وقدرتها على تأمين ظروف وقف التدهور والخروج من الأزمة وخلق شروط الازدهار

الاقتصادي والاجتماعي والثقافي اللاحق. لقد لحقت بالأولى هزيمة اخلاقية ومعنوية كبيرة. في حين كسبت الثانية زخماً جديداً، اخلاقياً ومعنوياً، لمواصلة تعزيز مواقعها وتأثيرها، توفره لها قوى اعداء الشيوعية والديمقراطية والتقدم، بالاستناد إلى القوى الضالة والمتذبذبة والتائهة اليوم في ظل الضياع والمتاهة وفقدان الاتجاه في الميدان الفكري والموقف الاجتماعي، ازاء ما يحدث وفي ظل ضغط الأزمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والروحية والاخلاقية التي تعم البلاد، وبتضليل واستغلال موقف الحيرة والانذهال لدى القوى الديمقراطية التي لا تجد في الاشتراكية السابقة طريقاً لتحقيق أمانيها الديمقراطية والانسانية العامة. لقد تقلص إلى أبعد الحدود المجال أو الحيز الذي تتحرك فيه قوى الاشتراكية، أي القوى الديمقراطية الانسانية حقاً.

ـ انهيار الموقع الدولي للاتحاد السوفييتي والاختلال الكبير في موازين القوى في العالم.

ـ ولكل ذلك تأثيره الخطير على وجود وتطور حركة التقدم والاشتراكية في العالم. وعلى التطور العالمي. وهذا التأثير بالطبع لن يكون لصالح التقدم والأمن في العالم، بل لتعزيز نهج الهيمنة الامريكي عليه.

قبل ما يزيد على خمسة أعوام بقليل أعلن ريغن في لندن بأنه قد آن الأوان لالقاء الشيوعية في مزبلة التاريخ. واليوم (٢٧ آب ١٩٩١) يعلن جورج بوش ان الحركة الشيوعية (وليس النظام الشيوعي ـ الكاتب) قد انتهت وانها تزول من التاريخ. وكما كشف الأول عن نيته ووجهة نشاط امريكا وحلفائها ازاء التطورات في الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية بعد الاعلان عن البريسترويكا وطريقة التفكير السياسي الجديد وللتأثير فيهما، يكشف الثاني عن نية ووجهة نشاط وحركة النظام الرأسمالي العالمي للتخلص من تأثير الفكر والنشاط الاشتراكي على التطور العالمي، بما يؤمن له البقاء والهيمنة الكاملة على العالم.

ان كل ما جرى في الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية السابقة وفي الحركة الشيوعية منذ خمس سنوات حتى الآن، هو بالمعنى الحقيقي وبالنتيجة انتكاسة، بل هزيمة ساحقة للفكر الاشتراكي السائد حتى الآن، للمنهج السياسي المتبع حتى الآن، للأشكال التنظيمية المعمول بها حتى الآن، وللقيم والمبادىء الاخلاقية والروحية الجامدة التي جرى التمسك والتشبث بها حتى الآن، والتي قيدت المبادرة الفكرية والروحية والعملية، الفردية والجماعية، حتى أفلست بعد ان زوقت وزورت الواقع الاجتماعي بما فيه الكفاية، إلى حد انها آلت إلى قيود كبلت القدرة الابداعية في الحزب والمجتمع.

ماذا كان يراد من «اعادة البناء» ومن «التجديد»، وبأي اتجاه؟ لا أحد يعرف. لم يعرف أحد منها سوى تهديم القديم بنواقصه وعيوبه، أما تشخيص الأفق والتخطيط

والاعداد وتجميع القوى والاحتياطات والموارد والتخلص من المفسدين واصنام الجمود والتخلف والبيروقراطية، وتبصير الشيوعيين والجماهير بكل ذلك، فقد تعثر ولم يكن واضحاً أو قد تأجل تحت ضغط عوامل جمة، داخلية وخارجية. لقد اكتسحت لا النواقص والعيوب في الاشتراكية السابقة، بقدر ما انصبت الجهود على نحو آخر، بما خدم أهداف معاداة الشيوعية بوصفها عقيدة ونهج سياسي وسلوك عملي لأعتى القوى السوداء في العالم وأكثرها رجعية وجشعاً. وجرى استغلال كل ما أفرزته اعادة البناء وعملية التجديد والتفكير السياسي الجديد من نتائج ايجابية على الضد من غاياتها الانسانية الاساسية. والسبب في ذلك هو التلكوء والتقاعس في تشخيص الطريق والمخرج من الأزمة الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والروحية والاخلاقية وتأمين آليات وقوى تحقيق ذلك. ان التردد وفقدان الجرأة والشجاعة والجمود والانشداد بقيود ثقيلة محكمة بالماضي، وغير ذلك، أتاح امكانية عدم القدرة على الاستغلال الأمثل والأعجل للفرص التاريخية التي أطلقتها الدعوة لاعادة البناء لكي يتلمس الجميع طريق المسيرة التالية لتطوير الاشتراكية كفكر ونظام، ووفر لاعدائهما امكانية استغلالها وتكريسها لالحاق الهزيمة بهما. فهل جرى الاتعاض من ذلك. ان الحركة الانقلابية تدحض ذلك. ولا شك ان فشل حركة الانقلاب قد هز وسيهز بالتأكيد تلك الرؤوس المتيبسة في الاحزاب الشيوعية التي أصرت وما تزال تصر على مواصلة السير في الطريق المهزوم المسدود. وستلحق اضراراً جديدة بهذه الاحزاب وبحركة التحرر والديمقراطية والتقدم اذا ما ظلت هذه الرؤوس المتحجرة هي القوى المقررة فيها. واذا لم تكتو بنار التجربة المرة الحارقة الهالكة.

ما كان يمكن ترميمه قبل عقدين أو عقد أو نصف عقد من السنين لم يعد قابلاً للترميم. والترميم لم يعد هو الوسيلة الناجعة لمعالجة ما لحق بالاشتراكية كفكر ونظام واحزاب. لقد تغير الواقع الاجتماعي جذرياً في كل مكان وأخذت قوانين التطور الاجتماعي والتاريخي الموضوعية تأخذ منحى ومنعطفاً جديداً نوعياً في فعل مفعولها. وعلى الفكر الاشتراكي والنهج السياسي الاشتراكي والتنظيم السياسي والاجتماعي الاشتراكي، وطريقة تفكير الاشتراكيين الحقيقيين وسلوكهم السياسي، وأساليب عملهم ونشاطهم وتنظيمهم ونظرتهم إلى الاحداث والظواهر والعمليات وتقييمهم لها وتحديد موقفهم منها، ان تتغير، لا بمعنى التجديد ولا اعادة البناء. فالخرائب لا يمكن اعادة بنائها، والقيم والاحلام التي انقض عليها الزلزال فحولها إلى ما يشبه الركام لا يمكن تقويمها إلا بالالتصاق بالواقع الجديد، والواقع الملموس، كي تكون هي بذاتها واقعية وجذابة. المطلوب هو التغيير الجذري، بمعنى تشييد بناء جديد، أي فكر جديد قابل للتطور باضطراد مع تطور الواقع الاجتماعي ومع تطور الحاجات الموضوعية، المادية

والروحية، للمجتمع، وتنظيم جديد يتوافق مع المهمات التي تطرحها الحياة ويتكيف مع تغييرها، وقيم جديدة وفقاً للمواصفات والشروط والظروف والأذواق والمشاعر والاحاسيس والحاجات الروحية الجديدة التي ولدتها وتولدها حاجات الواقع الجديد وآفاق تطوره. وهذا ما يشكل ضرورة موضوعية لمن يريد البقاء والتواصل والارتقاء. وهذه الضرورة تفرض نفسها اليوم على الجميع بالحاح. وكل تلكوء وتأجيل، بأي مبرر كان، لا يعنيان سوى الكارثة. وهذه الضرورة حالة فريدة في التاريخ، فرضها تغيير نوعي جذري عميق في كل جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية في العالم. وهي تستدعي من كل حزب ومنظمة سياسية واجتماعية، بل وكل انسان شريف، أينماكان، ان يصحو على نفسه ويحتكم إلى عقله وضميره، وليس إلى عواطفه ومشاعره، ويسهم، حسب طاقاته، في ان لا يكون التغيير المنشود في غير صالح البشرية والقيم الانسانية الرفيعة والقضايا العادلة لكل البشر، قضايا تأمين الديمقراطية وحقوق الانسان، قضايا تحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة بين الشعوب وضمان حريتها وحقها في اختيار سبيلها ومستقبلها وتقرير مصيرها، وأمنها وسلامتها وسعادتها.

ان قوى حركة التحرر والديمقراطية والتقدم الاجتماعي والاشتراكية في كل أنحاء العالم، أي قوى اليسار الديمقراطي العالمية ما زالت تمتلك الكثير من القوى والامكانيات، وما زالت مقتدرة على تعبئة احتياطات جديدة لتأمين مسيرة التقدم الاجتماعي والعدالة الاجتماعية. انها تمتلك تجربتها النضالية الثرة وتاريخها المشرف حيث ارتبطت منجزات جميع الشعوب في القرن العشرين برؤيا هذه الحركة وما رسمته وحققته من مهمات وأهداف بنضالات مفعمة بنكران الذات والمعاناة والتضحيات والبطولات. انها تمتلك التجربة الراهنة، المرة والقاسية للعامين الأخيرين، التي مرّ بها ويجتازها الاتحاد السوفييتي وبلدان اوربا الشرقية، التي تؤكد على ان الرأسمالية لا تستطيع تحقيق العدالة الاجتماعية. اذ جرى التطاول على المنجزات الاجتماعية للشغيلة وتفاقمت البطالة لتشمل ملايين الشغيلة، وظهر في هذه البلدان التفاوت الاجتماعي الحاد والجوع والغلاء والحرمان وانفلات الجريمة والمضاربات ومختلف مظاهر الرأسمالية المتوحشة التي تذكر البشر بوسائل تراكم الرأسمال البدائي. ان الرأسمالية مهما تقدمت وتطورت، لا تستطيع تصفية الاستغلال ولا تستطيع التخلي عن نهج الهيمنة السياسية والاقتصادية على العالم. انها تؤكد مرة أخرى ان لا مستقبل لها في المدى البعيد رغم قدرتها على التكيف مع الواقع الجديد. وهذا لا يعني ان مهمات حركة التحرر والديمقراطية والتقدم الاجتماعي والاشتراكية يسيرة بسيطة وواضحة، بل العكس. والمهم ان لا تصاب بالهلع واليأس والتشاؤم، بل عليها ان تتمسك بزمام أعصابها وارادتها، وتتبصر واقعها، وتعد نفسها للبقاء

والحركة في ظروف معقدة وصعبة جديدة، نحو أفق غير خيالي أو حلم طوباوي، في ظروف التطور السلمي والديمقراطي للمجتمع الانساني. وهذا التطور لا يخضع لرغبة أو ارادة ذاتية. الاساسي الآن، بالنسبة للجميع، وعي الواقع، وعي الضرورة، الاعداد للاستجابة لها، والتخلص من أعباء ما خلفته التجربة الماضية من نواقص وعيوب، والكف عن التحليق في أجواء الأوهام والأحلام، والنزول إلى الواقع لتحقيق المهمات الملموسة في اللحظة التاريخية الراهنة.

حوالي ثلاثة عقود مرت منذ ان أنقطع حبل الوحدة في الحركة الشيوعية والعمالية العالمية. وعجزت عن عقد لقاء لها خلال العقدين الاخيرين للبحث الجدي والمسؤول في حالتها وفي ما استجد من تطور في الأوضاع ولتدرس الظواهر والعمليات الجديدة التي برزت في حياة المجتمع البشري وتعد نفسها للتصدي للمهمات التي تطرحها الحياة المعاصرة. وكان الحديث يدور حتى الأمس القريب عن هذه الظاهرة المؤلمة دون بحث أسبابها وتحديد طرق جديدة لتجاوزها. في حين كان يحز في النفس قدرة الأممية الاشتراكية والدولية للمحافظة على انتظام لقاءاتها وسعيها للتكيف مع مستلزمات الواقع الجديد. ونحن اليوم شهود على حرص الانظمة الرأسمالية المتقدمة، دول اوربا الغربية وامريكا واليابان، على تبادل الرأي وعلى الالتقاء لتقرير مصير التطورات العالمية وتحديد الموقف من الاحداث الهامة المختلفة للتأثير الموحد فيها لصالحها. وها هي تركز وتوحد جهودها للتأثير في التطورات والاحداث في الاتحاد السوفييتي وتقرير شكل تطوره اللاحق. وبالتالي استطاعت الافادة بما لحق به وبدول اوربا الشرقية للتخفيف من او التستر على عاهاتها ومصاعبها وتناقضاتها، بحيث أخذ بوش يتحدث عن وحدانية الزعامة الامريكية في العالم.

أفليس الأحرى بقوى الاشتراكية والديمقراطية والتقدم في كل أنحاء العالم ان تتحسس تفكك قوتها ووحدتها وضعف تأثيرها جراء تفرقها وانشغال كل جزء منها بقضاياه الخاصة، وتعالي هذا الجزء أو ذاك على الآخرين أو ادعائه بأن الحقيقة له وحده دون غيره. الخ، وان تسعى للالتقاء، بهذا الشكل أو ذاك، ولتبادل الرأي بهذا الشكل أو المستوى أو ذاك، لبحث ما استجد من تطورات في العالم وما حدث في الاتحاد السوفييتي الذي كان يشكل قوة هائلة من القوى المؤثرة في التطور العالمي لصالح الشعوب وأمنها وسلامها؟ أليست عواقب هذه الاحداث تمس كل جزء منها، وكل شعب وبلد؟ ليس هناك فصيل من هذه القوى لم يحض بالدعم، المادي والمعنوي، لنضالها من قبل الاتحاد السوفييتي والحزب الشيوعي فيه طيلة الأربعة وسبعين عاماً الماضية. أفليس من الواجب اخلاقياً أولاً وسياسياً ثانياً، ان تجد الاحزاب الوطنية والديمقراطية والاشتراكية والشيوعية (بل وحتى

الانظمة الحاكمة التي أغرقها الاتحاد السوفييتي بافضاله) طريقاً لاسناد القوى الديمقراطية الحقيقية والاشتراكية الحقيقية في الاتحاد السوفييتي كي تتجاوز المحنة التي تعيشها وللضغط على قوى الظلام والردة في العالم كي تكف عن سياسة التضليل بشأن ما يحدث وعن دفعها للأمور في الاتحاد السوفييتي بالضد من مصالح شعوبه، وعن التدخل في شؤونها وطريق تقرير مستقبل تطورها، وبهذا تخفف من حالة التشاؤم واليأس والشعور بالخذلان عند الكثير من الشرفاء في العالم.

ان موقف انتظار من يبادر لمثل هذه اللقاءات ـ كما يبدو ـ قد ترسخ عند الجميع. اذ كان هذا الجميع، أو جزء كبير من هذا الجميع، قد اعتاد على ان يتجه بانظاره إلى الحزب الشيوعي السوفييتي لأخذ زمام المبادرة واستخدام نفوذه وتأثيره لعقد اللقاءات العالمية. وبالطبع فان هذا الحزب لم يعد قادراً على القيام بهذا الدور. وكما يبدو فانه سيدخل طاحونة الملاحقات ازاء سياسة «صيد القمل!» التي أخذت تروج هناك. ان مسؤولية المبادرة للتداول في هذه الأمور وللقاء تقع اليوم على الجميع وعلى كل جزء من هذا الجميع، وعكسه لا يعني سوى الاستسلام لخيبة الأمل على الأقل.

أما بالنسبة لنا نحن الشيوعيين العراقيين، كأعضاء وكحزب، فبالرغم من امجادنا الوطنية ودورنا المشرف في رسم التاريخ السياسي لوطننا خلال ما يقرب من ستة عقود، فاننا قد عانينا من الاحباطات والانتكاسات والخيبة مراراً كثيرة. وها نحن نعاين ونعايش ونكتوي بمأساة شعبنا وكارثة وطننا. فما أحوجنا إلى بناء حزبنا من جديد، وليس تجديده واعادة بنائه القديم بل اعادة تأليفه على أسس فكرية وسياسية وتنظيمية جديدة، تؤهله لأن يتخلص من أزمته وانعزاله وضعف تأثيره، ليكون قوة أساسية، ديمقراطية فعالة في مجتمعنا. لقد تخلفنا كثيراً، ونحن نجني ثمار التأخر. وأية ذريعة جديدة للتلكوء والمماطلة ما هي إلا التصفوية بكامل معناها ونتائجها بأي شكل تزيت.

٢٧ آب ١٩٩١



آفاق الاقتصاد العراقي كما طرحها النظام

ترجمة هاشم

في ١٨ نيسان الماضي سلّم د. عبد الامير الانباري، مندوب العراق الدائم في الأمم المتحدة، مذكرة من الحكومة العراقية إلى الأمين العام للمنظمة الدولية بغية توزيعها على رئيس وأعضاء مجلس الأمن. وكانت المذكرة على هيئة تقرير حول مشاكل الاقتصاد العراقي ولاسيما بعد فرض الحظر والتدمير الهائل الذي تعرض له الاقتصاد في أعقاب اجتياح وضم الكويت. وتقترح الحكومة العراقية في ختام التقرير اعطاءها مهلة لا تقل عن خمس سنوات قبل البدء باقتطاع نسبة من عوائد الصادرات النفطية لتسديد تعويضات الحرب التي فرضها مجلس الأمن على العراق، بموجب القرار رقم ٦٨٧.

جدير بالذكر ان مجلس الأمن قد حدد نسبة الاقتطاع في الآونة الأخيرة بثلاثين بالمائة من العوائد وسمح بتصدير ما قيمته ١٦٠٠ مليون دينار من النفط خلال ستة أشهر شريطة ان تتولى الأمم المتحدة الاشراف على انفاق ما يتبقى للعراق من هذا المبلغ على استيراد الغذاء والدواء وتوزيعهما في العراق.

ولابد من تنبيه القارىء إلى ان المبالغ الواردة بالدينار العراقي في التقرير تقوم على أساس السعر الرسمي لصرف الدينار بما يساوي ٣,٢٠ دولار اميركي. هذا مع العلم ان سعر صرف الدينار قد تدهور بحيث أمسى الدولار يباع في السوق بحوالى ستة دنانير.

وفيما يلي ترجمة للنص الانكليزي لتقرير (أو مذكرة) الحكومة العراقية عن مجلة MEES في عدد مايس.

هناك التزامات مالية كبيرة تواجه الاقتصاد العراقي بالاضافة إلى متطلبات أساسية ضخمة، وتشمل خدمة الديون الخارجية، وتلافي العجز في توفير الغذاء، وتلبية الطلب المحلي على السلع والخدمات الاجنبية لاغراض الاستهلاك، واعمار ما دمرته الحرب، والاستثمارات اللازمة لضمان استقرار وتوازن الاقتصاد الوطني.

نعرض ادناه موجزاً لالتزامات العراق المالية لخدمة ديونه الخارجية، وحاجته الأساسية من العملة الاجنبية، وابرز نواحي القصور البنيوي التي يعانيها الاقتصاد العراقي:

أولاً : الالتزامات المالية

بلغت ديون والتزامات العراق الخارجية ١٣١١٨ مليون دينار عراقي، أي ما يساوي ٤٢٠٩٧ مليون دولار اميركي وذلك في ٣١ كانون الثاني ١٩٩٠، ما عدا الفوائد المستحقة (كما يظهر في الجدول الملحق بالتقرير فان الفوائد على أصل الديون وعلى العجز المتراكم في اقساطها غير المسدّدة قد قُدرت بنسبة ٨٪ سنوياً - المحرر).

وفيما يلي جدول لمبالغ هذه الديون والالتزامات حسب سنوات استحقاقها:

	مليون دولار
المبالغ المستحقة وغير المدفوعة حتى نهاية ١٩٩١	٢٣٤٦٨
١٩٩٢	٤٩٢٢
١٩٩٣	٤٨٤٤
١٩٩٤	٤٦١٢
١٩٩٥	٢٩٥٠
المبالغ المستحقة بعد ١٩٩٥	١٣٢١
المجموع	٤٢٠٩٧

ان مشكلة الديون الخارجية للاقتصاد العراقي لا تكمن في حجمها فقط (فهي تشكل ٦٥٪ من الناتج المحلي الاجمالي) بل تمتد إلى صعوبات خدمة الديون، وذلك لأن ٩٧٪ من هذه الديون يستحق اوان تسديدها خلال السنوات الخمس القادمة.

ثانياً : الاحتياجات الأساسية

تشمل هذه الفقرة برامج الاستيراد، واعادة بناء مخزونات الاغذية والسلع الأساسية، وتكاليف ترميم جزء مما دمرته الحرب في القطاع المدني ومواصلة تنفيذ مشاريع التنمية الجاري اقامتها.

ويظهر من الجدول الملحق ان هذه الالتزامات اللازمة للاغراض المذكورة تبلغ ٤٣٤٠٠ مليون دينار (على أساس السعر الرسمي للدينار ـ المترجم) وهذا يعني ان المعدل السنوي للالتزامات هو ٨٧٠٠ مليون دينار خلال سنوات ١٩٩١ ـ ١٩٩٥، في حين بلغت التقديرات لسنة ١٩٩١ وحدها ٧٠٠٠ مليون دينار. وهذه المبالغ تمثل الحد الأدنى الذي يحتاجه العراق لاعادة الحياة إلى حالتها الطبيعية. وادناه ملخص للفقرات الرئيسية من الاحتياجات الأساسية:

١ ـ برنامج الاستيراد:

يقدر مجموع التخصيصات لبرامج الاستيراد خلال السنوات الخمس القادمة بحوالي ١٥١٠٠ مليون دينار، منها ٢٤٠٠ مليون دينار لسنة ١٩٩١ وحدها. وقد جرى تقدير حاجة العراق من الاستيراد على أساس برنامج الاستيراد لسنة ١٩٨٩، الذي كان يتميز بالاعتدال والتركيز على السلع الأساسية. وفيما يلي المجاميع الرئيسية لبرامج الاستيراد خلال السنوات القليلة القادمة.

أ ـ السلع الأساسية (الغذاء والدواء)

خُصص مبلغ ٤٥٣٢ مليون دينار لسلع الغذاء والدواء في برامج الاستيراد للسنوات الخمس القادمة، مقابل تخصيص ٧١٣ مليون دينار في برنامج ١٩٩١ لاستيراد الاغذية والادوية الأساسية.

ب ـ سلع استهلاكية أخرى ومواد أولية

خُصص مبلغ ٧٣٥٧ مليون دينار لهذه المجموعة من السلع بمعدل سنوي مقداره ١٤٧١ مليون دينار، وهو يمثل ٤٩٪ من تخصيصات برامج الاستيراد، أما تخصيصات سنة ١٩٩١ لاستيراد هذه الاصناف من السلع والمواد فبلغت ١١٥٨ مليون دينار.

جـ ـ السلع الانتاجية

خُصص مبلغ ٣٢١٨ مليون دينار لاستيراد هذا الصنف بمعدل سنوي مقدار ٦٤٣ مليون

دينار، أي ٢١٪ من مجموع تخصيصات برنامج الاستيراد. أما تخصيصات برنامج الاستيراد لسنة ١٩٩١ لهذه السلع فبلغت ٥٠٧ مليون دينار.

٢ - اعادة بناء مخزونات الغذاء والسلع الأساسية :

نتيجة للحصار الاقتصادي استنفدت الحكومة مخزونها الستراتيجي من الاغذية والمواد الاولية والوسيطة. كان العراق يبقي ما يعادل ٢٥٪ من استيراداته كمخزون ستراتيجي للطوارىء. ولاعادة بناء هذا المخزون، تدعو الحاجة إلى تخصيص ٧٣٥ مليون دينار للفترة ١٩٩١ - ١٩٩٥. ومن المتوقع تخصيص ٢٨٣ مليون دينار خلال ١٩٩١ (لهذا الغرض) أي ١٥٪ من مجموع استيرادات ١٩٩١.

٣ - ترميم ما دمرته الحرب :

دمرت الحرب بنية ارتكازية ومنشآت ضرورية للحياة الاقتصادية والاجتماعية في البلاد، مما خلق حالة خطيرة من الضعف والعوائق في الاقتصاد. ويتوقع ان تستمر هذه الحالة لوقت طويل ما لم يُعجل ترميم واعمار دمار الحرب في القطاع المدني.
وسوف ينصب اهتمامنا على تكاليف اعمار تلك المصانع المدمرة التي لها أهمية خاصة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية بعد الدمار المادي للحرب، بصورة مباشرة وغير مباشرة.
ان تكاليف اعمار هذه المصانع تقدر بحوالي ٨٠٠٠ مليون دينار، ٨٠٪ من هذا المبلغ بالعملة الاجنبية أي ما يعادل ٦٤٠٠ مليون دينار (بالسعر الرسمي للدينار طبعاً - المترجم). أما سنة ١٩٩١ فيتوقع تخصيص ٦٠٠ مليون دينار لهذا الغرض. ولا تشمل هذه التكاليف (المقصود الخسائر - المترجم) الاضرار غير المباشرة كتوقف الانتاج، ومختلف أشكال الدمار الاجتماعي والبشري، والدمار العسكري، ودمار منشآت الطاقة النووية والصناعات العسكرية، ودمار منشآت القطاع الخاص، اوالضرر الذي لحق بالمنشآت الواقعة في المناطق العراقية حيث توجد قوات عسكرية اجنبية.

٤ - التزامات ضمن خطة التنمية :

كانت تخصيصات الاستثمار للفترة ١٩٩١ - ١٩٩٥ حوالي ٢٨٧٠٠ مليون دينار،

وهي تمثل الحد الأدنى الضروري لتحقيق معدل واطيء جداً للنمو في الناتج المحلي الاجمالي غير النفطي، وهذا المعدل لا يتجاوز ٣,٤٪ سنوياً. وهو معدل ضئيل عندما يؤخذ بنظر الاعتبار نمو السكان بمعدل ٢,٨٪ سنوياً. ان ٦٠٪ من هذه التخصيصات هي بالعملة الاجنبية، بمعدل سنوي يعادل ٣٤٤٧ مليون دينار خلال الفترة المعنية. وتتوزع متطلبات العملة الاجنبية لخطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالنسب التالي: السنة الأولى: ١٩٪، السنة الثانية ١٨٪، السنة الثالثة: ٢٠٪، السنة الرابعة ٢٤٪، السنة الخامسة ١٩٪.

ثالثاً: العوائد المتوقعة

يتوقع العراق الحصول على ما يقدر بحوالي ٢٠٠٠٠ مليون دينار من عوائد النفط خلال الفترة ١٩٩١ ـ ١٩٩٥، منها ٥٣٩ مليون دينار متوقعة خلال ما تبقى من سنة ١٩٩١ على افتراض تصدير ٦٠٠ الف برميل من النفط الخام يومياً بسعر ١٦ دولار للبرميل، وذلك بسبب الدمار الكبير الذي لحق بمنشآت استخراج وتصدير النفط. وقدرت صادرات النفط بحوالي مليوني برميل يومياً لسنة ١٩٩٢، و٢,٨٥ مليون برميل يومياً لسنة ١٩٩٣، و٢,٩ مليون برميل يومياً لسنة ١٩٩٤، و٢,٩٥ مليون برميل يومياً لسنة ١٩٩٥.

الفجوة بين الاحتياجات والايرادات من العملة الاجنبية:

في ضوء المعطيات الواردة في الفقرتين اعلاه (أولاً وثانياً) تبلغ احتياجات العراق من العملة الاجنبية ما يعادل ٦٦٨٠٠ مليون دينار لكي يستطيع خدمة الديون الخارجية (أي تسديد الاقساط والفوائد المستحقة) وتدبير الحد الأدنى مما هو ضروري للاستهلاك المدني وللاستثمار، بالاضافة إلى ترميم واعمار تلك المنشآت الحيوية ذات الأهمية الخاصة للحياة الاقتصادية والاجتماعية التي دمرتها الحرب. ومن هذا المجموع سيخصص ما يعادل ٢٣٤٠٠ مليون دينار لتسديد الاقساط والفوائد المستحقة على الديون الاجنبية، وما يعادل ٤٣٤٠٠ دينار لاحتياجات الاقتصاد الوطني. وفي الوقت نفسه، فان مجموع ايرادات العراق للفترة ١٩٩١ ـ ١٩٩٥ لا يتوقع ان تزيد على ما يعادل ٢٠٣٠٠ مليون دينار ونسبة عوائد النفط منها ستكون ٩٨,٩٪ كما يبينه الجدول الملحق. وهكذا فان الفجوة بين الاحتياجات والعوائد المتوقعة من العملة الاجنبية سيبلغ مجموعها المتراكم

ما يعادل حوالي ٤٦٥٠٠ مليون دينار خلال الفترة المذكورة، أي ان معدل العجز السنوي سيبلغ ما يعادل ٩٣٠٠ مليون دينار. وينبغي ألا يغيب عن الاذهان ان العجز لسنة ١٩٩١ يتوقع أن يبلغ ١٤٩٠٠ مليون دينار. وضخامة العجز في هذه السنة ناجمة عن الحجم الهائل لاقساط الديون المستحقة في السنة نفسها اضافة إلى اقساط السنوات القادمة التي لم يحصل أي اتفاق بشأن اعادة جدولتها.

ان الشحة المتوقعة في عوائد التصدير للسنوات الخمس القادمة ستجعل الاقتصاد العراقي في وضع لا يُحسد عليه، وذلك لأن هذه العوائد لا تلبي الحد الأدنى من التزامات العراق المالية أو احتياجاته من الغذاء والدواء. ويمكن التوصل إلى هذا الاستنتاج من واقع انه سيحتاج إلى ما يعادل ٢٠٤٠٠ مليون دينار من العملة الاجنبية لخدمة الديون الخارجية (الاقساط والفوائد) المستحقة والتي ستستحق خلال السنوات الخمس القادمة، بينما سيكون مجموع عوائده لفترة ١٩٩١ ـ ١٩٩٥ ما يعادل ٢٠٣٠٠ مليون دينار، كما يتبين من الارقام ادناه:

١٩٩١ ـ ١٩٩٥	المبلغ بملايين الدنانير بالسعر الرسمي
الاقساط المستحقة	١٢٧٠٦
الفوائد (بنسبة ٨٪ على الديون الخارجية)	٢١٧٢
استيراد الغذاء والدواء (فوب)	٤٥٢٣
إعادة بناء مخزون الغذاء والدواء (لما يكفي استهلاك ٣ اشهر فقط)	٢٨١
اجور الشحن والنقل (١٥٪ من ثمن الغذاء والدواء المستوردين وحدهما)	٧٢٢
المجموع	٢٠٤١٣
عوائد التصدير	٢٠٣٠٣
العجز	١١٠

خامساً: مشاكل أساسية أخرى تواجه الاقتصاد العراقي

يتبين من المؤشرات الاقتصادية الأساسية ان هناك الكثير من الاختلال والمشاكل

التي تشوّه تخصيص الموارد، وتعيق عودة النشاط الاقتصادي إلى مستوياته المعتادة بالسرعة المطلوبة. وأهمها هي التالية:

١ ـ العجز المتراكم في ميزانية الدولة:

يبلغ العجز في الميزانية العامة للدولة ٤٢٠٠٠ مليون دينار، وقد موّل القطاع المصرفي ٣٥٠٠٠ مليون دينار (بمعدل سنوي مقداره ١٦,٦٪) بما يمثل ٢١٦٪ من الناتج المحلي الاجمالي في الوقت الحاضر.

٢ ـ التضخم:

ان ارتفاع الاسعار خلال الفترة ١٩٨٥ ـ ١٩٩٠، حسبما يعبر عنه الرقم القياسي لاسعار المستهلك، قد بلغ ١٢٦٪، بمعدل سنوي للتضخم بلغ ١٧,٧٪. وقد يرتفع معدل التضخم إلى ٢٣,٢٪، وهو ما يعكس التضخم المضمر حسب مؤشرات السيولة أو العلاقة من كمية النقد المتداول والناتج المحلي الاجمالي (لتكوين فكرة اقرب إلى الواقع عن التضخم انظر حركة اسعار المواد المعيشية في الجدول الذي الحقناه بالتقرير، ومصدره منظمة اليونسيف ـ المترجم).

٣ ـ هبوط النشاط الاقتصادي:

ان معظم القطاعات المساهمة في تكوين الناتج المحلي الاجمالي قد عانت من الانخفاض أو الهبوط في قيمتها المضافة محسوبة بالاسعار الثابتة. فهبطت معدلات نموها الحقيقي إلى ناقص ٣,٠٪ خلال الفترة ١٩٨٥ ـ ١٩٩٠. وأدى ذلك إلى هبوط الدخل الحقيقي للفرد بنسبة ٢,٨٪ سنوياً. وكان لهذا الهبوط عواقب سلبية على النشاط الاقتصادي من حيث الاستثمار والمستوى الفعلي للاستهلاك.

٤ ـ العجز في ميزان المدفوعات:

خلال الفترة ١٩٨٥ ـ ١٩٩٠ بلغ العجز في ميزان المدفوعات ما يعادل حوالي ٢٦٠٠ مليون دينار، وجرت تغطيته بالقروض الاجنبية. وقدر العجز في الحساب الجاري

بحوالي ٨٨٠٠ مليون دينار.

٥ ـ الديون الخارجية:

تراكمت المديونية الخارجية والالتزامات الخارجية فبلغت عند نهاية سنة ١٩٩٠ ما يعادل حوالي ٤٢١٠٠ دينار، باستثناء الفوائد المستحقة والمنح التي قدمتها دول الخليج العربية.

سادساً: مقترحات الحكومة العراقية

استناداً إلى الحقائق المشار اليها في هذه المذكرة، وكما بيّنا اعلاه، يبرز العجز المالي الهائل والفجوة الضخمة بين التزامات العراق واحتياجاته المالية، من جهة، وايراداته المحدودة وصادراته المتوقعة لسنة ١٩٩١ خاصة، وللسنوات التي تعقبها، من الجهة الثانية. وفي ضوء النتائج التي توصل اليها السيد احتساري مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة إلى العراق الذي قال في تقريره: «لقد أدت الحرب الأخيرة إلى عواقب أشبه بالخيال في البنية الاقتصادية التحتية (. . .) حيث بات الآن معظم وسائل الحياة العصرية خراباً أو مصابة بالهزال، فلقد تراجع العراق وسيبقى لبعض الوقت عند مستوى ما قبل عصر الصناعة. . .» (نشر النص الكامل لتقرير مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة في (طريق الشعب) عدد ١٥ أواخر ايار الماضي ـ المترجم).

[استناداً إلى كل ذلك] فان موارد العراق المالية في الوقت الحاضر، وتلك التي يتوقعها لسنة ١٩٩١ وللسنوات اللاحقة، لا تجعله قادراً، لوحده، على اعادة حياته الاقتصادية والاجتماعية إلى ما كانت عليه قبل احداث ١٧ كانون الثاني ١٩٩١.

فينبغي بذل جهود دولية مكثفة لمساعدة العراق في تعجيل العودة إلى وضع طبيعي. ولذلك، فان العراق ليس في وضع يسمح له بتحمل أي اقتطاع من عوائد تصدير النفط لسنة ١٩٩١ وللسنوات القادمة، فستكون العائدات هزيلة ولا تكفي إلا لتمويل جزء صغير للغاية من التزاماته واحتياجاته الأساسية المالية، التي ينبغي اخذها بعين الاعتبار، وفقاً لما جاء بوضوح في الفقرة ١٩ من القرار ٦٨٧ (١٩٩١) الذي اتخذه مجلس الأمن.

لذلك فان حكومة العراق تلتمس منحها مهلة لا تقل عن خمس سنوات لتنفيذ الفقرتين ١٨ و١٩ من قرار مجلس الأمن المذكور آنفاً، وذلك لتمكينها من تكييف الاقتصاد حتى يتاح له الوفاء بالتزاماته المالية الدولية وباحتياجاته الأساسية.

التزامات العراق المالية واحتياجاته الأساسية من العملة الاجنبية بملايين الدنانير

	١٩٩١	١٩٩٢	١٩٩٣	١٩٩٤	١٩٩٥	١٩٩١-١٩٩٥
أولاً : خدمة الديون الخارجية	٨٣٦٣	٣١٨٦	٣٦٣٣	٤٠٥٦	٤١٥٠	٢٣٣٨٨
أ ـ الاقساط المستحقة	٧٣١٣	١٥٣٤	١٥٠٣	١٤٣٧	٩١٩	١٢٧٠٦
ب ـ الفوائد المستحقة	١٠٥٠	١٦٥٢	٢١٣٠	٢٦١٩	٣٢٣١	١٠٦٨٢
ثانياً : الاحتياجات الاقتصادية	٧٠٤٦	٧٩٨٦	٩٢٣٠	١٠٣٨٩	٨٧٦٦	٤٣٤١٧
١ ـ برنامج الاستيراد	٢٣٧٨	٢٦٦٣	٢٩٨٣	٣٣٤١	٣٧٤٢	١٥١٠٧
أ ـ الغذاء	٧١٣	٧٩٩	٨٩٥	١٠٠٢	١١٢٣	٤٥٣٢
ب ـ مواد استهلاكية أخرى ومواد أولية	١١٥٨	١٢٩٧	١٤٥٣	١٦٢٧	١٨٢٢	٧٣٥٧
ج ـ سلع انتاجية للقاطع الخاص	٥٠٧	٥٦٧	٦٣٥	٧١٢	٧٩٧	٣٢١٨
٢ ـ اعادة بناء الاحتياطي	٢٨٣	٢٤٠	٦٣	٧٠	٧٩	٧٣٥
٣ ـ اعمار ما دمرته الحرب	٦٤٠	١٢٨٠	١٩٢١	١٩٢١	٦٤٠	٦٤٠٢
٤ ـ تخصيصات برامج التنمية	٣٢٧٥	٣١٠٣	٣٤٤٨	٤١٣٧	٣٢٧٥	١٧٢٣٨
٥ ـ صافي الخدمات الاجنبية	٤٧٠	٧٠٠	٨١٥	٩٢٠	١٠٣٠	٣٩٣٥
مجموع اولاً + ثانياً	١٥٤٠٩	١١١٧٢	١٢٨٦٣	١٤٤٤٥	١٢٩١٦	٦٦٨٠٥
العجز	١٤٨٥٠	٧٥٠٢	٧٦١٦	٩٠٨٧	٧٤٤٧	٤٦٥٠٢
الموارد						
عوائد تصدير النفط	٥٣٩	٣٦٤٠	٥١٨٧	٥٢٧٨	٥٣٦٩	٢٠٠١٣
صادرات أخرى	٢٠	٣٠	٦٠	٨٠	١٠٠	٢٩٠
مجموع الموارد	٥٥٩	٣٦٧٠	٥٢٤٧	٥٣٥٨	٥٤٦٩	٢٠٣٠٣

تطور أسعار المواد المعيشية
(بالدينار)

	٩٠/٨/٢	٨/٢ إلى ٩١/١/١٥	١/١٥/ الى ٥/٢٣	٦/٢٧	٧/٧	٧/١١	٧/١٨
حليب نيدو ٢,٥ كيلو	٣,٤٥٠	٢٥,٠٠٠	٥٥,٠٠٠	١٨,٠٠٠	٣٥,٠٠٠	٦٥,٠٠٠	٧٥,٠٠٠
حليب تاترا ٢,٥ كيلو	٥,٠٠٠	١٨,٠٠٠	٤٥٠٠٠	١٨,٠٠٠	١٣,٠٠٠	غير متوفر	٧٠,٠٠٠
طحين: كيلو	٠,١٢٠	٤,٠٠٠	٨,٠٠٠	٢,٥٠٠	٢,٧٥٠	٣,٠٠٠	٣,٠٠٠
رز: كيلو	٠,٢٠٠	٣,٠٠٠	٧,٠٠٠	٤,٠٠٠	٤,٥٠٠	٤,٥٠٠	٦,٠٠٠
دجاج: كيلو	٠,٦٠٠	٦,٠٠٠	٧,٥٠٠	١٢,٠٠٠	١٤,٠٠٠	١٣,٠٠٠	١٦,٠٠٠
سكر: كيلو	٠,٢٠٠	٢,٥٠٠	٥,٠٠٠	٤,٠٠٠	٣,٧٥٠	٤,٥٠٠	٧,٠٠٠
عدس: كيلو	٠,٤٠٠	٢,٥٠٠	٥,٠٠٠	٦,٠٠٠	٦,٠٠٠	٦,٠٠٠	٦,٠٠٠
شاي: كيلو	١,٩٠٠	٢٥,٠٠٠	٤٠,٠٠٠	١٤,٠٠٠	٢٨,٠٠٠	٢٥,٠٠٠	٣٠,٠٠٠
بيض: ٣٠	٣,٦٠٠	٤,٢٥٠	١٣,٠٠٠	١١,٠٠٠	١٦,٠ ـ ١٥,٠	١٦,٠٠٠	١٤,٠٠٠
صابون: قالب	٠,٠٧٠	٠,٢٥٠	٠,٦٠٠	غير متوفر	٠,٣٠٠ ـ ٠,٢٦٠	٠,٤٠٠٠	-
مسحوق غسيل: علبة	٠,٢٧٥	-	٣,٥٠٠	غير متوفر	١,٥٠٠	٣,٠٠٠	-
لحم طازج: كيلو	٦,٠٠٠	٩,٠٠٠	١٣,٠٠٠	١٤,٠٠٠	١٧,٠٠٠ ـ ١٦,٠٠٠	١٥,٠٠٠	١٧,٠٠٠
غاز: اسطوانة	٠,٧٦٠	٢,٠٠٠	٢٥,٠٠٠	٤,٠٠٠ ـ ٠,٧٥٠	-	-	٥,٠٠٠
بنزين: ليتر	٠,٠٩٠	٠,٠٩٠	٨,٠٠٠	٠,٠٤٠	٠,٠٤٠	٠,٠٤٠	٠,٠٦٠

كيروسين	٠,٠٣٦	٠,٠٣٥	٠,١٤٠	غير متوفر	٠,٠٣٠	٠,٠٣٠	٠,٠٥٠
حمص: كيلو	-	-	-	٥,٠٠٠	٦,٠٠٠	غير مسعر	٦,٠٠٠
سمك: كيلو	-	-	-	-	١٠,٠٠٠-١٢,٠٠٠	١٢, ٠٠	١٥,٠٠٠
خبز: رغيف	-	-	-	٠,٢٥٠	٠,٢٥٠	٠,٢٥٠	٠,٢٥٠
فاكهة: كيلو	-	-	-	٤,٠٠٠-١٠,٠٠٠	٢,٠٠٠-١٠,٠٠٠	٢,٠٠٠-١٠,٠٠٠	٤,٠٠٠-١٢,٠٠٠
خضار: كيلو	-	-	-	٢٠٠٠-٦,٠٠٠	١,٥٠٠-٤,٥٠٠٠	١,٥٠٠-٥,٠٠٠	٢,٠٠٠-٧,٥٠٠

ملاحظة: تتذبذب الاسعار من مدينة إلى أخرى، من حانوت إلى آخر في نفس المدينة، ومن يوم إلى آخر.

المصدر: تقرير منظمة اليونسيف التابعة للأمم المتحدة، المؤرخ في ١٨ تموز ١٩٩١، ص ٩.



الديمقراطية كضرورة*

محمود صبري

خص الفنان التشكيلي المعروف محمود صبري مجلتنا بكلمته القيّمة، هذه، التي ألقاها في مؤتمر المعارضة العراقية في بيروت. ولأسباب خارجة عن إرادتنا ـ وهي فنيّة محض ـ تأخر نشر هذه الكلمة التي لم تزل تحتفظ بأهميتها وحرارتها.

وبهذه المناسبة نقدم شديد اعتذارنا للفنان محمود صبري.. ولقراء الثقافة الجديدة.

«ث. ج»

ايتها الاخوات، ايها الاخوان،

الكلمة التي القيها بسيطة، انها تحدد نفسها بجانب واحد فقط من مجموعة المهام التي تتصدى لها قوى المعارضة العراقية في مؤتمرها التاريخي الحالي، هذا الجانب هو الديمقراطية.

سأتكلم عنها بالشكل التالي:

هناك اجماع في الرأي يجسّدها واقع هذا المؤتمر الذي يمثل أوسع تجمع، منذ سنين طويلة، لقوى المعارضة العراقية بمختلف تياراتها، بأن العراق يقف على عتبة تحول

* العنوان من وضع «ث. ج».

تاريخي أساسي يمكن ان ينقله إلى مرحلة جديدة تعد بتحقيق اهداف شعبنا ومطامحه في حياة حرّة كريمة، خالية من الاستبداد والارهاب ويسودها حكم القانون.

اننا أمام حالة استثنائية فريدة. فشعبنا الذي عانى من نكبة مزدوجة تتمثل في أقسى حرب مدمّرة عرفها التاريخ الحديث، وأشد أشكال الاستبداد بربرية - شعبنا ينتفض الآن في مختلف انحاء العراق ضد ارهاب وبربرية الحكم الاستبدادية القائم. وهذه الانتفاضة الباسلة أصبحت مثار اعجاب العالم أجمع.

لهذا فان المؤتمر الذي ينعقد في هذا الظرف الاستثنائي بالذات يتحمل مسؤولية خاصة استثنائية للقرارات التي يتخذها.

ببساطة: ان المصلحة الأساسية للمؤتمر هي المصلحة الأساسية للشعب العراقي. وان نجاح وحدة قوى المعارضة هو نجاح الانتفاضة وأهدافها، وهي الاطاحة بالحكم الاستبدادي. غير ان هذه هي الخطوة الأولى فقط.

شعبنا في انتفاضته يتطلع إلى ما يعقبها من خطوات. ان يطمح إلى تحقيق حلمه في التحرر من كل تلك القيود المنافية للمبادىء الانسانية التي فرضتها عليه الدكتاتورية لسنين طويلة.

لذا فان أمام المؤتمر مسؤولية بلورة ذلك الاطار العام من القيم والقواعد والمؤسسات التي يمكن ان تحقق استقرار وتوطيد حكم القانون كاساس لحياة دمقراطية تضمن الحرية والكرامة للمواطنين العراقيين.

البيان الصادر عن المعارضة العراقية هو مؤشر هام في هذا الاتجاه.

غير انني أرى - إلى جانب ذلك - وضع تأكيد خاص على الديمقراطية كنهج وقواعد وممارسة، لتصبح الاطار المعترف به للحياة السياسية في عراق المستقبل.

ان غياب الديمقراطية من ميدان الممارسة السياسية في العراق الحديث، وخاصة في العقود الأخيرة، جعل بالضرورة معظم ان لم يكن كافة الاحزاب والقوى السياسية (تحمل) في تكوينها وأساليبها ووسائل عملها وأهدافها المعلنة والخفية، (تحمل) استعداداً أو ميلاً ضمنياً لاستخدام العنف والسلاح والاسلوب الانقلابي للوصول إلى أهدافها.

وقد أدى ذلك إلى ان هذه القوى أعطت لنفسها الحق (في الماضي) - وهو حق غير مشروع اصلاً - بتسييس القوات المسلحة، واشراكها في العملية السياسية إلى هذا الحد أو ذاك. وبالتالي فانها قامت بابعادها وحرفها عن وظيفتها الاجتماعية الحقيقية، وهي الدفاع عن الوطن والقيام بدورها القومي ضد المخططات الامبريالية.

باختصار:

هناك وضع مشوّه تميّزت به الحياة السياسية في العراق، سمح بتعاقب أشكال

استبدادية من الحكم لفترة طويلة.

نجد أقليات صغيرة تقفز إلى السلطة بمساندة القوات المسلحة وتفرض سيطرتها دون الرجوع إلى الشعب وأخذ رأيه في طبيعة الحكم الذي يرتأيه لنفسه.

هذا الوضع المشوّه وصل ذروته في المأساة التي يعيشها شعبنا اليوم.

ان مصلحة الشعب، ومصلحة القوى السياسية ذاتها (أيضاً) ـ تقتضي ازالة هذا التشويه في الحياة السياسية.

لهذا فانني اقترح ان ينظر المؤتمر في اقرار ميثاق وطني لتأسيس الديمقراطية كاطار للحياة السياسية في العراق.

في هذا الميثاق تقرّ وتعلن مختلف القوى والاحزاب السياسية أمام شعبنا عهداً بالامتناع عن استخدام العنف كوسيلة للوصول إلى الحكم، والالتزام بقرار أغلبية الشعب في عملية الانتخاب، والاعتراف بأن الشعب هو المصدر النهائي لكل السلطة. فالديمقراطية هي ببساطة حق الشعب في ان يحكم نفسه بنفسه عبر اختيار ممثليه، وبالتالي اختيار شكل الحكم الذي يريده بين حين وآخر خلال صناديق الاقتراع وفي إطار دولة القانون.

ان اقامة الديمقراطية وتوطيدها يعني ضمناً بالضرورة اقرار تلك القيم الحضارية التي ساهم شعب العراق في تأسيسها تاريخياً منذ بدء الحضارة البشرية، والتي أصبحت جزء من التراث الانساني. ونعني بها حقوق الانسان ـ مجموع تلك الحقوق التي تضمن له حرية التفكير والتعبير والعقيدة والانتماء الاجتماعي والسياسي والثقافي والنقابي، وحرية الاحتجاج والتظاهر والاضراب، وغيرها من الحريات التي تؤلف أساس المجتمع المدني الحضاري.

الكلام عن اقامة الديمقراطية ـ الآن ـ يعني اعادة هذه القيم الانسانية التي سلبت من الشعب، اليه، وبالتالي اتخاذ خطوة هامة نحو بناء مجتمع عراقي جديد حقاً يمكن فيه لكافة المواطنين، خلال ممارساتهم الحياتية الحرّة اغناء انفسهم ومجتمعهم والحضارة الانسانية معاً.

وخلافاً لذلك، فان القوى السياسية المختلفة ستعرض نفسها والوطن إلى دوّامة من العنف والعنف المضاد التي قد تؤدي إلى تشويه الحياة والدمار الشامل، وعودة الاستبداد والتسلط إلى عراقنا الحبيب.



السكن الاقتصادي

د. أدريس المهدي

مشكلات السكن معقدة في العالم الثالث عامة، والعالم العربي خاصة، والعامل الاقتصادي هو الأكثر أهمية في تعقيد هذه المشكلة. ولحلها نحتاج إلى توفير سكن اقتصادي في متناول المواطن العادي تسهم فيه قطاعات الدولة والتعاونيات والخاص. .

العوامل المؤثرة في مشكلات السكن:

١ ـ الانفجار السكاني: يزداد عدد السكانْ في البلدان العربية بوتائر تفوق معدلات زيادة الدخل القومي، باستثناء بعض البلدان العربية البترولية، مما يتطلب زيادة في معدلات تشييد المساكن وبالعكس تتعمق مشكلة السكن، على سبيل المثال معدل نمو السكان في الجزائر هو ٣,٨٪ سنوياً. كان تعداد السكان قبل التحرير (١٩٦٢) لا يزيد عن ٧ ملايين مواطن وارتفع إلى ٢٤ مليون في منتصف الثمانينات.

٢ ـ الهجرة من الريف للمدينة: تزداد وتائر الهجرة من الريف إلى المدينة طلباً لتحسين ظروف المعيشة والحصول على عمل ذي مردود ثابت بالمقارنة مع موسمية العمل الريفي بالاضافة إلى تحسين مستوى تعليم الاطفال والتمتع برعاية صحية واجتماعية وثقافية أفضل في المدينة مما هي عليه في الريف. هذا بالاضافة إلى الحروب الاهلية (في كردستان العراق وفي جنوب السودان ومشكلة الصحراء الغربية).

٣ـ ارتفاع اثمان قطع الاراضي في البلدان وخاصة مراكز العواصم ومدن المحافظات يؤدي إلى ارتفاع كلفة البناء وكلفة الوحدة السكنية التي تفوق امكانية المواطن العادي.

٤ ـ ارتفاع اثمان المواد الاولية لشحة المعروض منها وارتفاع كلفة عملية البناء التقليدية.

٥ ـ ضعف مساهمة قطاع الدولة في عمليات التشييد، يمكن القول ان عمليات البناء والعمران لا تحتل المقام المناسب لها في أولويات دول منطقتنا العربية، وبيع قطاع الدولة (مثلاً الشركة العامة للمقاولات في العراق) للقطاع الخاص.

٦ ـ عدم مواكبة التطور الحاصل في مكننة عمليات التشييد والبناء وتصنيع انتاج الاجزاء الجاهزة للبناء الجاهز.

الاجراءات المقترحة العامة:

١ ـ يجب الاهتمام بالتخطيط العائلي بحيث يكون معدلات النمو السكاني متماشية مع معدلات النمو الاقتصادي ودامغة له.

٢ ـ الاهتمام بالريف من قبل جميع اجهزة الدولة. ويشمل ذلك زيادة معدلات تشييد الدور الريفية وتوزيعها على الفلاحين، تجميع البيوت الريفية المتناثرة في مركبات ريفية صغيرة تساعد بدورها على توفير الخدمات الضرورية للعيش الكريم (ماء صالح للشرب، كهرباء، مجارٍ، طرق معبدة، مواصلات، خدمات صحية، مكتبة، مركز ثقافي) مما يساعد على استقرار الشباب في الريف وعدم هجرتهم للمدينة.

وقبل هذا، ينبغي الاهتمام باستصلاح الاراضي، توفير المياه، توفير الآلات الزراعية والاسمدة يساعد على اهتمام الفلاح بالبقاء في الريف والاهتمام بالأرض.. مما يقلل الاعتماد على استيراد المواد الغذائية ويوفر عملة صعبة للعملية الاقتصادية ويحد من الهجرة.

٣ ـ لتخفيف الضغط على المدن الرئيسية (القاهرة ١٠ ملايين، أي ٢٠٪ سكان مصر، بغداد ٤ ملايين ـ ٢٥٪ من سكان العراق) هناك حاجة لتوفير مخطط عمراني يشمل كل قطر وبناء مدن تابعة (مدن منام) تحيط بالمدن الرئيسية ومرتبطة معها بمواصلات عامة جيدة تنقل القوى العاملة التي تعمل في المدينة الرئيسية، وتنام في المدن التابعة، مما يحدّ من الهجرة للمدن الرئيسية ويحدّ من الاغتراب الحاصل في المدن الرئيسية ويحافظ على العلاقات الاجتماعية التي هي صفة مميزة لعالمنا العربي. وكذلك الاهتمام بالمدن الصحراوية (الداخلية) في بلدان الشمال الافريقي العربي للحدّ من الهجرة للشريط الساحلي.

٤ ـ حماية الاراضي الزراعية المحيطة بالمدن الحالية، لحماية القطاع الزراعي أولاً وللحد من التوسع العشوائي للمدن الحالية. ان التوسع العشوائي يخلق مشاكل في المواصلات وفي البيئة وفي توفير الخدمات الصحية والثقافية والاجتماعية. ولمعالجة ذلك

يجب الاتجاه نحو البناء العمودي مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصية عالمنا الثقافية والحضارية والدينية.

٥ ـ ان الدولة في البلدان العربية لا زالت مساهماً رئيسياً في تنظيم وادارة الحياة الاقتصادية وسوف تستمر لفترة غير قصيرة كذلك. لهذا يجب بناء:

أ ـ شبكة من معامل السمنت وتوسيع الموجود منها.

ب ـ شبكة من معامل الطوب الطين الاسمنتي والرملي.

جـ ـ تطوير التعاون بين البلدان العربية في مجال انتاج مقاطع الحديد الانشائي وحديد التسليح، والاستفادة من الطاقة الانتاجية المتوفرة حالياً.

وكذلك معامل الالمنيوم والخشب والزجاج والمواد الانشائية الأخرى. (ينبغي ان نشجع مساهمة القطاعين التعاوني والخاص في هذه المجالات).

د ـ بناء معامل للابنية الجاهزة.. والمساهمة في نقل تكنولوجيا لتصنيع عمليات انتاج الابنية الجاهزة.

الاجراءات الخاصة بالسكن الاقتصادي:

١ ـ تطوير التعاون بين البلدان العربية في مجال حل مشاكل السكن وتوفير السكن الاقتصادي.

٢ ـ بناء شبكة من معامل انتاج المواد الاولية لتغطية حاجة منطقتنا العربية عامة والسوق الداخلي لكل قطر.

٣ ـ بناء شبكة من معامل الابنية الجاهزة (تجربة الجزائر حرية بالدراسة في هذا المجال). بالاتجاهات التالية التي توفر زيادة في انتاج الابنية الجاهزة، نقل الجزء الأكبر من العملية الانتاجية إلى ظروف معملية، حصر العمل في ساحة البناء بتركيب الاجزاء المصنّعة، بالاضافة إلى تباين في نوعية وشكل ومظهر الابنية مما يولد تباين معماري يميز الاحياء والمدن عن بعضها البعض:

أ ـ تسريع عملية الانتاج عبر استعمال أنواع مختلفة من القوالب الجاهزة لبناء الجدران أو لبقاء الجدران والسقوف سوية على شكل نفق.

ب ـ انشاء معامل تنجز الواحاً جاهزة للجدران والسقوف والاجزاء الاخرى كالسلالم والمداخل.. الخ. (على سبيل المثال نظام باسكال الفرنسي).

جـ ـ انشاء معامل لاجزاء السكن بابعادها الثلاثة كالغرف والمطبخ والحمام، وتصف على بعضها البعض كقطع ألعاب الاطفال (على سبيل المثال.. نظام سويسري شائع الاستعمال في الجزائر).

د ـ الابنية الجاهزة ذات الهياكل الحديدية والجدران العازلة الخفيفة الوزن. . . لهذا النوع ايجابياته: سرعة التشييد، وسلبياته (سرعة الالتهاب وكلفة الحديد أعلى من كلفة الخرسانة المسلّحة).

الخلاصة:

لمجابهة مشكلة السكن وتوفير سكن اقتصادي هناك حاجة ملحة لاتخاذ الاجراءات التي يمكن تقسيمها إلى مجموعتين: عامة وخاصة.

١ ـ العامة:

أ ـ مجابهة المشكلة في إطار التعاون العربي ضمن إطار الجامعة العربية.

ب ـ تنسيق وتعاون ضمن التجمعات العربية.

جـ ـ تشييد شبكة من المعامل والمصانع المنتجة للمواد الاولية للبناء.

د ـ تصنيع عملية انتاج اجزاء البناء ـ معامل الابنية الجاهزة.

هـ ـ الحدّ من الهجرة من الريف إلى المدينة وبسياسة اقتصادية تولي اهتماماً خاصاً بالريف.

و ـ التوجه نحو البناء العمودي مع مراعاة الخصوصية الاجتماعية للعائلة العربية.

ز ـ تخفيف الضغط عن المدن بسياسة خاصة ذات أبعاد متعددة بالاهتمام بالريف وتطويره.

حـ ـ بناء شبكة من المدن التابعة لتخفيف الضغط على المدن الكبيرة.

٢ ـ الاجراءات الخاصة

أ ـ تطوير وتوسيع معامل الاسمنت والمواد الاولية الاخرى.

ب ـ تطوير وتوسيع معامل الحديد والصلب وزيادة انتاج حديد المقاطع وحديد القضبان والقوالب الحديدية على سبيل المثال (معامل الحديد والصلب المصرية، الليبية والجزائرية لتغطية حاجة الشمال الافريقي).

جـ ـ تصنيع عملية انتاج الابنية الجاهزة.

د ـ ادخال التكنولوجيا الحديثة في عملية انتاج الابنية الجاهزة الخرسانية منها وذات الهياكل الحديدية.

ان هذه الاجراءات مجتمعة تؤدي إلى خفض كلفة الارض والمواد الاولية وعملية التشييد وبهذا نوفر السكن الاقتصادي للمواطن في العالم العربي.

(بمناسبة الندوة العلمية في دمشق ـ نوفمبر ١٩٩١
ينظمها مجمع العلوم السوري مع وزارة التعليم العالي).



دور اميركا في تسليح صدام

جالك كولهن ترجمة سلام

كانت سياسة الولايات المتحدة في الخليج العربي طيلة العقد الأخير أرضاً خصبة لفضائح. في نفس الوقت الذي كان فيه رونالد ريغان يهاجم آية الله روح ا لله الخميني والثورة الايرانية، كانت ادارته تزود سراً هذا البلد بالأسلحة. ثم واصل جورج بوش هذا التقليد. وقبل فترة وجيزة من ادانة صدام حسين «الاسوء من هتلر» ساعدت ادارته العراق على اقامة بُناه التحتية العسكرية - الصناعية. وبالحقيقة، حتى الأول من آب/ ١٩٩٠، أي قبل يوم من تحرك القوات العراقية داخل الكويت، وافقت ادارة بوش على تصدير التكنولوجيا الاميركية الرفيعة المستوى ذات الاستخدامات الثنائية، المدنية والعسكرية.

لقد اتهم هنري غونزاليز رئيس لجنة الكونغرس للنشاطات المصرفية ادارتي ريغن وبوش بانهما لم تفعل إلا القليل لوقف تصدير التكنولوجيا الاميركية لبناء ماكنة الحرب العراقية، بفعل الميل إلى جانب بغداد في السياسة الاميركية في الخليج قبل الغزو العراقي للكويت.

لقد ورثت ادارة بوش سياستها المؤيدة لبغداد عن ادارة ريغان، وفيها تعتبر العراق مركز الثقل الجيوسياسي الهام لمواجهة ايران. وفي كلتا الحالتين، استهدف العمل لدعم العراق احتواء انتشار الاصولية الاسلامية في الخليج، في أعقاب تصاعد بأس النظام الخميني في طهران. فتحت حكم الشاه، كانت ايران أكبر حلفاء واشنطن على نطاق السياسة الاقليمية في الخليج.

على الرغم من اللعب على الحبلين، تحالفت واشنطن بهدوء مع بغداد في الحرب الدموية العراقية ـ الايرانية (١٩٨٠ ـ ٨٨)، والتي فيها قُتل وجرح مليونا ايراني وعراقي. فعام ١٩٨٤ بدأ رئيس وكالة المخابرات المركزية وليم كيسي بتسريب المعلومات الاستخباراتية التي تجمعها الاقمار الصناعية الاميركية إلى العراق لاسناد القصف العراقي في ايران. واعادت ادارة ريغان العلاقات الدبلوماسية مع العراق عام ١٩٨٤. وفي عام ١٩٨٧، رافق الاسطول البحري الاميركي الناقلات الكويتية التي تحمل النفط العراقي في الخليج لحمايتها من الهجمات الايرانية. واستمرت سياسة الدعم هذه حتى بعد القصف العراقي للمدمّرة الاميركية ستارك في السابع عشر من ايار عام ١٩٨٧، والتي قتل فيها سبعة وثلاثون بحاراً اميركياً.

وكانت ادارة ريغان قد استبعدت، في ١٩٨٢، العراق من قائمة البلدان المتهمة باحتضانها للارهاب الدولي. يقول دينيس كلوسك مساعد وزير التجارة لشؤون التصدير في ادارة بوش: «نتيجة للتغيير في السياسة عام ١٩٨٢، عومل العراق كحال بلدان (العالم الحر) الأخرى وأصبح جديراً بمواد التكنولوجيا الاميركية عالية المستوى وعلى نطاق واسع، بضمنها اصناف أساسية من اجهزة الكمبيوتر التي لا تمنح عادة إلى الدول التي تتضمنها القائمة المذكورة».

وقد لخص ستيفن براين، المساعد السابق لمعاون وزير الدفاع لشؤون التجارة والأمن، ورئيس ادارة الأمن التكنولوجي، لخص سياسة ادارة ريغان تجاه العراق خلال الحرب الايرانية ـ العراقية بالقول: «كانت الولايات المتحدة توّاقة لتطوير علاقات حسنة مع العراق، وكانت التجارة حجر الأساس في تلك السياسة».

واستمرت ادارة بوش في اعتبار بغداد قوة تخدم الاستقرار الجغرافي ـ السياسي في الخليج بعد خروج العراق من الحرب في آب عام ١٩٨٨ «منتصراً». وعندما استخدم العراق الغاز السام ضد الانتفاضة الكردية في آب وايلول من عام ١٩٨٨، ابطلت هذه الادارة تحرك الكونغرس لفرض اجراءات مقاطعة اقتصادية على العراق.

وواصل الرئيس بوش توكيد ريغان على العلاقات التجارية الجيدة. وفي تشرين اول ١٩٨٩، صادق على مرسوم رقم (٢٦) وينص على «ان غاية المرسوم ان تواصل الولايات المتحدة محاولاتها لتشذيب السلوك العراقي وزيادة التأثير الاميركي وعلى وجه خاص ستحظى بالتشجيع الشركات الاميركية للمشاركة في اعادة بناء العراق بعد الحرب».

وحتى في الخامس والعشرين من تموز عام ١٩٩٠، خلال فترة تحشيد القوات العراقية على الحدود الكويتية، قالت السفيرة الاميركية في العراق، ابريل غلاسبي، لصدام «لدي تعليمات مباشرة من الرئيس لتحسين العلاقات مع العراق». واضافت

غلاسبي: «ليس لدينا رأي حول الصراعات العربية ـ العربية، مثل خلافكم الحدودي مع الكويت».

البوابة الدوّارة

هناك تعاون بين ستراتيجيي السياسة الخارجية الاميركية ومخططي التجارة، وتتطابق شبكة اهـدافهم. كما تلتقي مصالح المجموعتين في فوروم (منبر) الاعمال الاميركية ـ العراقية. تكون هذا المنبر عام ١٩٨٥ بمبادرة من مارشال وايلي، وتشجيع نزار حمدون، السفير العـراقي في الـولايات المتحدة. ومن حينها أصبح المنبر البوابة الدوارة لقدامى الدبلوماسيين الاميركيين، ذوي الخبرة بالشرق الأوسط. يقوم الفوروم في واشنطن، نيابة عن العراق، بالدعاية له والحث على تحسين التجارة معه. كان وايلي سفير اميركا في عُمان وعمل في قسم المصالح الاميركية في بغداد (١٩٧٥ ـ ١٩٧٧). يقول وايلي: «شكلتُ المنبر ولم تكن الفكرة عراقية. لكن عندما طرحتها على العراقيين، نالت استحسانهم وأبدوا استعدادهم للتعاون. وذهبت إلى الحكومة الاميركية واخبرتها بالمخطط فقالوا حسناً، انها فكرة جيدة. تسعى سياستنا لزيادة الصادرات إلى العراق».

عمل المنبر بالتوافق مع السفارة الاميركية في بغداد، ورعى مرتين ارسال بعثة تجارية للشـركات الاعضاء في الجناح الاميركي في معرض بغداد الدولي. يزور وايلي العراق سنوياً. وقد نظم في عام ١٩٨٩ لقاء صدام مع كبار المسؤولين الاميركان.

وطلبت الحكومة العراقية من الشركات الاميركية التي ارادت الحصول على اعمال بالعراق، الانضمام إلى المنبر. وجرت تعبئة الشركات الاعضاء (ومنها أماكو، أي. تي وتي، كاتـدبيلر، فيرست سيتي بان كوور بوريشن أوف تكسـاس، جنرال موتور، موبيل اويل، بيبسي كولا انترناشينال، ويستنجهاوس) في مناسبات شتى لدفع الكونغرس للأخذ بسياسات مناصرة العراق. وكتب وايلي رسالة إلى محرر الواشنطن بوست، يعارض فيها المقاطعة الاقتصادية للعراق بسبب قصف الاكراد بالغاز. ويموّل الاعضاء نفقات المنبر.

توطـدت العـلائق بين حكومة الولايات المتحدة والمنبر وارتبطتا بوشائج قوية عن طريق وزارة الخارجية. عمل وايلي رئيساً للمنبر، وانضم اليه الموظفان السابقان في الوزارة ريجـارد فيربانكز وجيمس بلاسك «كمستشارين» للمنبر. وكانت آخر مهام فيربانكز في الوزارة رئاسته لعملية ستانج. (خطط لهذه العملية فترة الحرب العراقية ـ الايرانية لفرض الحظر الاميركي على الاسلحة لايران، وذلك بالتعاون مع الاسرائيليين، إلا ان الولايات المتحدة شرعت بعقد صفقات اسلحة سرية أدت إلى فضيحة ايران ـ كونترا). لقد عمل

بلاسك كمساعد لوزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى. وكان لفيربانكز عقد مع السفارة العراقية حيث عمل كممثل رسمي لمصالح العراقيين في واشنطن.

المصلحة الوطنية

يجري التحقيق من جديد في العلاقة الوثيقة التي تربط القطاع الخاص بالحكومة على ضوء الطابع الواسع لمبيعات التكنولوجيا العسكرية الاميركية التي ما لبثت ان صوبت على القوات الاميركية .في الحادي والعشرين من شباط عام ١٩٩١ وفي البيت الابيض أثار هنري غونزاليز مجموعة تساؤلات عن دور وزارة الخارجية ووزير الخارجية السابق شولتز فيما يتعلق بالعراق. واستشهد نائب تكساس هذا بعرض ورد في الفاينانشيل تايمز اللندنية وفيه يوضح شولتز دوره في صفقة شركة بيجتيل لبناء المجمع البتروكيمياوي العراقي رقم (٢). وتعتبر بيجتيل واحدة من عدة شركات لها الفضل في تطوير البنى التحتية العراقية للصناعة العسكرية.

ترك شولتز عمله في قمة ادارة بيجتيل حينما أصبح وزير خارجية في ادارة ريغان ثم عاد اليها عام ١٩٨٩. يقول شولتز انه تفحص مشروع المجمع المذكور (البتروكيمياوي) في ١٩٨٩، وتأكد من عدم استخدامه في انتاج الاسلحة الكيمياوية. لكن المشروع المذكور قد صُمِّم لانتاج غاز اوكسيد ،الاثيلين وهو غاز لاستخدامات مدنية، وفي نفس الوقت يمثل مادة لانتاج غاز الخردل. وأشار احد مسؤولي بيجتيل في لندن لم يذكر اسمه بأن الشركة قد حصلت على «تشجيع مباشر» من وزارة التجارة لتولي بناء المشروع.

قال شولتز للفاينانشيل تايمز «لكنني فكرت بالمشروع أكثر ونصحت بضرورة ترك بيجتيل لهذا العمل.» وفي الاجتماع الموسّع لبيجتيل خريف عام ١٩٩٠ قال شولتز، «فحصته بدقة وقلت انه سيحصل شيء سيء في العراق، سيحصل انفجار واذا كانت بيجتيل عاملة هناك فسيعصف بها أيضاً. لقد بلّغتهم بضرورة الانسحاب.» ثم تركت بيجتيل العراق فيما بعد.

فضيحة البنك الوطني الايطالي ـ فرع اتلانتا

لصفقة بيجتيل بشأن مجمع رقم (٢) علاقة مباشرة بفرع مدينة اتلانتا للبنك الوطني الايطالي، وهو أكبر بنك في ايطاليا. وتحقق الآن لجنة النشاطات المصرفية، باشراف غونزاليز شخصياً، في فضيحة هذا الفرع. وتبين ان الفرع تحول إلى غطاء لشبكة

المشتريات العسكرية العراقية في الولايات المتحدة. «ابلغتنا الحكومة العراقية باننا سنقبض بشيكات من رصيد فرع اتلانتا»، هذا ما كشفه موظف بيجتيل في لندن. واكتشف محققو لجنة النشاطات المصرفية بانه قد دفع لبيجتيل مبلغ عشرة ملايين دولار بواسطة الفرع من أجل «اتفاقية المجمع (٢) للخدمات التقنية».

حوكم كل من كريستوفر دروغل رئيس الفرع، واثنين من موظفيه، أمام كبار المحلفين الفيدراليين في اتلانتا، في ٢٨ شباط ١٩٩١، بتهمة اقراض مبالغ تصل إلى أربعة مليارات دولار إلى العراق بين ١٩٨٥ وعام ١٩٨٩ دونما ترخيص. فاتهم الموظفون الثلاثة بالتآمر باستخدام سجلين لاخفاء آثار القروض عن أعين مدققي البنك الوطني الرئيسي في ابطاليا، وعن مجلس الاحتياطي الفيدرالي في الولايات المتحدة. كان هذا الفرع أكبر مصدر للاعتمادات المالية التي حصل عليها العراق.

ان هذا الفرع وشركة (ماتريكس تشرتشل في كليفلاند في أوهايو) وشركة (صناعات ..اي في سنت مونيكو في كاليفورنيا) هي شبكة شخصتها وزارة المالية في الاول من نيسان ١٩٩١ بانها واجهة اعتمدها العراق للحصول على الاسلحة والتكنولوجيا العسكرية.

قدم فرع اتلانتا للعراق (٢,٢) مليار دولار على هيئة قروض بين شباط ١٩٨٨ ..ان ١٩٨٩، لشراء معدات ومنتجات تكنولوجية رفيعة غربية. و «تم بيع جزء كبير من .. التكنولوجيا إلى مشاريع مدنية. ولكن جزءاً آخر كبيراً بيع إلى مؤسسات عسكرية»، حسبما أكدت لجنة الكونغرس للنشاط المصرفي، وذلك في مذكرة عن قضية فرع البنك الايطالي. وجاء في المذكرة ايضاً: «لا يمكن ابداً معرفة الحقيقة الكاملة وراء استعمالات هذه التكنولوجيا. هناك شيء أكيد واحد: أموال فرع البنك الايطالي هي شريان الحياة للجهود العراقية لتكوين قاعدة صناعية للاكتفاء الذاتي في الانتاج الحربي». كان الهدف الاساسي للشبكة العراقية التي تصدر المنتجات مباشرة إلى العراق هو العثور على شركات قادرة على رفد العراق بالتكنولوجيا المطلوبة واقامة الصلة للشركات الرئيسية الاميركية والاوربية مع كبار المسؤولين في العراق عن شتى المشاريع. فاقرض الفرع المذكور اعضاء الشبكة العراقية مباشرة، وخصص أغلب القروض لتصدير البضائع والخدمات لمشاريع معينة في العراق عن طريق شركات جندت لهذا الغرض.

جاء في تقرير استخباراتي ايطالي مؤرخ في الرابع عشر من ايلول عام ١٩٨٩، واشتركت فيه ادارة بوش، ان أموال فرع اتلانتا ارتبطت ببرنامج الصاروخ العراقي (كوندور ـ ٢). وجاء في هذا التقرير المقدم إلى رئيس الوزراء الايطالي جوليو اندريوتي «يجب التأكيد على ان مختلف الشركات الوطنية والاجنبية المتورطة بمشروع الصاروخ الباليستي كوندور ـ ٢، مدينة بالفضل إلى الصفقات التمويلية التي قام بها فرع البنك الوطني

الايطالي في اتلانتا».

يقـول غونـزاليز: «من الصعب تصديق ان شبكات استخبارات الولايات المتحدة وحلفائها لم تعرف استعمالات التكنولوجيا المنقولة إلى العراق؟» ومن الصعب أيضاً الوثوق بقدرة فرع اتلانتا على التستر على مختلف المعلومات وابعاد أنظار الاستخبارات. ان هذه المنـظمـات تراقب محطات التلكس عبر البحار والمحادثات التلفونية. فهي فشلت في كشف أكثر من ثلاثـة آلاف تلكس متبـادلة بين الفرع ومؤسسات الحكومة العراقية وفي غالبيتهـا معلومـات مفصّلة عن القـروض المعطاة للشركات التي انشأت مجمع التاجي العسكري والمشاريع العسكرية الأخرى في العراق؟»

من المسؤول؟

تجري الصلات التجارية بين العراق والولايات المتحدة من خلال شبكتي التمويل الحكومية والخاصة، وكانت واسعة النطاق أثناء ادارتي ريغان وبوش. أعطت وزارة التجارة بين الأول من كانون الثاني عام ١٩٨٥ حتى الثاني من آب ١٩٩٠ (٧٧١) اجازة تصدير لمنتجات اميركية إلى العراق، والكثير منها لاغراض الاستخدام العسكري، وتقدر قيمتها بمليار ونصف المليار دولار.

وبعـد نهـاية الحـرب العراقية ـ الايرانية، كانت الولايات المتحدة في موقع جيد للاستفـادة من خطط اعـادة البناء العراقية الطموحة. وقد شجع تقدير وزارة التجارة عن اتجـاهـات التـطور الاقتصادي في العراق والمؤرخ في ايلول ١٩٨٩، شجع الشركات الاميركية على القيام بما ينبغي فعله بالقول: «ان أفضل الآفاق أمام الشركات الاميركية في الأمد القـريب سوف تشمـل المنتجـات الـزراعية، منتجات ومعدات طبية وصيدلانية، معدات استخراج وتكرير النفط، الكمبيوتر ومختلف السلع والخدمات التكنولوجية الرفيعة. ويمثل الطلب المتواصل على المعدات العسكرية جزءاً كبيراً من برنامج الاستيراد حين يستكمل العراق هذه المعدات ويعمل للحفاظ على التفوق التقني في التجهيز العسكري واللوجيستي».

لقد نمت صادرات الولايات المتحدة للعراق إلى حوالي مليار ونصف المليار دولار سنـوياً بحلول ١٩٨٩، بما في ذلك مليار دولار من المنتجات الزراعية، جرى تمويلها بالقروض والاعتمادات من شركة الاعتمادات التجارية في وزارة الزراعة.

سجلت مذكرة بنك الادخار الفيدرالي في اتلانتا (أي فرع البنك المركزي الاميركي في المدينة)، والمؤرخة في ١٩٨٩/١٠/١٦، تسجيلاً دراميا كيف يستغل العراق برنامج

الصادرات الزراعية لهذه الشركة من أجل تطوير وتنمية تسليحه. وحذرت المذكرة بالقول «اعترف العراق بأنه كان يتلقى باستمرار خدمات (ما بعد البيع) مثل الشاحنات المصفّحة. ويمكن اعتبار تلك الخدمات رشاوى، الأمر الذي دفع وزارة الزراعة إلى تحذير العراق عام ١٩٨٨ من كونها مخالفة لبرنامج الشركة».

بعض التكنولوجيات المصدّرة ذات طابع مزدوج مثل بيع ما قيمته ٦٩٥ الف دولار من تجهيزات الكمبيوتر الدقيقة بموافقة ادارة بوش في آب عام ١٩٩٠ وهناك صفقات أخرى لأغراض عسكرية بحتة. ومثال صارخ لذلك هو بيع الصواريخ الباليستية. فقد منح أ. م. داوود (التسليم في العراق) اجازة تصدير في ١٩٩٠/٣/٢٢ من وزارة التجارة. «المواصفات: اجهزة تصوير (خاصة). غرض الاستعمال: البحث العلمي على سلوك لقذائف والرؤوس الباليستية. المبلغ: ١٠٣٦٨ دولار».

وتظهر من قائمة وزارة التجارة للصادرات المصرّح لها إلى العراق بيع الجيش العراقي ما قيمته ١٥٤ مليون دولار من السلع الاميركية. مثلاً، مشتريات وزارة الدفاع العراقية بما قيمته ٦٣ مليون دولار، القوة الجوية العراقية ٤٩ مليون دولار، الحكومة العراقية ٨ ملايين دولار. شملت هذه المبيعات الطائرات والطائرات السمتية والمكائن: ٨٨ مليون دولار، البوصلات، الجيروسكوبات واجهزة قياس التعجيل: ١ مليون دولار واجهزة الاتصالات البحرية، الرادارية والجوية: نصف مليون دولار.

تفيد القائمة السالفة الذكر بانه قد بيعت إلى شركة الخطوط الجوية العراقية ما قيمته ٢٢٦ مليون دولار من التكنولوجيا الرفيعة المستوى. وقد اعتبرتها وزارة المالية فيما بعد كشركة في شبكة المشتريات العسكرية السرية. فقد اجازت وزارة التجارة ببيع ما قيمته ١٧٨ مليون دولار للخطوط الجوية العراقية شملت طائرات وطائرات سمتية ومختلف المكائن، كما رخص بيع ما قيمته ١٤٨ الف دولار لاغراض الملاحة البحرية، وما قيمته ٢٩ مليون دولار من معدات الطائرات، القوارب، مكائن الديزل، اجهزة تصوير مائية وانظمة غوص مائية، وما قيمته ٢٤٦ الف دولار من معدات الملاحة والرادار واجهزة الاتصال الجوي.

سوف لا تكشف وزارة التجارة عن اسماء الشركات التي صدّرت السلع إلى العراق، ولكن تقارير الاخبار القت الضوء على دور الشركات الاميركية في مساعدة العراق لتطوير البنى التحتية للصناعة العسكرية.

● لوموس كريست في بلوم فيلد، نيوجرسى. اشتركت في بناء المجمع البتروكيمياوي رقم ـ ٢.

● الكولاك العالمية في بالتيمور. . باعت شركة نوكدافت التجارية مواد البروكلاين

والثيود يجليكول. وقد باعت هذه الشركة إلى العراق تلك المواد. يستخدم الثيود يجليكول في انتاج غاز الخردل.

● شركة هوغز للطائرات في لوس انجيلوس صدّرت اجهزة الرؤية أثناء القتال الليلي إلى شركة اجهزة ديلفت في هولندا، والاخيرة حولتها ثانية إلى العراق. شركة هوغز فرع من شركة جنرال موتورز.

● لعبت الشركات الاميركية دوراً هاماً في تطوير مجمع سعد (١٦) العراقي لتصميم الصواريخ والبحث الخاص بالاسلحة النووية. وقد صنع اربعون بالمائة من معدات هذا المجمع في الولايات المتحدة الاميركية: الكمبيوترات من شركة هيوليتياكارد والاوسيليسكوبات من شركة تيكوونكس، واجهزة قياس المايكرويف من شركة ولترون.

ومن المواد الأخرى التي وُضعت تحت تصرف صدام حسين ما قيمته ٢٠٠ مليون دولار من الطائرات السمتية لاغراض مدنية حسب زعم الشركة المجهِّزة وهي فرع بيل للهليكوبتر من شركة تيكيسترون. ويوجد مشروع لانتاج معدات المكائن، قادر على انتاج الاسلحة، وقد بنته شركة اكس. واي. زد او بشنز في الباما. اضافة إلى ذلك، جهزت نفس الشركة العراق باجهزة للرش تعتبر بناء على وثائق سرية في مصلحة الكمارك، «صالحة لاعمال مزج الوقود النووي»، حسبما جاء في تعليق لصحيفة الوول ستريت جورنال.

مواصلة النهج

في اجتماع المجلس الاستشاري الوطني في البيت الابيض في ١٩٨٩/١١/٨ أكد مساعد وزير الخارجية (روبرت كميت) الحاجة لمواصلة النهج بقوله: «العراق مهم جداً لمصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، واضاف ان بغداد عامل مؤثر في عملية السلام، تلعب دوراً أساسياً في استقرار المنطقة، وفيها فرص تجارية كبيرة للشركات الاميركية».

حينئذ لم يعد ممكناً تجاهل الأدلة عن استخدام صدام حسين للصادرات الاميركية في ماكنته الحربية. ولكن بأمر من الحكومة والبيت الابيض واصلت الادارة محاباة بغداد تجارياً إلى ان احتلت القوات العراقية الكويت.

عن دورية (كوفرت آكشن) ـ العدد ٣٧، صيف ١٩٩١



أدب وفن



صوت الجنون
في
فضاء المدينة الإسلامية*

حيان السمّان

- ١ -

لم تُقص الثقافة العربية ـ الاسلامية، صوتَ الجنون عن منبر الكلام، وإنما، على العكس من ذلك، أفسحت له المجال الرحب ليدلي بالشهادة على عصره. فتم تخصيص المسارد الطوال له، في كتب الأدب والثقافة العامة، مثل ـ البيان والتبيين ـ و ـ العقد الفريد ـ و ـ غرر الخصائص ـ و ـ نثر الدر ـ الخ . . . كما أفرد له ـ الحسن النيسابوري ـ (ـ ٤٠٦ هـ) كتاباً كاملاً أسماه ـ عقلاء المجانين ـ، ترجم فيه لعدد كبير من الشخصيات التي ظهرت في المدن الاسلامية، وامتازت بسمات يتوزعها العقل والجنون، ويوشح خطابَها الحكمة والزهد والنقد الاجتماعي ـ السياسي.

إن هذه المسارد بإيلائها صوت الجنون ذلك الاهتمام كله، تعكس وضعية اجتماعية ـ تاريخية لهذا الصوت، إنوجدت على أرض الواقع، وأتاحت له موقعاً فاعلاً، ونطقاً مسموعاً، ينتسب إلى الطرافة والفضل، ولا يختلط بالوجه المظلم للجنون. ولعل هذه الوضعية المشار اليها، هي مرتكز المصادر التراثية العربية، في تبني صوت الجنون، وإعادة إنتاجه، في خطابه الثقافي ـ الاجتماعي.

لقد كان صوت الجنون يرتفع حراً واضحاً، أمام الملأ في الاسواق والمساجد والقصور، في الحمامات العامة، وفي الطواف بموسم الحج، وفي حلقات القصّاصين والوعّاظ، وفي البيمارستانات؛ بكلام جيد صحيح ومفيد، يقطّر التجربة التاريخية للمجتمع العربي ـ الاسلامي، بأبعادها ومستوياتها المتشابكة. ويجهر بالسري

والمهموس، في لحظات الضيق والخوف والقلق التي يمر بها الجسد الاجتماعي العام.
ويمكن القول، بعد التدبُر في مسارد الجنون أن صوت الجنون في الثقافة العربية ـ الاسلامية، هو شكل من أشكال الرد الذي أنتجه المجتمع العربي، تجاه وضع تاريخي تناحري مأزوم في مساره. وكان هذا الصوت أداة من أدوات مناهضة المجتمع لعوامل القمع والاستغلال التي تعاني منها الفئات الاجتماعية في المدن الاسلامية.

وقد استعمل المثقفون في المجتمع العربي ـ الاسلامي، من أدباء ومؤرخين وقصاصين ووعّاظ، صوت الجنون، كل من موقعه في شبكة الصراع الاجتماعي، وارتهاناً لطبيعة وعيه للعالم، وممارسته الثقافية. فأدرجوه في مؤلفاتهم، عبر إعادة إنتاج، تُزيح الصوت ـ في محتواه وشكله ـ وتقدمه، نسقاً تعبيرياً ـ ثقافياً ـ اجتماعياً، له حوامله الفنية ـ اللغوية، ومقاصده الاخلاقية والسياسية والمعرفية المختلفة. ومن جهة ثانية، كانت الأوساط الشعبية، وعوام المدن الاسلامية، يتداولون أقوال المجانين، ويُعيدون، عبر مثقفيهم ورواة الأخبار الشعبية، إنتاج هذه الأقوال، بحيث تكدّس في مسار التاريخ، تراث ضخم أغنى هذا النسق، وشكّل مرجعاً لا ينضب للمسارد المخصصة لصوت الجنون.

ومما لا شك فيه، أن محمولات صوت الجنون تتطابق من حيث الدلالة، ومحتواها الاجتماـ سياسي، مع محمولات أنساق ثقافية معرفية وابداعية أخرى، ولكن من الهام ان نشير إلى أن ما يميّز محمولات صوت الجنون هو الشكل الفني ـ التعبيري الذي قدمت من خلاله. وهو شكل يُكسبها خصوصيتها الشعبية ـ الاحتفالية. وملامحها التعبيرية العفوية المصاغة في سياق جمالي ـ شعبي بسيط وعميق في آن معاً. وبكلام آخر، لم يكن صوت الجنون، في بنيته التعبيرية ـ الدلالية، صوتاً متعالياً نخبوياً، وإنما كان صوتاً شعبياً جماهيرياً، في إرساله وتلقيه، وفي إعادة إنتاجه من جديد، عبر دورة مستمرة، ومواكبة لحركة المجتمع العربي ـ الاسلامي.

إن صوت الجنون في التراث العربي ـ الاسلامي، يشكل جانباً هاماً من ثقافة المضطَهَدين، ومن الحكمة الشعبية التي قُمعت، فلجأت إلى المجنون وانتسبت اليه، فظهر المجنون في المؤلفات التراثية، كما في الوعي الشعبي، حكيماً ينطق بتطلعات الناس، يحكي عن آلامهم، ويستشرف المغيَّب، عبر صوت واضح صريح. يلقى القبول والتسامح والاعجاب، ويخترق المحظور، ويبوح بالحقيقة التي أخرسها التسلُط[1].

* * *

ـ ٢ ـ

٢ ـ آ: كانت المدينة الاسلامية هي الحاضن الرئيسي لصوت الجنون. فيها ظهرت أشكاله المبكّرة، ثم تطور واتخذ ملامحه ومحمولاته وسماته الخاصة به، وبالترافق مع

سيرورة التطور المديني، بكل أبعاد هذا التطور ومجالاته الاجتماعية والسياسية والثقافية.

والحق أن صوت الجنون، في مسار تطوره، وفي محمولاته وأشكاله التعبيرية المختلفة، يجد مرجعيته في حقل الصراع الاجتما ـ سياسي الذي احتضنته المدن الاسلامية، بمنبثقاته ومستوياته التاريخية المتناسجة.

إن هذا الارتباط بين صوت الجنون وبين الصراع داخل المدن الاسلامية، يفسّر دلالة التوزع المديني لتراجم المجانين في كتاب الحسن النيسابوري ـ عقلاء المجانين ـ، على سبيل المثال. فهو توزع تستقطب الجانب الأكبر منه، تلك المدن التي لعبت دور حاسماً وهاماً في التاريخ العربي ـ الاسلامي، منذ أواخر القرن الأول للهجرة، في العراق بشكل خاص. ثم تصاعد هذا الدور، فكان لها نصيب وافر ـ سياسياً واقتصادياً ومذهبياً. في إدارة الصراع وحَسمه طوال الحقب التالية. وكان الناظم الرئيسي لهذه السيرورة الحضارية المدينية، بتجلياتها المختلفة، هو الاقتصاد المديني، الذي تنامى بشكل سريع، بعد توقف حركة الفتوح، والاتجاه، من ثم، بسياسة التعمير في تلك المدن «نحو تحويلها إلى مدنٍ مستقرة تعتمد على نشاطاتها الاقتصادية المختلفة، بعدما كان الاعتماد على الخراج والغنائم الواردة من البلاد المفتوحة»[1].

وكان الطابع التجاري ـ الحرفي هو عماد الاقتصاد المديني، ونمطه الأعم. ولقد ترافق، في سيرورة التبادل، وتطور قوى الانتاج، مع تضخم في الثروات، وتمركُز نقدي هائل، وتفاوت مستمر في الرفاه والثروة بين الفئات والأطراف المتصارعة داخل تلك المدن. وكان البعد الديني ـ المذهبي في وضعية الصراع على السلطة، داخل المدن الاسلامية، رافداً رئيسياً من روافد سيرورة التناقض والصراع تلك، وشكلاً جاهراً من أشكال التعبير عن حدة التناقضات التي ظهرت في مسار التطور الحضاري للمجتمع العربي ـ الاسلامي.

أدارت مؤسسات المدينة الاسلامية، الصراع الاجتما ـ سياسي، ليس من خارجه بالتأكيد، ولكن كطرفٍ فيه، بوصفها ممثلة للدولة. ولقد تجسدت تلك المؤسسات «في السلطة الادارية ممثلة في الوالي وأعوانه، وفي السلطة القضائية، وأجهزة الأمن والمراقبة، كجهاز الشرطة والمحتسب»[2]. ولقد قامت هذه المؤسسات، ضمن سيرورة التناقض والصراع، وفي إطار ممارساتها الادارية والسياسية والايديولوجية داخل المدينة الاسلامية، وبالتضافر مع فئات مستفيدة ومرتبطة بها، مثل التجار والمثقفين من فقهاء وقرّاء وأدباء الخ . . . قام هؤلاء جميعاً، بانتاج وتكريس نسيج ـ الحالة السلطوية ـ المدينية. وكانت هذه الحالة، بكافة مصادرها وتجلياتها الاستعلائية الاستغلالية والقمعية، هي الهدف الرئيسي لحركة صوت الجنون في فضاء المدينة الاسلامية، فتبدى هذا الصوت، كمنعكس أدبي ـ

ثقافي، للوعي المناهض للحالة السلطوية المدينية، التي ووجهت باستمرار من قبل حركات المعارضة بمنحييها المنظم والعفوي الشعبي، في المجتمع العربي ـ الاسلامي.

٢ ـ ب: قدمت المدينة الاسلامية لصوت الجنون، موضوعات شغله النقدي الهجائي الساخر، بوصفها حاضنة الصراع الاجتما ـ سياسي، وفضاء الترديدات الأخلاقية والثقافية المختلفة، ومستقر الفئات المدينية، بعلاقاتها ومنتوجاتها المادية والروحية. وبكلام آخر، بوصفها الوعاء الذي نشأت وتوالدت فيه الحالة السلطوية، فكانت المدينة الاسلامية، من ثم، المسرح الذي قدم صوت الجنون من فوقه خطابه، وعلا في نواحيه، ناقداً ونذيراً.

لقد تلامحت مرافق المدينة الاسلامية، في مسارد الجنون التراثية، بمثابة ـ مساحات شعبية ـ تُلقى فيها محمولات الصوت على الملأ، أمام جمهور المدينة[٤]، من ثم، إنتاج وتداول هذه المحمولات، تبعاً لحيثيات الوعي والممارسة في مسار التطور والصراع. وكانت هذه المرافق (القصر ـ المسجد ـ البيمارستان ـ السوق ـ المقبرة الخ...) تستقطب صوت الجنون ليتحرك في فضائها، ويرتبط بها. في الواقع و/ أو في الخطاب الثقافي الذي تعكسه المسارد؛ تبعاً لموضوع الصوت ومقاصده من جهة، وارتهاناً لطبيعة دور هذا المرفق، أو ذاك، في الحياة المدينية، من جهة أخرى. إن الدور المديني، الاجتماعي والسياسي والشعائري الخ... لهذه المرافق، قد وفرّ لصوت الجنون جمهوراً واسعاً متنوعاً، يتلقى الخطاب، ويعيد انتاجه وتداوله بالشكل الذي يحقق غايات التعبير والافصاح. ومن ناحية ثانية، فإن طبيعة المرفق تعطي خطاب الجنون بعداً تعبيرياً ـ فنياً يُعمّق من فاعلية الخطاب وتأثيره. وبذلك فإن دلالة المرفق في مسارد الجنون، تتبدى كعنصرٍ رئيسي في خطاب الجنون، لا يؤطّره، ويشكل الحاضن المادي لحركته فحسب، وانما يتناسج مع عناصره ودلالاته وبنيته الفنية.

إن الارتباط بين صوت الجنون، وبين المكان ـ المرفق، في المدينة الاسلامية، هو ترابط وظيفي، ينتظمه الحرص على تكريس أكبر فاعلية اجتما ـ ثقافية ممكنة لهذا الصوت، وهذا الحرص لا يتبدى على مستوى الواقع التاريخي لصوت الجنون وممارساته، وإنما يتبدى كذلك على مستوى التحويل الثقافي ـ الفني للصوت. أي على مستوى ـ الانزياح ـ الذي تعكسه مسارد الجنون التراثية، حيث يُؤخذ بعين الاعتبار ـ في المسارد ـ دلالة المرفق في بنية خطاب الجنون. وكمثال على ذلك كله، يمكن الاشارة إلى أن التنديد بالسلطة السياسية، ورموزها من خلفاء وولاة، كان يجد فضاءه المناسب في قصور هؤلاء أنفسهم، بشكل رئيسي ـ كما في مواجهات سعدون مع المتوكل ـ وتتحدد دلالة ذلك في كون المواجهات بين المجنون وبين الخلفاء والولاة، مواجهات مباشرة ـ وجهاً لوجه ـ

«معكس لحدة الصراع، وفساد السلطة السياسية. كما أن تعالي هذه السلطة على الناس، واتساع الهوة بين القصر والشارع، كرّس رغبة تاريخية ـ شعبية في ردم الهوة، واختراق حجب السلطة. فكان على صوت الجنون أن يدخل القصور والبلاطات، ويخترق الحجب، ليقف في مواجهة الحاكم ويسمعه حكم الناس ورأيهم، وعلى هذا تغدو دلالة المرفق ـ القصر ـ في خطاب الجنون التنديدي أمام الحكام، ذات بعد تعبيري ـ فني، واجتماعي ـ ثقافي، هام.

لا تنفصل دلالة المرفق، عن عمل ـ الحالة السلطوية ـ المدينية، وآليات تجسدها ـ كمؤسسات وأفراد ـ. فقد علا صوت الجنون، وردد محمولاته، حيثما مارست الحالة السلطوية عملها. في القصر أو المسجد، في السوق أو البيمارستان. . . الخ. إن دلالة المكان ـ المرفق تكتسب تعالقها الوظيفي بصوت الجنون، من كونها تشير، في الوقت نفسه، إلى فضاء الممارسة السلطوية. ففي اللحظة التي يتحول فيها المكان إلى حاضن مادي لممارسة سلطوية، فإنه يتبدى كفضاء مناسب لحركة صوت الجنون، بمحمولاته الرافضة، والتي تتراوح بين النقد والوعيد والسخرية. وهكذا يتبدى المرفق في المسارد، ساحة مواجهةٍ بين شعبة من مصادر وتجليات الحالة السلطوية المدينية: (الحاكم ـ القاضي ـ التاجر ـ المثقف. . . الخ . . .) وبين سلطة صوت الجنون، بوصفه شكلاً من أشكال تجسُّدات الوعي المناهض للحالة السلطوية.

وهكذا كان ابتكار لحظة سلطوية، في المسارد، محكوماً بهاجس مواجهة هذه اللحظة، من قبل ـ صوت الجنون ـ. وتحت الهاجس السياسي والاجتماعي، والأدبي ـ التخييلي، تمت عملية انزياح صوت الجنون، بين الواقع التاريخي، في فضاء المدينة الاسلامية، وبين مسارد الجنون التراثية العديدة.

* * *

ـ ٣ ـ

في دراسة سابقة(*)، تحدثتُ عن مواجهة صوت الجنون للسلطة السياسية، ممثلة بالخلفاء والولاة، بوصفها المصدر الرئيسي لانتاج الحالة السلطوية المدينية. وسوف نستعرض فيما يلي، المواجهات بين صوت الجنون وبين مصادر ـ شُعَب ـ أخرى للحالة السلطوية المدينية، من أنصعها: المثقف ـ القاضي ـ فروض الشريعة (الدين). . . الخ، آخذين بعين الاعتبار ان الحالة السلطوية المدينية ليست مجموع ما تنتجه هذه المصادر، وإنما هي ذلك النسيج الذي يَنتُجُ عن التفاعل والتساند وتبادل المواقع والمصالح، بين هذه المصادر كلها، وفيما بينها وبين الجسد الاجتما ـ تاريخي الذي تشكله الفئات المدينية في المجتمع العربي ـ الاسلامي.

٣ ـ آ: سُلطة المثقف:

يحتضن البيمـارستان معظم المواجهات بين المجنون والمثقف. والحق أن دلالة البيمارستان تتحدد في مسارد الجنون باتجاهين، يعمل الأول ضد صوت الجنون، بوصفه ـ أي البيمارستان ـ مرفقاً مدينياً تمارس الحالة السلطوية عملها فيه مباشرة على المجنون، كمريضٍ خاضعٍ لاجراءات الضبط والعلاج[٦]. أما الاتجاه الثاني لدلالة هذا المرفق، فإنه يُحيل إلى فضـاءٍ مُوالٍ لصوت الجنون، وحاضن لسلطة هذا الصوت المناهضة لسلطة المثقف بشكل خاص، وللحالة السلطوية المدينية بشكل عام.

ومما لا شك فيه، أن الاتجاه الثاني للدلالة، هو الأكثر سطوعاً في المسارد. مما يجعلنا ننظر إلى دلالة البيمارستان في خطاب الجنون، بوصفه عنصراً مسانداً لسلطة صوت الجنـون، وتتحدد وظيفته، ضمن نسق فني تعبيري متكامل، في كونه بؤرة استقطاب، ومصيدة، تحتضن الـطعم ـ وهـو هنـا المجنون مقيداً ـ الذي سيغري الحالة السلطوية ـ يمثلها المثقف هنا ـ بدخوله، حيث يباشر صوت الجنون، من ثم، عمله، صوتاً له سلطته ومقاصده ومحمولاته ضد سلطة الزائر.

لقد كانت سلطة المثقف من أهم تجسُّدات الحالة السلطوية المدينية التي واجهها صوت الجنون داخل البيمارستان. وإن المسارد تزخر بالمواجهات بين المجنون والمثقف في هذا المرفق. وهي مواجهات تتيح لصوت الجنون ممارسة سلطته ضد سلطة المثقف، فيتبدى هذا الأخير عاجزاً ومداناً وموضوعاً للسخرية والتجهيل.

ويتبدى البيمارستان في المسارد مقصداً للمثقف، يتعمد زيارته ودخوله للاصغاء إلى كلام المجنون. يقول المبِّرد «قال لي المازني: يا أبا العباس، بلغني أنك تنصرف من مجلسنا، فتصير إلى مواضع المجانين والمعالَجين، فما معناك في ذاك؟ قال: فقلتُ له: إن لهم أعزك الله، طرائف من الكلام وعجائب من الأقسام...» ـ وفيات الأعيان ـ ج٤ ـ. وفي سياق كلامـه على مجنـون في البيمارستان، يقول المبِّرد: «وقفتُ ناحية أستجلب مخاطبته وأرصد الفائدة منه» ـ نفسه ـ. وفي عقلاء المجانين للنيسابوري أن ـ ذو النون ـ يرى في منامه قائلاً يقول له: إن في دير هزقل حكيماً من الحكماء أفلا تقصده. فيفعل ـ ذو النون ـ. وفي المصدر نفسه: «قال عبد الله بن عبد العزيز السامري: مررت بدير هزقل أنـا وصـديق لي فقـال لي: ادخل بنا لنرى من ملح المجانين...». وفي «الكَشكول» للعاملي، أن السيد الجليل أمير قاسم أنوار التبريزي، كان كثيراً ما يجالس المجذوبين ويكلمهم. قال: لما وصلت إلى بلاد الروم قيل لي إن فيها مجذوباً، فذهبت اليه... الخ.

إن سعي المثقف إلى لقاء المجنون، والاصغاء اليه، أمر شائع في المسارد، وهذا

يعكس نظرة المجتمع إلى ـ صوت الجنون ـ بوصفه حمالاً للحقائق، ناطقاً بالحكم، عليماً بالمغيَّبات، ويخبر عنها، كما يقول ابن خلدون في المقدمة. ويشكل هذا السعي فاتحة لوحة المواجهة بين المثقف والمجنون. ويستتبع، بالنسبة للمواجهات داخل البيمارستان مفصلان هامان يتكرران في هذه اللوحة، هما:

أولاً: الاشارة إلى هيئة المجنون عندما يراه المثقف. وتتبدى هذه الهيئة على أحسن وجه. فالمجنون شاباً يكون ـ أحسنَ الناس وجهاً ـ أو ـ مليح الوجه، حسن الزي قد أرجل شعره وكحل عينيه، طراوة يعلوه حلاوة ـ أو ـ حَسَناً من أبناء ذوي النعم ـ. . . الخ. أما المجنون شيخاً فيكون حسن اللحية، وقوراً ذا هيبة.

ثانياً: يتبدى المجنون مغلولاً دائماً، عند مواجهة المثقف داخل البيمارستان. إن القيد عنصر اساسي في لوحة المواجهة، ويتم التأكيد دائماً، في المسارد، على وجوده: ـ مشدود إلى سلسلة ـ مقيد إلى جدار ـ مسلسل مغلول ـ مشدود إلى سارية الخ. . .

إن هذين المفصلين في لوحة المواجهة بين المجنون والمثقف، يشكلان إطاراً موضحاً ومؤكداً، وبالأحرى مسانداً، لسلطة صوت الجنون. إنهما يرسمان وضعية ايجابية ـ على مستوى الهيئة والشكل الخارجي للمجنون ـ ولكنها مقموعة ـ دلالة القيد ـ. وتتأكد الايجابية من خلال ـ نطق المجنون ـ و ـ محمولات صوته ـ التي تربط حسنَ المظهر الخارجي، بغنى المضمون والوعي الذي يجسِّده الكلام، وتفضح، من ثم، قمعية القيد وسلطة المثقف. إن ـ نُطقَ المجنون ـ هو المسموح به، دون حركته، وبذلك تؤكد المسارد على أن ـ صوت الجنون ـ هو السلطة التي ستقف في وجه سلطة المثقف، ساخرةً ناقدة، أو محايثةً بمستوى أكثر عمقاً ومعرفة وتجربة.

يذهب صوت الجنون في مواجهته للمثقف، داخل البيمارستان أو خارجه (في المقبرة أو كهوف العزلة أو في الطريق الخ. . .) باتجاهات عديدة: السخرية[7] ـ النقد الهجائي المرير[8] ـ التجهيل[9] ـ الوعظ[10]. . . الخ. وتتحدد هذه الاتجاهات، تبعاً للمثقف الذي يقف في مواجهة المجنون، حيث يكون خطاب هذا الأخير متناغماً مع ـ صورة المثقف المعني ـ. فالروح الساخرة للجاحظ والمبرِّد، جعلت خطاب الجنون الموجه اليهما، خطاباً ساخراً بروح هجائية نقدية هازئة، وبمحمولات تتفق مع اهتمامات هذين الأديبين. بينما يتبدى المجنون واعظاً صوفياً حكيماً، في مواجهة مثقفين أمثال ـ ذو النون ـ و ـ الفضيل بن عياض ـ و ـ أمير قاسم التبريزي ـ الخ. . . وإذا كان المثقف المواجه للمجنون، شاعراً أو أديباً ناقداً، والحديث ينهض حول ـ نقد الشعر والشعرية ـ؛ فإن حوامل صوت الجنون تكون قصائد يلقيها المجنون ـ بديهة غير مفكر ولا متوقف ـ. ويُعمل، من جانب آخر، مبضع التجريح والنقد في نصوص سواه[11].

٣ ـ ب: سلطة القضاء: كان القضاء، طوال الحقب الاسلامية المختلفة، مصدراً رئيسياً من مصادر إنتاج الحالة السلطوية المدينية. وقد ارتبط بشكل مباشر بالسلطة السياسية، كمؤسسة من مؤسسات الدولة، وكمنصب يتم ملؤه مباشرة باشراف من الخليفة نفسه[١١]. وهذا ما يفسر ظهور نزعة رفض العمل في القضاء عند بعض الفقهاء. من منطلقات مختلفة، سياسية ولاهوتية وأخلاقية، تصب بمجملها في إطار المنحى المعارض للحالة السلطوية المدينية.

وينبغي أن نلاحظ أن ازدياد تدخل السلطة السياسية، في أمور القضاء، قد ترافق مع تراجع واضح في نزعة رفض العمل في القضاء، مما أحال هذه الوظيفة، في العصور التالية، إلى أداة مباشرة بيد السلطة السياسية. وصار من النادر أن يقف الفقهاء المتأخرون مواقف رافضة لتولي منصب القضاء، كتلك التي وقفها فقهاء العصرين الأموي والعباسي الأول، وأخص بالذكر ـ أبو حنيفة ـ و ـ سفيان الثوري ـ.

وعلى المستوى النظري، استمرت إدانة منصب القضاء في الأدبيات الفقهية حتى القرن الرابع الهجري[١٣]. ولقد ترافق ذلك مع تداول أحاديث منسوبة إلى النبي محمد، تدين هذا المنصب، وتُحذِّر من مغبة قبوله[١٤].

إن التجليات السلطوية لمنصب القضاء عديدة، من النواحي الشكلية (اللباس ـ الكلام ـ الجلوس)[١٥]، والعملية. وكانت هذه التجليات تنوس بين تخوم إحقاق الحقوق، وبين تخوم القمع والتسلُّط وقبول الرشوة والهدايا وحياة البذخ الخ . . . ولكنها ارتبطت دائماً بالدولة التي كانت المصدر الأرأس لانتاج الحالة السلطوية المدينية. يقول ـ ابن خلدون ـ:

«وقد كان الخلفاء من قبل يجعلون للقاضي النظر في المظالم، وهي وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة، ونصفة القضاء، وتحتاج إلى عُلوّيدٍ، وعظيم رهبة، تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المعتدي». ولقد أدى تشابك المؤسسة القضائية مع جهاز الشرطة إلى سطوع الملمح التسلطي القمعي في منصب القضاء. ـ راجع مقدمة ابن خلدون ـ.

كان التظاهر بالجنون وسيلة متبعة عند الكثيرين من المكلفين بمنصب القضاء، الراغبين في التخلص من هذا التكليف، دون التعرض لنقمة السلطة. وثمة، في المسارد، العديد من الروايات التي تتضمن حالات التجان كوسيلة للخلاص من ورطة العمل في مؤسسات الدولة. ولقد أشار ـ الحسن النيسابوري ـ في ـ عقلاء المجانين ـ أثناء الكلام على ـ من تجان وتحامق وهو صحيح العقل ـ؛ إلى ـ من تحامق لينجو من بلاءٍ وآفة ـ. فيورد عدداً من الروايات عن قضاةٍ تظاهروا بالجنون تخلصاً من هذا المنصب[١٦]. وقد كان نموذج القاضي الحكيم المتجان تخلصاً من القضاء، إطاراً فنياً ملأه القصُّ الشعبي الساخر

بتنوعـاتٍ دلالية حكائية عديدة، ذات مضامين أخلاقية ووعظية وسياسية مختلفة. وفي الحقيقة فإن هذا النموذج يقارب نموذج المجنون (البهلول) في المسارد، بوصفه حكيماً، رافضاً للسلطة، ينطق بالحقائق. وتبدو المفارقة الفنية ـ الدلالية في صياغة هذا النموذج من خلال التفاوت المدهش بين إيحاءات المظهر الخارجي، وبيانات النطق والتجربة(١٧).

إن الروايات التي تُدين القضاة على لسان المجنون، كثيرة في المسارد. يختلط فيها الجد بالسخرية. ويتبدى القاضي، كما الخلفاء، مادة للتندّر والضحك. وسوف أثبت ها هنا بعض هذه الروايات، محيلاً القارىء الراغب بالاستزادة إلى المصادر.

● (قال عمر بن عثمان: شيَّعتُ عبد العزيز بن المطلب المخزومي وهو قاضي مكة إلى منزله، وبباب المسجد مجنونة تصفّق وتقول:

أرّق عينيَّ ضراط القاضي   هذا المقيم ليس ذاك الماضي) «البيان والتبين ـ العقد الفريد».

● (سمعت حفص بن غياث يقول: مررت في طاقة السرّاجين فاذا عليّان جالس فلما جزته سمعته يقول: من أراد سرور الدنيا وحزنَ الآخرة، فليتمنَّ ما هذا فيه.

قال: فوالله يا أبا محمد لتمنيت أني متُّ قبل أن ألقى القضاء) «عقلاء المجانين».

● (سمعت سوّار بن عبد الله القاضي يقول: دخلتُ بعض حمامات البصرة، فقلتُ لصاحب الحمام: فيه احد؟ قال: لا. إلا شيخ موسوس. فدخلتُ فاذا بشيخ قد اختضب مقبل على زاوية. فقلتُ: يا شيخ ما حِرفتكَ؟ قال: أنا أبيع الكعاب والدوّامات من الصبيان. فقلتُ في نفسي: مع من وقعت! فقال لي الشيخ: ما حرفتكُ؟ قلتُ: لا أخبرك. قال: والله ما أنصفتني! سألتني عن حرفتي فأخبرتك. وسألتك عن حرفتك فلم تخبرني. فقلت: أنا أنظر فيما بين الناس وأمنع الظالم من المظلوم. قال الشيخ: ويقبلون منك؟ قلتُ: من لم يقبل حبستُه وأدبته. قال ويمكنك ذلك؟ قلتُ: نعم إن معي أعواناً من السلطان. قال الشيخ: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به. قال سوّار: فتصاغرت إليّ نفسي) ـ عقلاء المجانين ـ.

● (فقال له ـ أي «رأس النعجة» المجنون لسوّار القاضي ـ: سألتك بحق الله وبحق الأمير إلاّ ما أخبرتني في أي سورة هذه الآية: فإن أُعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها إذا هم يسخطون؟ قال: في براءة. قال: صدقت! فبرىء الله ورسوله منك! فضحك محمد بن سليمان حتى كاد يسقط عن دابته. . .) ـ مروج الذهب ـ.

٣ ـ جـ سلطة الدين:

إن صوت الجنون، هو ـ بشكل عام ـ صوت ورعٌ مؤمن، يقارب تخوم الولاية والصديقية. ومن المعروف أن شخصية المجنون (البهلول) في المجتمع العربي ـ

الاسلامي كانت ترتبط دائماً بسمات الورع والصلاح، ويبدر منها ما يدل على مقام الولاية والصديقية. ولقد أشار ـ ابن خلدون ـ إلى ذلك بالقول:

«. . . قوم بهاليل معتوهون أشبه بالمجانين من العقلاء، وهم مع ذلك قد صحّت لهم مقامات الولاية وأحوال الصديقين، وعلم ذلك من أحوالهم من يفهم عنهم من أهل الذوق، مع أنهم غير مكلّفين، ويقع لهم من الاخبار عن المغيّبات عجائب لأنهم لا يتقيّدون بشيء فيطلقون كلامهم في ذلك، ويأتون منه بالعجائب. . . الخ» ـ المقدمة ـ.

ولكن نجد في محمولات صوت الجنون ما يشير إلى موقف مناهض لسلطة الدين. وتتمثل هذه السلطة هنا في مسألة التكليف المتعلقة بأمور العبادات (الصلاة والصوم) خاصة. إن سقوط التكليف عن المجنون قد ساهم في إدراج موضوعة ـ التذمُّر ـ من وطأة العبادات المفروضة، كإحدى محمولات صوت الجنون. والحقيقة أنه توجد في كتب الأدب والثقافة العامة في التراث العربي، العديد من مواقف التذمُّر هذه، منسوبة على الأغلب إلى الأعراب. ولكن هذا الموقف يُطرح من خلال صوت الجنون، في سياق المقارنة التي يقيمها المجنون نفسه، بين قيد الجنون والابتلاء به، وبين قيد الشريعة ووطأة التكليف، مع إعطاء الأفضلية للجانب الأول.

● «سمعتُ علي بن شيبان الحلبي يقول: حدثنا مشايخ همدان، قالوا: كان عندنا مجنون تجتمع عليه الناس، فإذا اجتمعوا عليه قال لهم: ترون ما أنتم فيه من حيرتكم وغفلتكم شيئاً ما هو إلا محنة العبودية ووطأة الشريعة في الدنيا، والحبس والحساب والسؤال والعذاب في الآخرة، وإنما الراحة ما أنا فيه، لا حرج في الدنيا ولا حساب في الآخرة» ـ عقلاء المجانين ـ.

إن التخويف الذي يكرسه الدين في نفس المؤمن، يمارس سلطته المستمرة القادرة على تأطير سلوك الأفراد، وفق المعايير التي تومىء إلى مآل أخروي سعيد. وثمة تكريس مستمر لهاجس الخوف من رقيب يسجل أعمال المؤمن ليبسطها يوم الحساب. وتلعب صفات الجحيم والعذاب التي يلاقيها الانسان المذنب يوم القيامة، دوراً فائق الفاعلية في هذا الخصوص، وبالتالي، ترتهن ـ سيكولوجية ـ العبادات، في إطارها العام، إلى عامليْ الرغبة والرهبة المنبثقين من سلطة الدين مباشرة.

يخترق ـ صوت الجنون ـ هذه الوضعية، اعتماداً على ـ سقوط التكليف ـ عن المجنون. فيعكس تطلعاً عاماً، ربما قابعاً في تضاعيف الوعي المخوَّف، إلى الخلاص من عاملي الرغبة والرهبة، والانطلاق من ملكوت الحرية الانسانية التي تنفي كل سلطة. يذكر ـ النيسابوري ـ:

«دخلت بهراة دار المرضى فاذا شيخ مسلسل، فقلت له: يا شيخ! أتريد النجاة مما

أنت فيه؟ قال: لا. قلتُ: ولم؟ قال: لأن القلم مرفوع عني فيما أتعاطاه، فإذا نجوت من هذه البليَّة أُجْريَ القلم علي، فقد حُبستُ وأُطْلقَ عنك. وستُحبس ويُطلق عني».

إن الصلاة والصوم هما الفريضتان الرئيستان اللتان يتغنى صوت الجنون بالخلاص منهما. في ترجمة الشيخ ـ سيدي الشريف المجذوب ـ من طبقات الشعراني، أنه «كان رضي الله عنه يأكل في نهار رمضان ويقول لنا: معتوق أعتقني ربي». ويذكر ابن الجوزي في ـ صفة الصفوة ـ ج٢ ـ: عن ـ أبو بكر الشبلي ـ أنه قال:

«رأيت يوم الجمعة معتوهاً عند جامع الرصافة قائماً عرياناً وهو يقول: أنا مجنون الله. أنا مجنون الله. فقلت له: لم لا تدخل الجامع وتتوارى وتصلي؟ فأنشد:

يقولون زرنا واقض واجب حقنا وقد أسقطت حالي حقوقهم عني

إذا هم رأوا حالي ولم يأنفوا لها ولم يأنفوا منها، أنفتُ لهم مني»

* * *

صيف ١٩٩١

الهوامش:

(١) يمكن الرجوع إلى عدد من الدراسات حول موضوع هذا البحث، من شأنها ان تعطي القارىء الكريم فكرة أوسع عن وضعيات ومقاربات صوت الجنون في التراث العربي ـ الاسلامي، كنت قد نشرتها من سابق. وهذه الدراسات هي:

أ ـ أصداء صوت الجنون في الحضارة العربية ـ الاسلامية ـ مجلة دراسات اشتراكية ـ العدد الثقافي (٨) خريف ١٩٩٠ ـ دمشق ـ.

ب ـ صوت الجنون في أفق الخلافة الاسلامية (من تجليات نقد السلطة في المجتمع العربي ـ الاسلامي) مجلة ـ النهج ـ العدد (٣٣) ١٩٩٠.

جـ ـ المجنون ناقداً ونذيراً: من مقاربات القيادة البديلة في التراث العربي ـ الاسلامي، مجلة (الطريق) العدد الاول ـ شباط ١٩٩١ ـ بيروت.

(٢) د. محمد عبد الستار عثمان: المدينة الاسلامية ـ ص ٣٠٢ ـ كتاب (عالم المعرفة) الكويت.

(٣) نفسه، ص ١٢٣.

(٤) تتكرر في المسارد الاشارة إلى التجمعات التي كان يستقطبها صوت الجنون. فنقرأ في سياق الكلام على مجنون: «وقد أحاط به الناس» أو «فيخرج ويخرج معه الرجال والنساء والصبيان» أو «مررت وإذا جماعة على مجنون وقوف». أو «رأيت الناس مزدحمين فجئتُ فاذا أنا بمجنون» الخ...

(٥) الدراسة المشار اليها في الهامش رقم (١) ـ ب ـ.

(٦) يمكن الاستدلال على المنحى القمعي في هذه الاجراءات من خلال عدة واقعات، أذكر منها:

أ ـ يذكر ـ الآبي ـ في ـ نثر الدرر ـ ج٣ ـ: «ولما حُمل ـ أي بهلول المجنون ـ إلى المارستان،

سأل الناس أن يأذنوا له في أن يُلم بيته، ويوصي أهله بشيء، فمنعوه، فقرأ: ـ فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ـ». ومن الجدير ذكره أن الآية تشير في سياقها القرآني إلى صيغة إنذارية موجهة للكافرين. وتتضمن هذه الصيغة في القرآن الكريم عادة، عناصر تخويف وترهيب وتحذير من مآل صعب.

ب ـ في نفس المصدر يذكر المؤلف: «حُكي أن صاحب المارستان أتاه ـ أي بهلول ـ بقدح فيه دواء. وقال له: اشرب يا ابن الزانية. فقال: هات حتى أشربه، والله أعلم أنك أحق به مني».

جـ ـ يذكر النيسابوري في ـ عقلاء المجانين ـ: «قلتُ لآخر ـ مجنون ـ: ما تشتهي؟ قال: موت الجازي. وكان الجازي صاحب مجانين يسقيهم الدواء ويضربهم».

(٧) في ـ غرر الخصائص ـ للوطواط «قال المبرِّد: دخلتُ دار المجانين، فوقفتُ تجاه مجنون وأخرجتُ لساني، فحوّل وجهه عني، فجئت إلى الناحية التي حوّل وجهه إليها وأخرجت لساني، فحول وجهه إلى ناحية أخرى، فجئت إليه وفعلتُ مثل ذلك، فلما أضجرته، رفع رأسه إلى السماء وقال: إنظر يارب من حلّوا ومن ربطوا».

(٨) في ـ وفيات الأعيان ـ ذكر حديث يدور بين المبرِّد ومجنونٍ مقيد «ثم قال لي وقد رأى معي محبرة: يا هذا أرى معك آلة رجلين أرجو ألا تكون أحدهما: أتجالس أصحاب الحديث الأغثاث أم الأدباء من أصحاب النحو والشعر؟ الخ...» انظر الخبر كاملاً ـ ج٤ ـ حيث يوجه فيه المجنون نقداً مريراً ساخراً إلى ـ أبو عثمان المازني ـ و ـ المبرِّد ـ.

(٩) انظر على سبيل المثال المواجهة بين الجاحظ ومجنون بالكوفة، في ـ عقلاء المجانين ـ للنيسابوري. حيث يقول المجنون للجاحظ، مختتماً الحوار: «فاذهب فما تعقل أنتَ ولا أهل البصرة شيئاً!». والحوار المشار اليه يُظهر جهل الجاحظ في مواجهته ـ الثقافية المعرفية ـ مع المجنون. ويتبدى المجنون شاعراً ألمعياً. وفي المصدر المذكور نفسه، ذكر حوار يدور بين ـ أحمد بن يحيى ـ وفتى ببغداد كان يجن ستة أشهر ويفيق مثلها. ويتبدى المجنون في هذا الحوار ناقداً وشاعراً. والأمثلة على مثل هذه المواجهات التي كان فيها المجنون يبدو مثقفاً ناقداً وشاعراً وأديباً، كثيرة في المسارد.

(١٠) انظر الاتجاه الوعظي لصوت الجنون أمام المثقف في حواريات ـ ذو النون المصري ـ مع المجانين في ـ عقلاء المجانين ـ و ـ صفوة الصفوة ـ لابن الجوزي.

يقول ـ عليان ـ لـ ـ ذو النون ـ: «الحب يُنطق والحياء يُسكت، والخوف يُقلق». ويعلق ـ ذو النون ـ قائلاً: فتغير لوني وارتعدت فرائصي. ويسأل: يا علي ما أطيب العيش؟ قال: إذا قُذف بك في عين الأنس فكأنك معه في الجنة تكلمه بكلام السرور الخ.... ـ عقلاء ومجانين ـ. وانظر ايضاً خبر اللقاء بين ـ ذو النون ـ ومجنون في جبل اللكّام. «وبلغنا عن ذي النون المصري قال: وُصف لي رجل من أهل المعرفة في جبل اللكّام فقصدته. فلقيني جماعة من المتعبدين، فسألتهم عنه. فقالوا: يا ذا النون تسأل عن المجانين؟ الخ...». ـ صفوة الصفوة ـ ج٤ ـ. ويتبدى المجنون في سياق الحوارية، من أهل المعرفة، حكيماً واعظاً زاهداً. وهي ملامح تتسق مع خطاب ـ ابن الجوزي ـ، ومع الصورة التاريخية ـ الثقافية لـ ـ ذو النون ـ أيضاً.

(١١) في الحوار بين ـ أحمد بن يحيى ـ وفتى بغداد المجنون، أن هذا الأخير يقول: «ثعلب؟! قلت: نعم. قال: انشدني. فأنشدته:

وإذا مررت بقبره فاعقرْ به كوم الهجان وكل طِرْف سابحِ
وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخا دَمٍ وذبائحَ

فتضاحك، وسكت ساعة، ثم قال: ألا قال:

إذهبا بي إن لم يكن لكما عقـ... ـرٌ إلى ترب قبره فاعقراني
وانضحا من دمي عليه فقد كا نَ دمي من نداه لو تعلمانِ الخ...»

ويمكن مراجعة خبر الحوارية بين الجاحظ والمجنون المتقدم ذكرها، وفيها:

«قال ـ أي المجنون ـ: من أشعر الناس؟ قلتُ: امرؤ القيس. قال: حيث يقول ماذا؟

قلتُ: حيث يقول:

كأن قلوبَ الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي

قال: فأنا أشعر منه. قلتُ: حيث تقول ماذا؟ قال: حيث أقول:

كأن وراء الستر فوق فراشها قناديل زيتٍ من وراء قرامِ

فأينا أشعر؟. قلت: أنت... الخ».

(١٢) يشير ـ ابن خلدون ـ في المقدمة ـ فصل في الخطط الدينية للخلافة:

(وكانوا ـ أي الخلفاء ـ مع ذلك إنما يقلدونه ـ أي منصب القضاء ـ أهل عصبيتهم بالنسب أو الولاء، ولا يقلدونه لمن بعد عنهم في ذلك).

(١٣) انظر ـ (آدم متز): الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ص ٤٠١ ـ مج١ ـ ط بيروت.

(١٤) انظر هذه الاحاديث في ـ كتاب أدب القضاء ـ لابن ابي الدم (ـ ٦٤٢ هـ) وفي ـ بستان العارفين ـ للسمرقندي (ـ ٣٧٥ هـ) ص ١٨ من طبعة دار الجيل. وفي ـ المستطرف ـ للأبشيهي (ـ ٨٥٠ هـ) ـ الباب الثامن عشر فيما جاء في القضاء وذكر القضاة وقبول الرشوة والهدية... الخ ـ. لقد جمع الأبشيهي قضية ـ قبول الرشوة ـ مع الحديث عن القضاء. وكأنها من لوازمه ومُستتبعاته!

(١٥) يشير (آدم متز) في سياق حديثه عن قاضٍ:

«وقد اختصم عنده رجلان، وكان المدعى عليه قد سبق إليه وجعل نفسه المدعي صاحب الحق، فضحك خصمه متعجباً، وعند ذلك صاح ابن حربوية صيحة ملأت الدار... فأرعب القاضي الرجل، ومرض ثلاثة أشهر، وكان إذا عاده صاحبه يقول له: صيحة القاضي «في قلبي إلى الساعة، وأحسبها تقتلني»

وفي مكان آخر يذكر ـ آدم متز ـ:

«وكان ببغداد في سنة ٣٦٨ هـ قاضٍ يُعرف بأحمد بن سيّار، وكانت له هيبة وجبة مهولة ولحية طويلة. فتقدم إليه امرأتان أدعت إحداهما على الأخرى، فقال لهذه: ما تقولين في دعواها؟ قالت: أفزعُ أيد الله القاضي. قال: لماذا؟ قالت: لحية طولها ذراع، ووجه طوله ذراع، ودينّة ـ قُلنسوة ـ طولها ذراع، فأخذتني هيبتها...».

انظر: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع ـ ص ٤٠٠ ـ ٤١٨ ـ مج١ ـ.

(١٦) راجع الكتاب المذكور. وفيه خبر دخول ـ أبو حنيفة ـ و ـ سفيان الثوري ـ و ـ شريك ـ و ـ مسعر ـ على ـ المنصور ـ الذي استدعاهم ليوليهم منصب القضاء. وتحايل كل منهم للخلاص. وقد اختار ـ مسعر ـ التجان، فدخل على المنصور وقال: هات يدك، كيف أنت وأولادك ودوابك؟ فقال أخرجوه

فإنه مجنون.

وفي رواية ثانية عن ـ عبد الأعلى الصوفي ـ أن الخليفة كتب إلى عبد الله بن وهب في قضاء مصر، فجنن نفسه ولزم بيته. فاطلع عليه راشد بن سعد وهو يتوضأ في صحن داره، فقال: يا أبا محمد ألا تخرج إلى الناس فتقضي بينهم بكتاب الله وسنة رسوله، وقد جننت نفسك ولزمت بيتك؟. فرفع اليه رأسه وقال: إلى ههنا انتهى عقلك؟ أما علمت ان العُلماء يحشرون مع الأنبياء، وأن القضاة يُحشرون مع السلاطين؟

(١٧) خير مثال على هذا، القصة التي يوردها ـ الحسن النيسابوري ـ في ـ عقلاء ومجانين ـ عن رجلٍ: وآلى يميناً أن لا يتزوج حتى يستشير مائة نفس، لما قاسى من بلاء النساء. فاستشار تسعة وتسعين نفساً وبقي واحد، فخرج على أن يسأل أول من يطرأ عليه. فرأى مجنوناً قد اتخذ قلادة من عظم وسوّد وجهه وركب قصبة، فسلّم عليه وقال: مسألة. فقال: سل ما يعنيك وإياك وما لا يعنيك. فقلتُ: مجنون والله. ثم قلت: إني أصبت من النساء بلاءً وآليتُ أن لا أتزوج حتى استشير مائة نفس وأنت تمام المائة. فقال: إعلم أن النساء ثلاث، واحدة لك، وواحدة عليك، وواحدة لا لك ولا عليك. فأما التي لك فشابة طرية لم تمسّ الرجال، فهي لك لا عليك، إن رأت خيراً حمدت وإن رأت شراً قالت كل الرجال على مثل هذا. وأما التي عليك فامرأة ذات ولد من غيرك فهي تسلخ الزوج وتجمع لولدها. وأما التي لا لك ولا عليك فامرأة قد تزوجت قبلك، فإن رأت خيراً قالت هكذا يجب، وإذ رأت شراً حنّت إلى زوجها الأول. فقلتُ: نشدتك الله ما الذي غيّر من أمرك ما أرى؟ قال: ألم أشترط عليك أن لا تسأل عما لا يعنيك؟ فأقسمت عليه، فقال: إني رُشحت للقضاء فاخترت ما ترى على القضاء».



عن اثم كان وما يزال

شريف الربيعي

ما الذي لا نعرفه عن صدام . . .؟ لقد طرح العالم هذا السؤال بعلن صريح، وهو يستعد للتعامل مع صدام باسلوب جديد بعد احتلاله الكويت. . ما الذي يخفيه صدام عنا، أية اسرار ينطوي عليها سلوك هذا «الانسان»؟ تلك اسئلة وجدت طريقها إلى الرأي العام العالمي، في إطار من التحضير النفسي، لقبول ما سيقع لاحقاً، وكانت الحرب ورمزها الأكثر حضوراً صدام .

نحن العراقيين لا نطرح اسئلة من ذلك النوع، ولسنا في وضع يسمح ان نتهيأ لقبول تحديات جديدة يمثلها صدام في حياة عراقنا وشعبنا ووطننا.

نحن نعرف صدام في كل مواقع «التحدي» التي مثلها في حياتنا، ونحن الأكثر قدرة على تشريح صدام وكشف أسراره الشخصية، والاجابة على أكثر الاسئلة غموضاً في معرفة حياته.

لم نقل يوماً ان «صدام حسين» الذي حكم العراق فعلياً منذ ١٩٦٨ هو لغز من الالغاز الأرضية، ولا سر من الأسرار المستعصية على التحليل والكشف، وهو ليس من الذكاء إلى الحد الذي يمكن لشخصه ان يسلك في الغموض، ويفضح جهلنا بنمط تفكيره، ووضوح شخوصه في واقع حياتنا.

فمنذ حمل هذا «الانسان» صفة «السيد النائب» كان النائبة على حياتنا، وكان ينوب عنا بالتفكير بتلك الحياة، ووراء افكاره الساذجة كانت طموحاتنا بعراق جديد تجد أدوات ردعها أو تسفيهها من وحي تلك السذاجة التي رسمت سياسة عراق لم يهنأ ساعة واحدة بواحة خارج المآزق والكوارث المصنوعة، من ذهن هذا «الانسان».

لم نفاجأ بصدام وهو يقتحم هواء الكارثة الأخيرة، فنحن نملك في مساحة وعينا الموجع بفعل ما بذر فيه من مآسٍ وعوامل قهر، حالة معرفة تبتعد عن التخمين، وتدخل في صلب المعرفة الموثقة. كان مسلحاً بنوايا قسرية لمحقنا، أو جعلنا مسوخ سطوته في

«المعرفة».

كل الصفـات له، وكـل الألقاب، كل أمجاد الماضي في حاضره، وكل مسرات الرؤيا، فهو الذي يرى، وهو الذي يعرف، وعلينا ان نرى ونعرف ان سمحت احتمالات الدنو من وهج وضوحه، في حاجتنا الدائمة لذلك الوضوح، المحجوب عنا دائماً بفعل حضور «القائد» في «غموض» تمثله ملازماً لصفة القيادة ونهج العظمة.

لم نسأل يوماً عن معنى «صدام» لأننا نخشى الانحشار في الجهالة أو قلة المعرفة، ولـم نقـل للخوف يوماً ان الطريق إلى «صدام» ملامسة بالتحدي يمكن ان يكون نقيض لسلوك «القائد» المتقدم في «معارك» المحق وتشويه الصورة، أو رسمها وفق المعطيات التي كانها «صدام» في كل معارك إثبات الوجود.

منـذ حمـل صفـة «السيد النـائب» حاول ان ينوب عنا في احراز الحياة، الماماً باسـرارهـا، وعاشها نيابة عنا، أراد ان يكون الدهشة في التفاصيل التي تؤلف العراق، والحضور الساطع في يقظة الانفعال، وكان هو الفعل الذي صاره، حين تراجعنا إلى خنادق ردود الأفعال. هو الذي يُعطي وعلينا انتظار عطائه في مواسم البذل التي هو خصبها.

وهكـذا تغنت «القصائد» بنبوغه المعجز، وكان هو الوصي للقصيدة، هو الصورة والتصور، هو المانح وعلى اللغة المثول في حضرة جلاله الخصيب.

هو الـذي يزن العـدالة بقوانينه النفسية، يضفي على القتل شرعة الحياة، ويهب القاتل وسام انتصار على الضحية.

هكذا وطّن أصابع الجريمة على براءة الشر، وابتكر للشرور تسميات تليق بمثولها في حضرة العراق.

أراد ان يكـون كل الأشياء، وان نكـون في الحياة التي نرضـاهـا من بعض تلك الأشياء، ان نكون في البقاء من بعض أفضال رضاه، أو قناعته بحياة أكبر من كل ما تمثله حاجتنا للحياة، ووجد في حياته أصالة تعادل عيشنا في طاعته.

يحـدثنا عن الحب، وعن الثقافة، يشرح صورة المستقبل لعراقنا كما يراها، هي معنى لكل مفردات حياته. علينا ان نقلده.

ولـم ينقطع عن وعينا بوتائر المسخ والتشويه، تنامت حالة الشر التي يجسدها حضوره في حياتنا، تواصلاً مع السيرة التي تتقدم زماننا المصلوب على الانتظار ومسامرة القهر بكل أشكاله الأرضية. حتى لكاد ان ينطق بارادتنا، وكأنه روح عليا من سماء لا راد لقضائها.

هو هذا «الصدام» الذي تقاطعت في مآثره صفات الانسان، والذي صدّق لفرط ما تعاظمت في خنوع الناس صورة بطشه أنه قدر العراق، وهو معبود من قنعوا بالكفر بغير ارادته، ويغير المعجزات التي يمطر بها سماء العراق وأرضه.

نحن لم نطرح سؤالاً بعمق هذا الغباء، أو التضاحك على مسرح التاريخ، ولم نقل اننا ندحرج سؤالاتنا المقموعة باتجاه نار الوضوح، باحثين عن معنى يبدد شكوكنا حول ما أسميناه دائماً حالة الشر التي تلبست منطق العقل، أو التي بذرت في حقول انتمائنا للعراق اسم هذا «الانسان»، الذي يحاول السطو على موروث المعرفة في حياتنا، لنقول بفرح الاكتشاف المنبهر، اننا وجدنا مسيحنا، وان الخلاص هو هذا الذي نلمسه في وقع «الاقتدار» الذي صورته الجميلة «صدام».

ومثلما كان بالأمس حاول ان يكون اليوم، فهو امتداد لطغيان الصورة الشائهة في وجدان تذمرنا، وفي غمرة بحثنا عن اجوبة لا تدع لغموض السؤال مسلكاً ينسرب منه.

هكذا فتحنا العيون على الصورة الجحيمية «للانسان» الذي تمنن علينا بالطلوع، والقبول بأن نساير حياته تمثلاً وتمثيلاً وصولاً إلى الاقتداء بهيئة القتل والخراب وزوال النعمة.

أراد ان يكون التعويض عن كل خسارة لنا في التجاهل، فهو نقيض الجهل، إنه ارتياد لتاريخنا، فهو في صورة حمورابي، وهو نبوخذنصر، وهو تمازج الحضارات(نابليون بونابرت وتجاوز لحالة التقليد(الحجاج بن يوسف، فهو الأصيل، حتى لكأنه هو ذلك التاريخ، وكأن الماضي هو الحاضر، هذا ما كان صدام يوحي لنا به، وهو ما طمح ان يكونه اسراراً تستحق من حياتنا قدراً أوسع من الحيرة،وقبول حالة البحث عن اجوبة موفورة القناعة باننا ازاء ارادة لا راد لوجودها.

في كل مسارات النجم هو الألمع، ولذا تحدث بنبوءة عن عظمة الشأن العراقي، منح العراق شاطئاً فيما تقلد هو فعل الربان، ووزّع على العظمة بعضاً من طقوسه، ورضي بالظهور في طقوس التاريخ أصلاً، فهو خليفة استعاض عن الشورى بقراره القاطع رمزاً للعدل، وهو العسكري الفذ، مالك القدرة والاقتدار، وبين الألقاب والاسماء والصفات تجاوز أسماء الله الحسنى. وبين التاريخ وبين حضوره تتراجع صفات المجد محسومة لاطلالته، فمرة هو قائد النصر والفيالق الظافرة، له الفتوحات والامصار، هو العطاء حيث تتكاثر أصوات الضارعين. هكذا عرفناه دون ان تكون المعرفة موشاة لحظة بنوازع الصدق في نفوسنا، وكان الخوف أوكسجين تلك الحياة التي انفتحت على تلك المعرفة، ولم نقل مثلما قال الغرب، ما الذي لا نعرفه عن صدام؟.

نحن وحدنا عرفنا صدام، أكثر مما صدّق صدام يوماً انه يعرفه، وان علينا ان نغرف من تلك المعرفة ما ينير لنا طريق التطور وبناء الحياة في عراق طمحنا دائماً، ان لا تكون صورته، التي حاول صدام ان يكونها.

أكثر ما فعل صدام في حياتنا انه حاول جر العالم إلى القبول بفكرة انه هو العراق،

وسعى لجعل تلك الفكرة حقيقية يجسدها طموح قائد على شكل وطن وقياس حضارته وتراثه، وهكذا حين بدأ الغرب حربه ضد «صدام»، كان الانتقام قد ضرب العراق في الصميم، قالوا انهم يدمرون صدام، فيما هم يدمرون كل التفاصيل الحسية التي تنطوي عليها حياة العراق، ولم تكن تلك حياة صدام ولا تفاصيله عديمة الاحساس.

ختل في قبو المعرفة التي افترضها، ترك للعراق ان ينوب عنه في تقبل الخراب، قال هذا ما بنيت ولن أهدم إلا في هدمه وانطفاء روح الحياة فيه، قال لن أغادره إلا وقد تحول إلى رماد، وما انفك يردد عبارات التحدي ساحباً المجد نحو هزيمته إلى القبو المحصن.

دائماً كنا نعلن من مواجع الشكوى ومن مرارة المنفى ومن جزع العيش في كنف البطش الذي يمثله صدام، إننا نحن أهل العراق أدرى بشعابه، وأدرى بطغيان حاكمه، ونحن من يرى أكثر وأبعد مما يراه طيران الحلفاء الذي قال انه كان يطارد صدام، فيما كان يطارد حياة العراق ومستقبل اطفاله، بحرب قذرة، ستظل ملازمة لاسم صدام ولحلفائه في الماضي، الذين سعوا لقتل العراق بجريرة أخطائه في الحاضر، الذي رمزه صدام الحاكم.

لم نقل يوماً ان العراق يقبل الانتساب إلى الطغيان البليد، ولا إلى القهر الساذج، ولا للجهالة المؤدلجة بالعنف، لم نقنع في لحظة تفكير سانحة ان هذا «الانسان» يستحق حتى صفة دكتاتور، كنا نربأ بالمصطلح السياسي ان يسقط على مخلوق من هذا الطراز، وحين راح الوعي العراقي النظيف يبحث عن تسميات وأوصاف واسماء تناقض تلك التي أطلقها صدام على نفسه وجد ان لا صفة تقبل الثبات على رأس السلطة التي مثلها.

ستحدث عنه بصفة الماضي، فهو الآن كما كان دائماً خارج حياتنا وان حسب عليها قسراً. سنقول انه كان علامة عار في سجل حياتنا، سنسميه الخيبة التي رسمت حدوداً أوسع من نفوذها، وجرت الوطن إلى هاوية انهدام المقاييس، سنسميه غلطة افكارنا السياسية التي تصارعت في فجوة التحليل وخواء النظرية، ونلبسه معاطف أخطائنا، تاركين لشتاء المنفى عظام موتانا، وللوطن ما تناثر من خراب انتمائنا.

هل نقول الآن، إننا عرفنا صدام منذ لحظات ارهابه الأول، وهو يطلق الرصاص على ١٤ تموز، أم نكتفي بأن نمنحه صفة القاتل قانعين بصفة الضحية، أم نركن إلى أفجع السؤالات بأن نجد فينا مكاناً، مساحة لجواب عن صدام الذي أراد ان يكون فينا دون ان نكون خارج الاسهام في صناعته، ناظرين إلى الهول الذي يرتسم على صورة العراق من أفق لا يرتد إلا ناكصاً بالويل واحزان التجربة المريرة مرددين مع الكاتب الالماني هاينرش مان وهو يتحدث عن الحكم النازي قائلاً: «نحن الذين عشنا التيه والتذبذب فترات طويلة، علينا ان نجاهر بالحقيقة، وقبل كل شيء لأنفسنا، بأننا نحن المواطنون. نعم نحن المواطنون، شركاء حقيقيون في إثمٍ كان وما يزال..» ولا نعرف متى وكيف سيزول...؟



الجفاف*

زهير الجزائري

ـ هذه آخر المدن، سيدي الرئيس، وبعدها تبدأ الصحراء..

.. بدأ الضيق على وجه العقيد وهو يراقب من نافذة الحوامة امتداد الصحراء اللانهائي والصمت الذي يسبق الكمين. وكان الهواء الساخن يرج المشهد تحته كما تحرك مياه المحيط صورة القاع، وتسحب الحوامة ظلاً يشبه الحوت على تضاريس ثابتة :هضاب مخروطية حادة الحواف وكثبان رملية من صدف ناعم يَبهرها ضوء الشمس. أخفت وراءها ظلالاً هلالية كثيفة.. يلوي العقيد وجهه قرب زجاج النافذة باحثاً عن طريق تتبعهُ والده الراعي إلى مصادر الماء. وارتجف قلبه حين لمح فجأة خطاً من نقاط سود.

ـ قبل عشر سنوات فقط كانت كل هذه الأراضي زراعية. وهذا الخط الاسود على يمينكم هو ما تبقى من بساتين غطّتها الرمال المتحركة التي حققت انجرافاً في التربة بمعدل اثني عشر بالمائة سنوياً...

استمع العقيد باهمال ساخط لوزير الزراعة يحدّثه من مقعد خلفه، واستدار ليتابع خط الاشجار التي غمرتها الرمال. وضاع من عينيه آخر إثر من الحياة حين استدارت الطائرة بميلان خفيف نحو الجنوب.. وكلما توغلت الطائرة في الصحراء تأكد العقيد إنه خُدع.. لقد طوّقوا قصره بجدران من أشجار السرو العالية تضمّ بساطاً من العشب الأخضر المبلول. وغطّت النباتات المتسلقة جدران القصر والشرفات وزحفت ذؤباتها على زجاج نافذته، ورسم له وزراؤه خط تحركه من القصر إلى دوائر الدولة أو إلى المزارع النموذجية. وتنزلق سيارته المدرعّة الفارهة على طرق مسفلته تحفّ بها من الجانبين أشجار كثيفة الظلال.. لقد طوقوه بوهم أخضر كالطحلب حتى اعتقد ان العالم امتداد لمدينته الخضراء. وقد خلقت رحلاته المتصلة، بالهليكوبتر، اعتياداً على الوهم، حيث تبدو

* فصل من رواية «حافة القيامة» معدّة للطبع.

المساحات من الأعلى محددة بدقة ويأخذ النهر مجراه بهدوء، وتبدو الطرق مستوية مستقيمة وسطوح البيوت نظيفة . . كل شيء هادىء حين تغيب التفاصيل ويبدو الناس، من فوق، نقطاً بطيئة الحركة . . خدّره هذا الوهم وملأه بدوار لذيذ . . . الآن اكتشف ان المدينة التي غادرها قبل قليل ليست إلا نقطة في بحر الرمال الممتد حوله بكل الاتجاهات.

استدارت الحوامة بميلان خفيف نحو الشرق فاستقامت الصحراء جداراً لا نهائياً مال باتجاه العقيد فافسد قهوته. ولذلك أعاد الفنجان إلى مكانه متحسساً المرارة الطحينية في فمه.

ـ . . . ثم زحفت الصحراء جنوباً بحدود الف كيلو متر سنوياً . . .

ثبت العقيد ناظور المقرب على النافذة متابعاً نقطة مبهمة في متاهة الرمال، وضايقته كلمة حبيسة في صدره ! وأغمض عينيه لحظات متذكراً تلك المزرعة النموذجية التي زارها قبل أيام . . إنحنى ليتجنب العناقيد المدلاة من العرائش ورأى الماء الداوي المتدفق من المضخة والمزغرد في سواقٍ تخترق مروزاً من الأ ‹› ه المائسة . . هل رأى ذلك حقاً؟ . . لقد رأى آنذاك لساناً من الرمل اخترق السياج الشوكي وغطى أغصان الخيار ورأى جرادة . . أكان ذلك وهماً؟ . وقبل ان يركب سيارته مغادراً المزرعة، وقد امتلأت روحه بعافية الخضرة، إقترب منه مهندس زراعي نحيل مقطب كالنحس . . اخترق الحرس ووضع في يده مظروفاً دون ان يقول كلمة . . «طلب نقل» قال العقيد لنفسه ودسّ الرسالة في جيبه . . . بعد أيام عثر على الرسالة التي نغصّت فطوره لأنها قالت له، دون مداراة، ان ثمن الخيارة التي التقطها من المزرعة تكلف خمسة دولارات وان ناتج هذه المزرعة لا يغطي إلا حاجات نخبة من المسؤولين والسفارات الاجنبية. ومع الرسالة خارطة رسمت بدقة مريضة لتريه ان المزرعة التي رآها واحدة من نقاط قليلة موزعة حول مدينته وسط مساحات صفراء مترامية من الرمال . . كل ما في تلك الرسالة قال له «لقد خدعوك» . . . الآن تأكد إنه حبيس هذه الرمال السيالة التي «تتحرك بسرعة الف كيلو متر سنوياً» . . لقد زحفت على روحه ولعقت بألسنتها الراعشة لون الخضرة في ذاكرته ومسحت حافات مخيلته. وما عاد قادراً على ان يثبت فكره. وتلاشت همته أمام إتساع الصحراء فتابع أية علامة ناشزة فيها بلهفة المستنجد.

ـ هذه ياسيدي مقابر جماعية للأبقار التي ماتت عطشاً خلال أعوام الجفاف.

وتحسس الوزير ضيق العقيد من كل ما قاله فغطى الصمت بدفاع متواصل يلقي مسؤولية كل شيء على:

ـ عقدين من الجفاف قلّت فيهما نسبة المطر عن مائة مليمتر مكعب سنوياً.

ورغم ان العقيد لم ينظر أبداً في وجه وزيره، لكن شيئاً من الغضب الذي يكزّ اسنانه قال للوزير: «استعد للتقاعد!».

عندما اكملت الحوامة استدارتها الصعبة متحاشية دوامات الغبار، ارسلت الارض لعيني العقيد شعاعاً حاداً من الضوء: الـ ماء!»

. . تناول الناظور ليتابع مسار النهر الفضي وقد دخلته ألسنةُ الرمال وغيّرت مجراه مرات ومرات، وأحتمى بشاطئه خيط نحيل من الخضرة المغبّرة. ومست قلب العقيد هذه المداعبة المميتة بين النهر والرمال. . .

ـ هذا ما تبقى من الغطاء النباتي . . ففي كل عام . . .

وضاع صوت الوزير في دويّ الطائرة الذي ارتفع فجأة استعداداً للهبوط. وقد بدت من بعيد نقاط مصفوفة على الرمال وصعدت غصّة الشؤم حتى حنجرة العقيد وهو يراقب صفوف الخيام الطويلة تقذف من جوفها اناساً يركضون وقد رفعوا رؤوسهم متابعين مسار الحوامّة بأمل انها حملت لهم شيئاً من مواد الاغاثة. وبينما رفع الوزير صوته ليبلغ مسامع العقيد:

ـ حسب خارطة هاريسون، كان الحزام المطري . . . .

قاطعه صوت وهاب وهو يأمر الحرس المستعدين داخل الطائرة:

ـ لا تعدوا أحداً يقترب من المدرج.

سار موكب العقيد على الطريق الترابي الفاصل بين المخيم والمقبرة. . على يمينه امتدت حتى حافة الأفق صفوف من خيام رثّة صنعت من مخلفات الاغاثة أو من جنفاص أكياس الدقيق. . تصفعها الريح المغبرة وتنفخها وتبعجها ثم تلويها بلا هوادة مثل روح تحتضر. . من هذه الخيام يركض باتجاه الموكب اطفال عراة ببطون منفوخة واذرع نحيلة كالقصب احرقت الشمس جلودهم وجففها الغبار. . يقفون على جانب الطريق غير آبهين بالحرس الذين يأمرونهم بالابتعاد عن الموكب. . تتالت وجوههم أمام العقيد من وراء زجاج السيارة ودوّامة الغبار ووهن الحمى. يتطلعون إليه بعيون جاحظة رسمت شيئاً من دهشة ميتة على رؤوس تشبه الجماجم . . . وكلما اقترب يرفعون اليه طاسات وعلب صفيح ويفتحون أفواههم ليقولوا شيئاً يخصّه أكثر مما يخصّهم، ولكن الموكب يمضي ولا يخلّف لهم غير سحابة من غبار يعلق في الهواء ويرد الشمس بوهج كبريتي. وتهتز الصور مثل رؤيا آتية من وراء الوهن والحمى وضيق الصدر. وكلما توغل أثقل قلبه بحزن يحزّ حنجرته. . . فكّ أزرار سترته واتكأ على مقعده وربما قال: «هواء!»، لكن الغبار الدقيق الساخن دخل اليه حالما فتح وهّاب زجاج السيارة الأمامي.

ـ في كل يوم يموت خمسون من هؤلاء الاطفال بسبب الاسهال وضعف المناعة

والالتهابات الرئوية. . . لم يقل العقيد «كفى!» لطبيب المخيم. . فلقد بدا له هذا الصوت المشؤوم رجعاً لضميره أو لحساب ربه.

ـ ولدينا هنا، في هذا المخيم، وحده حوالي، خمسة آلاف طفل سيموتون. . .

التفت العقيد إلى حيث أشار طبيب المخيم، فبدت له مقبرة الاطفال تلالاً واطئة من تراب جمع بعجالة على امتداد الطريق. وفي نهاية خط القبور كان بضعة اطفال وشيخ يدفنون آخر الموتى. وحالمّا اقترب الموكب ترك الشيخ القبر مفتوحاً وأقبل ـ يحجل على عكازته والريح تطوّح عباءته السوداء الكالحة ولحيته الشعثاء ومدّ باتجاه العقيد اصبعاً كمن سيقول له نبوءة سيئة. . . أراد العقيد ان يحييه من وراء الزجاج، لكن ذلك يشبه موعداً مستحيلاً فاتكأ على المقعد غير راغب في النظر أو الاستماع، ولا حتى التفكير بأي شيء، ومطّ عنقه باحثاً وراء خيام الجوع والغبار عن واحة واهمة من خضرة وندىً. وفي دخيلته توسل السيد الحائري ليمنحه وعداً أو شفاعة. . .

ـ لدينا من العدس وعصيدة الذرّة ما يكفي ربع أطفال المخيم ولأسبوع فقط ولذلك حذفنا الشيوخ من حسابنا. . .

وصل العقيد الى المنصة الخشبية التي توسطت ساحة المخيم. من الواضح انْ الادارة بذلت جهـداً صعباً لتزيين المنصة بالاعلام وصوره، لكن الريح مزقت الأشياء بسخط ولؤم. . . استنـد العقيد على ذراع وهـاب ليصعد الدرج. ومن وراء نظّارته السوداء رأى مشهداً مرتجاً من هياكل آدمية يدفعها الحرس باخامص البنادق. وفكّر وهو يواجه الحشد وبينهما المايكرفون: «لماذا يتحتم عليه ان يتحدث، وما الذي سيقوله؟». وتقدم وكأنه نسي دوره قبل العرض، ولكنهم دفعوه وهو لا يعرف أول كلمة من خطبته، بل لا يعرف من يخاطبهم ولا يريد ان يعرف أكثر. أول عبارة قفزت إلى ذهنه وهو يقرب فمه من المايكرفون «رئيسكم يوشك ان يموت»:

ـ السلام عليكم يا أبناء هذا الشعب المعذب!

اعادت الريح السريعة المنخفضة اليه كلماته الآتية من مكبر الصوت. وصدم حين عرف ان هذا الصوت المذبوح الآتي مع ولولة العاصفة هو صوته. . ومع صوته حملت الريح حفنة من رمال ساخنة غمرت انفه وشواربه وجرّحت جفونه وشفتيه وحنجرته.

ـ صد. . صدقوني. . . إذا قلت لكم! . . .

وبقي صامتاً ليستحضر الجملة التالية. . يريد ان يقول شيئاً مخلصاً يدخل قلوب هذا الحشد المعذب، لكنه يدرك ان سنوات من التجربة خلقت ركاماً من الشكوك بين هؤلاء الناس وبين من يحدثهم أو يودعهم. . كيف تستطيع الكلمات ان تفند الجوع والموت الحاضر

في كل لحظة . . لا يستطيع لا يستطيع . . فهو أسير خطاب واحد وباتجاه واحد . . من حاكم إلى رعيته . وأوشك ان يقول «إني اعيش مأساتكم هذه لحظة لحظة» ، ولكن تعذّر عليه ان يمسك بصيرته في دوّامة الغبار . ورأى بين الوهم واليقين ايدي نحيلة سوداء تلوّح أو تبحث عن شيء ضاع في دوامة الغبار : «هذا هو الجحيم» قال لنفسه وقد هاله إن هذا الجحيم يمتد إليه بالتحديد . . الايدي الممدودة من وراء طوق الحماية والعيون الجاحظة كما في لحظة الحياة الأخيرة والافواه الفاغرة المحطمة الاسنان . . تناديه أو تلعنه حتى دون ان تقول شيئاً . والريح المولولة تحمل له غبار الأرض الجافة . . كل شيء يضرب حبال روحه النحيلة . ولا يدري كيف صرخ :

ـ إن ما رأيته اليوم . . .

وارتدت اليه كلماته من وراء عالم الرمال . وضاعت كلمة «عذاب» أو «عقاباً» في أنّةٍ اختلطت بالعاصفة . . . وطال صمته فقد شغلته الاذرع التى تهرشُ الهواء والضوء ، والوجوه التي لا تحمل تعبيراً غير الموت «عما قليل سيموت عدد منهم» كما قال طبيب المخيم . ومن الطنين الحاد سمع صوتاً يناديه :

ـ يا رئيسنا الجديد! . . .

ولكن الجملة انقطعت وفقد وجه قائلها لسبب لا يدريه . ولأول مرة يكتشف على الأرض قبح ما امتلك . . ولعن من دعوه من زنزانته لـ . . . ليحكم ماذا؟ عالماً من اشباح ورمال هيالة سيتلاشى عند أول زخة مطر . . ومع ذلك عليه ان يقول شيئاً يفنّد ما يراه . عليه ان يفعل شيئاً لا يرضاه من رعيته : ان يكذب . لا مفّر من ان يفعل ذلك لتهدئة هياج هذه الارواح ، ولكي ينوّم جوعهم على أمل ما . فما أصعب ان يموت الانسان بدون أمل بالشفاء!

ـ اعرف ان الوعد صعب . ولكني لا أطلب إلا الصبر . . . فهذا العذاب ثمن ضروري لرفاهية الاجيال . . وقد دللت المسوحات الأولية إن تحت الأرض التي نقف الآن عليها بحاراً من الذهب الاسود . . .

وأفلتت الرمال من اسر الأرض واندفعت لولبياً تولول وهي تحتك بعمود السارية فوقه ، وخفقت الاعلام بقوة ، في محاولة للافلات من حبالها ومادت الأرض تحت العقيد واحسّ إنه يغوص مع الأشياء باستواء في الرمال وليس ثمة ما يستند عليه . وقد إرتج عليه القول وهو يريد ان يملأ الصمت بكلمات تنطلق على عواهنها

ـ إن مجد هذه الأمة وعزتها ومستقبل اجيالها امانة . . .

لكنه لم يشعر إلا بحضور العدم الثقيل . ولمح من وراء الغبار وزحمة الاشباح ذلك الشيخ النحيل بعباءته يرفع يداً نحيلة كمن يحذره من شيء وشيك الوقوع .



الفاس والشجرة

سلام ابراهيم

منذُ غبشة الصباح استيقظ معصور القلب.. كامداً.. حزيناً.

.. ليس في الأمر مزحة.. انه ليس تمريناً.

أزيز دوران المروحة.. ط.. ر.. ط.. ر.. ط.. ر.. ر.. ر.. ر أزيز جعله ينكمش في قرفصته بين اجساد الجنود التي تكتظ بهم مصطبتا الطائرة. أصبح الضجيج موصولاً.. خيطاً طويلاً لفهُ وهبط بقلبه إلى قدميه. تئز الطائرة في الاعالي وتحتها تمتد الابسطة الخضراء المتموجة سابحة في بحر الشمس الذهبي،المروحة صارت دائرة شفافة.. مرتجفة. وجوه الجنود اليافعة.. الحليقة، شاحبةً تتبادل نظرات متوترة وتبرك في صمتٍ قلق.. ط.. ر.. طر.. ط.. ر.. رر.. ررر..

ـ سنطوق القرية.. انها وكر للعصاة.. اضربوا دون رحمة!!!

ـ أنتَ.. وأنتَ.. وأنتَ.. اخرجوا من الصف.. اسمعوا. انتم ستشتركون لأول مرة مع فصيلي لتكن قلوبكم قلوب رجال.

استعرت بنفسه رغبة في التدخين، وتأمل الوجوه بشرود. غار في التفاصيل المجردة. أشكال القسمات.. أحجامها.. أنف طويل.. أنف مفروش، عيون واسعة، شفاه مكتنزة، عيون ضيقة شفاه خيطية.. عين حولاء.. وأخرى جاحظة. البدلات المرقطة تخفي الاجسام كجلد ضفدع يتلون بلون المحيط.

في الاسفل وعبر مرآة الهيلكوبتر تترامى الحقول وأشياء الأرض. وعلى بعد مسافة بدت في الافق ثلاث طائرات بحجم الذبابة، صغيرات، دبقات، يخدشنَ زرقة السماء، يحافظن على المسافة الفاصلة بينهنَ.. الجندي الجالس لصقه غفا على كتفه. كان معه خارج الصف والضابط يوصي بالرجولة.. تأمله.. بشرة طرية كالزبدة، لا شعر في الذقن.. لا شارب.

تدور المروحة.. تضج الأشياء حوله بالصمت. فَصلٌ قسمات وجه نائب الضابط الجالس قبالته بشرود. أنف ضخم. فم كبير. صف اسنانه العليا دفع الشفة وابرزها. عينان ضيقتان ماكرتان. سمعه يهمس لرئيس عرفاء. لم يفهم من همهماتهما شيئاً ربتَ على خد الجندي الغافي، وقرفص ماسكاً بندقيته بين فخذيه. هبطت الطائرة وجعلت تحوم حول وادٍ أخضر انتشرت في قعره بيوت صغيرة بدت كنقاط باهتة. الطائرات الأخرى توزعت على التلال المحيطة. تعلقت في الهواء ساكنة. فتح نائب الضابط باب الطائرة. شرع الجنود بالقفز. أمسك خوذته الصفيحية المشبكة بالحبال ونطَ في الهواء. تدحرج على العشب غير شاعر بمتعة قفزات التدريب بل ألمت به غصة وكآبة متوجسة من مجهول اللحظات القادمة.. وأثناء تدحرجه عاودته عينا ابيه اللتان لم تغيبا عنه منذ بكرة الصباح. تئز القذائف مارقة من فوق رؤوسهم، واصوات إنفجارات هائلة وحرائق اندلعت في اكوام التبن وزرائب الحيوانات المنتشرة حول القرية. انحدر مع ضف الجنود المقوس صوب البيوت الطينية المغطاة بسحب كثيفة من الدخان. رمى بصره فلاحظ الطوق المرقط على التل المقابل ينزل. تقلصت الدائرة.. ضاقت.. اطبقت على كتل البيوت الطينية.

.. أين هم العصاة؟ ها هو أول بيت..

من كوة دائرية في الجدار ظهرت فوهة بندقية وزختهم بصلية. انبطح على الأرض ضاغطاً على الزناد غريزياً. البيت الذي صدرت منه النارَ صارَ جداره منخلاً. وابتدأ يحترقُ بعد ان اصابته قذيفة «آر. بي. جي ٧» فتائل اللهب تتصاعد من دوائر الشبابيك من كتلة الدخان الابيض إندفعَ جسد يركض باتجاه رقدته محني الظهر. كان يطلق النار عشوائياً قبل ان يبلغه تكوم ساكناً دون حراك. جلس متربعاً وتلفت حواليه.. إلى جانبه على بعد مترين سقط الجندي اليافع الذي غفا على ساعده في الطائرة ميتاً. كان يتمدد بسكينة مطرز الصدر بالثقوب المدماة. وأمامه على بعد ثلاثة أمتار انكفأ القتيل الآخر على جنبه.. كان شاباً جميلاً. حليق الذقن تنقع شرواله العريض بالدم، شرد بعيداً.. بعيداً، وعاد يقلبُ نظراته الحزينة بين الجندي والقتيل..... واخذته الذاكرة إلى مسافات الطفولة البعيدة، والعودة إلى البيت.. وانبثق ذلك اليوم واضحاً كالامس حينما استقبلته اخته الكبيرة بوجهٍ يلتمع فرحاً، رمى كتب المدرسة على تراب الحوش وركض إلى الغرفة المعتمة، وفي

زاويتها رأى اخاه الوليد يرقد وسط سلة من الخوص ملفوفاً بأقمشة بيضاء. . كان يقف وسط الحرائق وألسنة النار وكتل الدخان الاسود والصراخ واصوات الرصاص المتقطع والعويل. أحس بالأختناق. أسرع داخلاً بين صفوف البيوت، وهو يسعل من الدخان الكثيف المطبق على ازقة القرية. . وجمده المشهد. . الجنود يطلقون صليات في الهواء، وما بين ارجل النسوة الهاربات من بيت إلى آخر. . طفل ينزف من رأسه ويركض صارخاً. جنود يخرجون من الغرف حاملين حاجيات متنوعة قطع ذهبية، ساعات يدوية، حقائب، جلود، ملابس، . . آخرون يكوون ظهور الشيوخ بأخامص بنادقهم. . جثث صبية ممزقة قرب الجدران.

اخترق سمعه صراخ أجوف يأتي من باب قريب. . دفعه ونفذ خلاله إلى غرفة فسيحة. جمد بمكانه. . نائب الضابط يتوسد امرأة شابة ارضاً. كانت تصرخ وترفس بساقيها العاريتين المرفوعتين. . وهو يخور كالثور ويدفع بوسطه العاري ضاغطاً ما بين فخذيها البيضاوين، وفي زاوية الغرفة يفحط طفل لم يجاوز السنة.

ـ اتركها. . سافل.

انتفض نائب الضابط، والتفتَ اليه مرتجفاً للوهلة الاولى بينما زحفت المرأة ممزقة الثوب، منثورة الشعر نحو طفلها الفاحط. ارتدى بنطاله قائلاً:

ـ دعنا نستمتع سوية!!

ـ أخرس. . كلب.

امتزج الغضب في تقاطيعه بوميض لذة حيوانية ناقصة. تناول بندقية بيدٍ مرتجفة وخطا نحو الباب مقترباً من وقفته. أصبح إلى جانبه تماماً. . ثم لم يحس إلا بالغرفة تدور به بجنون. . فترنح متداعياً إلى الأرض غير شاعرٍ بشيء.

عندما فتح عينيه لفتهُ غمامة بيضاء شفافة مكتظة بدوائرٍ مسننة الحواف. . تدور. . وتدور. . تتداخل تقترب. . تبتعد. . ثم وضحت الرؤية فميزَ خشب السقف الحائل اللون. . واجتاحه صفير أملس. . صفير أهوج. . طويل.

. . أين أنا؟. . ما الذي حدث؟

الصمت يطبق على الغرفة. . و. . و. . استذكر اللحظه التي أهوى فيها النائب ضابط بأخمص بندقيته على أم رأسه. جلس نصف جلسة ومسح بعينيه الغائمتين جدران الغرفة. . مرآة مكسورة. . قفص خشبي صغير. . ملابس طفل معلقة على حبل يقطع الغرفة. . استكانات شاي محطمة. . ابريق ماء مقلوب. . دولاب خشبي صفت فوقه افرشة نوم. نهض بصعوبة مستنداً على كفيه. . وانجذبت عيناه إلى زاوية الغرفة. ارتد فزعاً إلى الجدار وأخذ يرتعد كمحموم. المرأة البيضاء عارية تسبح في بركة من الدم وطفلها إلى

جانبها مهشم الرأس. شعر بالغثيان. . دارت به الغرفة. . تمسك بالجدار العاري خلفه. سكن للحظات عاصراً رأسه براحة كفيه قبل ان يندفع باتجاه باب الغرفة الخفيض. الزقاق خالٍ إلا من دخان الحرائق، واصوات صليات متقطعة تُسمع من الطرف الآخر للقرية.

صفير أخرس انبثق من سكون رأسه. . صفير موجع يكوي الروح.. وقبل ان يستدير صاعداً باتجاه مصدر الاصوات سمع نشيجاً مكتوماً ينبعثُ من خلف جدارٍ قريب. توقف متفحصاً المكان. كان ثمة جندي يبرك لصق جدار الطين مغطياً وجهه بساعده وخانقاً عويله الذي يخرج متقطعاً. . خافتاً بادره:

ـ ماذا بكَ. ؟.

كفكف دموعه المنهمرة وتصنع التماسك وأجاب:

ـ لا. . شيء. . لا شيء. .

ـ أين ذهبوا ؟

ـ إلى المقبرة

ـ ما الذي يجري؟

ـ . . .

خلف جدارٍ مقابل لمح جندياً مذعوراً يختبيء. صعد باتجاه المقبرة لاهثاً. . والصفير الاخرس صارَ طنين خلية نحل مستثارة. . ز. . ز. . ززز. . ز. . ززززز. الجندي البارك لصق اسفل الجدار عاود النشيج .

ـ. . . نائب الضابط المنحط. . سأرميه. . .

ومن بين ساقي شجرتي بلوط متقاربتين أبصره يدفع شيوخاً أكراداً وفتية بفوهة رشاشته إلى حفرة واسعة حُفِرتْ حديثاً، ويأمر الجنود الممسكين بالمساحي بأهالة التراب. الضابط في وسط المقبرة المشجرة يعطي اشارة الرمي على ثلاثة رجال شدوا إلى ساق شجرة توت ضخمة. في طرف المقبرة البعيد الجنود يكبسون النسوة والاطفال المعولين في عربات ايفا عسكرية.

ـ أنتَ. . وأنتَ. . وأنتَ. . وأنتَ. . وأنتَ. . خطوة إلى الامام. . لتكن قلوبكم قاسية، اتركوا التفكير بكل شيء. : ركزوا على الثأر من الخونة!!!!!

تشوشت الاشياء بذهنه. . ز. . ز. . ز. . ززززز صفير. . صمت الضجيج. . نشيج الجندي البارك اسفل الجدار. . صمت. . ز. . ز. . ز. . ززززز. . نحن ندافع عن حياض الوطن. . ززززز. . ز. . صفير جسد القروية العاري السابح في بركة الدم. . الطفل المهروس الرأس. . ز. . ز. . ز. . زز. . صفير أخرس. . رقاب الرجال الثلاثة المتدلية إلى الصدور. . صراخ متصل. . صراخ النسوة المحشورات في عربات «الايفا». أيديهن

المتضـرعة إلى السماء. صفير املس يسوط الروح.. ززز.. ززز.. ززز كان الضابط يتكىء على ساق الشجرة مائلاً، يدخن برعبٍ وهو يراقب الاجساد والأكف التي تصارع التـراب.. عويل الاطفـال.. زز.. ززز.. ز.. صفير مخيف، فزع العيون المغبـرة الاجفـان.. الصـرخـات المختنقـة والمتقـطعـة بذرات التـراب المتسـاقـطة من أكف المسـاحي.. صفير معـدني يخدش القلب. أخذ يرتعد وهو يقترب من الضابط مهدود المفاصل راغباً بالتلاشي.

ـ ستعود ذلك.

ـ...

ـ كن رجلاً

ـ...

صمت متفجـر.. صمت حبس الصفير.. وجـه الضـابط ينفتـخ.. يتـطوى.. يصغر.. يصغر.. يستدق النهاية.. صارَ رأس افعى. *

كان يقف أمام الضابط محتقن الوجه، ثقيل اللسان، عاجزاً. أخرس، مشلولاً.. كاد يرتمي باكياً ويقبلُ قدمي الضابط.. يتوسله ليوقف ما يجري.

ـ اذهب وشارك في الدفن ان يعجبكَ!!!

و.. فـ.. فـ.. فـ اجتاحته ريح مجنونة، حارقة هبت من عينيه اللاهبتين. شارك شارك.. شارك.. بالدفن.. بالدفن.. بالدفن.. بالدفن.. بالدفـ.. فـ.. فـ

خطا خطوة واحدة ثم استدار وهبط مستنداً على ركبة واحدة بمـواجهة الضابط.. وَصَوَّبَ بأصابع جامدة نحو الرأس قبل ان يشعر بحرارة الرصاص تلهبّ جسده وتجعله يحلقُ في فضاء شاسع جديد.

شباط/ ١٩٨٨



علاء حسن صالح

شاخصٌ في خرابِ الدماءِ الحديدِ الحجرْ
نابتٌ في رمادِ المعاني
أُسميكِ مقْصَلَةً في ضبابِ العدمْ
ـ أمقصَلةٌ من ذهبٌ؟
لِتَكنْ هكذا طالما الظُفرُ ممتنعٌ صنعُهُ عِندَها.
تدليتُ من حلمي
كأمعاءِ مَنْ قُتِلَتْ في مساءِ
الذهولِ المريرِ، تحتَ
جسرٍ عتيقٍ يغني وحيداً
كآدمَ إذ مَسَّهُ العشقُ مَسّاً لطيفاً
أورقتْ شفتي
هيكلاً مِنَ الصمتِ والحزنِ
والطلع والأحمرِ العربيِّ الجميلِ
ـ أنتَ أيها الاحمرُ العربيُّ
أكلما سفكوا منكَ شيئاً
سَموتَ عليهم وأدميتهم؟
شاخصٌ، نابتٌ، تَدليتُ، ما مسّني

مسّني ، ولستُ المُطالَبَ بجردِ الحسابْ
لستُ المُداهنَ هذا الضبابْ
ظلالُ استقامة ظهري
تُرممُ كلَّ هذا الخرابْ
وتُعطيه إسماً جديداً
تُعَمِدُهُ في صباحِ المياهات تأتي
مطيةً بأزيز النبالِ الذكيةِ تأتي
كسربِ نوارس يغمرُها عَسلُ الهجراتِ تغني :
ـ يومَ انتهتْ حربُهمْ
بدأتْ حربُ أطفالِنا .

«هاه أمريكا وصلت هيه وصلت أمريكا إختفى الحادي وانقطعت خيوط المناكب الأليفة للساهرين عبثاً خلف خرائط الروح فهمهموا لقد انتهى النشيد بغتة كما حلم شفيف جاء في غير أوانه وانفتحت عينان مجهولتان نائلتان من الأوجاع والشرر القزحي على جبلين منهارين من العصافير والاسماك الملونة سراً وأراك تهبطين من علياتك البيضاوية أخطبوطاً من الحراب والمسامير المجنحة وشتائم رعاة البقر الجنسية المنتقاة بمهارة رواد الفضاء المزودينْ بما يكفي من التمائم والاوكسجين الابيض كراياتك الخفاقة والتي ترسل في أماسي الصيف الأطلسي أنيناً مهسهساً يشبه سريان الدماء من جرح في خاصرة الولد علي بن محمد عامل السكك القرمطي فيا لها من راياتٍ تلك التي تُقعَتْ طويلاً في عصير الأناجيل المترجمة رغماً عنها والأمصال الزرقاء المستخلصة من ثلوج اوربا القافزة إلى عنصريتها ودمها الأزرق النبيل من شباك نزوات التاريخ الماكر هذا الدم المُعلَنُ عنه في رايةِ الأتحاد الاوربي[1] والمسجل كرصيدِ مُضاربِ حَسَنِ الطالع كأمصالِ ثلوج اوربا ـ العجوز السافلة ـ كما ودعها ليون تروتسكي من عرض البحر[2] وأوربا التي طردها تِيير[3] من فردوس فائض القيمةِ والقيح وانتخابات الرئاسةِ كلَّ أربع ، خمسٍ ، سبعِ سنوات من الموت المعقم بعد أن أحال جمرَها إلى سمادٍ من النوع الممتاز لأجماتِ بيير لاشيز[4] ولكن الشبح المدمي بحماقات الخراف السلافية الحمراء واصل طوافه المبارك رافعاً قبضته الشبيهةَ بغيمة مدلهمة من البارود والمويل المنسق بملاعق الجوع ذاهباً آيباً من بوخارست ذوي الأبواز السود[5] إلى مدريد الأوانس الشرسات ومن مدريد الأوانس الشرسات إلى بوخارست ذوي الأبواز السود محرضاً الخطوط الامامية على مواصلة الحياة ناثراً ابتساماتهِ العميقة كالماء المُملَحِ على المقابرِ الحانات المختبراتِ السريةِ الأزقةِ السمراءِ المعلقةِ من ظفائرها فوق الساحل المقابل للأطلسي المكتض بآثام القرن الماضي والحاضر المطرز ببرك دماءِ الهنود الحمر والسود والسمر والصفر والبيض في القرن القادم نعم البيض ما لَمْ يوضعْ حد لهذا الموتِ بحدِ السيف .»

«هي لعنةُ ـ فولا كوبر[6] ـ تطاردك يا أمريكا ،٧٠ نجاة لروحك التي اصطبغت بالعامل البرتقالي[7] روحك المُرتطة بالفقناعة[8] من الدرجة السابعة»

ما انهزمَ الجندُ
لكنهُ الجبُّ[٩] ثانيةً
إنهُ الجبُّ عاشرةً
والشفاهْ التي أدمنتْ
فعلَ أمرٍ يقولُ: انسحبْ
يومَ كلُّ القواميسِ صاحَتْ: تقدمْ
ما انهزمَ الجندُ
لكنهم هُزموا
نفَّذَ الجبُّ خطتهُ
نفَّذَ الذئبُ نزوتَهُ
مزقَ الذئبُ أبناءه
وحينَ أفاقَ من دمِهِمْ
إستفزَّ الوحوشَ التي أنجبَتْهُ
ـ لكنها الحربُ والحربُ حربٌ
لكنها الحربُ والحربُ حربٌ
لكنها الحربُ
ـ تلكَ ترنيمةٌ
أنتِ لا تُتقني غيرَها
ـ لكنها الحربُ
ـ هنيئاً إذن
هنيئاً لك الكأسُ مترعةٌ بالدماءِ
هنيئاً، و. . .
ـ لكنها الحرُب والحربُ حربٌ
هنيئاً، ولكنهُ
المدُّ والجزرُ يا قاحلتي
والعدو المقيم معي

في قلاعيَّ غِمداً لسيفي
ـ لكنها الحربُ
هنيئاً أمريكا لكننا
لم ننتهِ بَعْدُ
بل يقيناً
نكون ابتدأنا.

«ورفعَ الرجلُ المرحاضُ المرصعُ بنظراتِ الصحفيين والصحفيات كأسَ النشوةِ والثأرِ من هاني بعل[10] افترضت وجوده المخابرات المركزية وتحولت تلك الفرضية بحكم الزكام المزمن إلى يقين من السيراميك ثم تناول بمرح رزمة من علامات المساواة الذهبية وراح يعلقها على صدور العنزيين لكن واحدة من هذه العلامات (الأوسمة) سقطت من صدر عنزيٍّ ضريرِ القلبِ واستقرتْ بين حقوقِ الانسانِ النبيءِ وحقوق الانسان المشوي فاحتج العنزيُّ بانجليزيتهِ المتينة رغم أنه لم يرَ شيئاً واستمر الحفل بين أكداس الأكياس البلاستيكية السوداء وهذا كفن حضاري جديد تقترحه عليكم أمريكا الطيبة عليكم وليس على أجدادكم ومنهم جدي الذي يرقد منذ عقود في رمال النجف متمنياً أن يكون معي معكم مع الباكين في قوس الآلام الممتد من العامرية والعابر إلى غزة، بني غازي، تونس، وهران، عَمّان، مراكش، وليس مع الراقصين تلك الليلة الليلاء في تل أبيب والكويتيتي والبهرين[11] والهوار أفتحُ راحتهُ المجرُحة بالصليب المسنون[12] وما ثمةَ نهاية لمبتكرات أوربا فأراكم تقترحون على الرايات سماة أخرى وأرى شيئاً يشبهُ أمريكا يَغرُبُ رويداً رويداً كما قطرة من دماء في بركة زيت أسود وهذا أمرٌ سيضحكُ كلُ الرحالةِ والجوالين في أصقاع الشريان العربي لماذا؟»

وللأحمر العربي عطرٌ مخيف
وأجنحةٌ لا ترى
لهُ طعمُ هذا الثرى
لهُ زَغَبٌ من حنينٍ وماء
لهُ خفقةُ الصقرِ
والتماعُ الجوادِ
ولكِ الاسماءُ الأخرى يا قافلتي
أمريكا، قافلةُ النملِ الأبيضِ ومهدٌ من ورقِ النشاف
أمريكا، ضبعٌ يجترُ عظاماً، رملاً، ودخان
أمريكا، ركضٌ بثلاثة سيقانٍ دونَ مسافات

أمريكا، إلهٌ من شمع يتقيأ كلساً وعقارب
أمريكا، شرائحُ من قلب الزنجيِّ وقلائدُ[١٣] من آذان الحُمر.
أمريكا، كرشٌ يكتضُ بأسماكِ البورصاتِ وشَعرِ الآباط
أمريكا الزنخة الفجة الهاذية
أمريكا جوهرةُ الصدفةِ والأضداد
أمريكا، الرغبةُ ذاتُ الانصالِ الزرق
أمريكا، القتلُ وشبه القتلِ وفوقَ القتلِ وتحتَ القتلِ تَجدُ أمريكا.

«أما ما كان من أمر الفلاحين، فقد هرعوا أُلوفاً مؤلفة يجتثون عروق الدولة المهزومة عرقاً عرقاً وكانوا يميلون للحمرة كعادتهم في قلب الهزائم إلى أعراس يختلط فيها العرق بالبارود بصمت النخل بالهوسات وها ها ها نمالك خَلٌ يتحنى بدم شوارزكوف نمالك خَلٌ يتحنى ويسري الهواءُ الأبيضُ الباردُ في أخاديد الروح لكنه الجبُ معتماً هذه المرة ولست ممن يجعلون دماء الحسين سلماً للوزارة سيدتي.»

«أما ما كان من أمرِ وزيرِ الداخليةِ في المملكة الحولاء فقد وقع يومها أمراً بالقاء القبض على أبي العلاء المعري الذي يقترح الفلاحون تجريده من لقبه هذا وخلع لقب ـ المتنبي ـ عليه:

أقيــمي لا أُعِـدُ الـحـجَ فرضــاً	على عُجــزِ الـنسـاءِ ولا العــذارى
ففـي بطحــاءِ مكــةَ شرُّ قومٍ	وليـســوا بالـحـمــاةِ ولا الغيــارى
قيـام يدعـمـونَ الـوفـدَ شفـعــاً	إلى البيتِ الحــرامِ وهم سكــارى
إذا أخــذوا الــزوائـف أو لجـوهم	ولــو كانـوا الـيهــود أو النصــارى
ولا تشقي بمــا صبغــوا وصـــاغــوا	فقــد جاءت خيـولـهــم تبــارى
أتــتـهــم دولــةُ تَهــرَتْ وعَــزَتْ	فبــاتــوا في ضلالـتــهــا أســارى

من اللزومية الثانية والثلاثين لأبي العراء الـ....»

وداعاً أمريكا
لا شراينَ في تاجِ الحمى
لتنسرب الدموع
بينَ جمرِ الأحقاد

بينَ نخيلٍ لا شفاهَ لهُ
المرأةُ الغامضة
تلوكُ بأبهةٍ
أصابعَ القمر
فاضتْ العُتماتُ برائحةِ الهيلِ والثلجِ
وما ثمةَ ثلجٌ في قرون الحقيقة
سرادقٌ عظيمٌ من الأنين والآمال
ينتصب مرتعشاً
تحت سماء العراق والحب
لا فراغ في روح الذئب الأعمى
لتغور الجذور
عميقاً في لُبةِ الرعب
ليعلو دوي الأسماءِ الحسنى واللهب
ها هي بذورُ الباقلاء
تنفلقُ اللحظةَ
بين ظفائر دجلة
والمرأة الغامضة
تلوكُ بجنونٍ
أصابعَ القمر
هي جوهرة الدهور
وعلى خدها الناصع
قطرةُ دمٍ صغيرةٍ
وداعاً أمريكا
جوهرةُ الدهور أنتِ
لكنها محشوةٌ ببُرازِ الحكمةِ.

هوامش :

(١) راية اتحاد دول اوربة زرقاء اللون تتوسطها دائرة من النجوم الذهبية بعدد الدول الاعضاء في هذا الاتحاد ولون الدم الآري الذي يفاخر به العنصريون الاوربيون أزرق هو الآخر، أهي محض مصادفة؟ السؤال ليس موجه للاشتراكي ميتران؟

(٢) كان ليون تروتسكي قد كتب أثناء رحلته «إنها المرة الأخيرة التي ألقي فيها نظرة على اوربة العجوز السافلة» ـ النبي المنبوذ، ص ٤١٠.

(٣) تيير رئيس الوزراء الفرنسي الذي تولى ذبح ثوار كومون باريس بدموية ندر مثيلها وقد لقبه كارل ماركس إثر ذلك بـ «الخنزير الدموي تيير».

(٤) مقبرة في باريس دارت فيها آخر معركة بين القوات العمالية الثورية وبين الجيش البرجوازي وقد أطرى كافة المؤرخين ضراوة وبسالة المقاتلات من نساء باريس بخاصة.

(٥) ذوو الاسواز السود، بالفرنسية «Les - gueules noirs» لقب أطلقته وسائل الاعلام البرجوازية على عمال المناجم الرومان الذين اقتحموا العاصمة بوخارست وقضوا على المؤامرة الفاشية التي استهدفت النظام الجديد الذي أطاح بنظام الدكتاتور شاوشسكو صديق الصهاينة الوحيد في اوربة الشرقية آنذاك.

(٦) فولا كوبر: طفلة زنجية امريكية قتلت صديقتها تحت تأثير المخدر فحكمت عليها المحكمة بالسجن لمدة ستين عاماً، ويبدو ان العدالة الامريكية فكرت فيما بعد بأن بامكان هذه الطفلة ان تخرج من السجن ولها من العمر ما يسمح لها بالتمتع بالحياة فبادرت ـ المحكمة ـ إلى استبدال هذا الحكم بعقوبة الاعدام وقد نفذ الحكم فعلاً وبسرعة. «شهادة مصورة أدلت بها الطفلة فولا كوبر قبل تنفيذ الحكم وقد عرضت هذه الشهادة في البرنامج التلفزيوني الخاص بالذكرى الثلاثين لقيام منظمة العفو الدولية، عرض البرنامج على شاشة التلفزيون السويسري ظهيرة يوم ١٩٩١/٥/٢٧».

(٧) العامل البرتقالي: سلاح كيمياوي استعمله الجيش الامريكي ضد الثوار الشيوعيين في فيتنام وما زالت البلاد تعاني من آثاره المدمرة حتى الآن.

(٨) الفقناعة: مرض فقدان المناعة والذي يجعل في مراحله المتقدمة جلد المصاب أرقطاً، معروف ان هذا المرض المميت لا دواء أو لقاح له حتى الآن.

(٩) الجبُّ: ما أكلَ الذئبُ يوسفَ،
لكنهُ الجبُّ.
آه من الجبِّ في الأمة العربية آه ـ مظفر النواب ـ

(١٠) الجنرال الدموي شوارزكوف أعرب عن خيبة أمله وشعوره بالاحباط لأنه لم يستطع ان يبيد الجيش العراقي برمته ويثأر من القائد الكنعاني القرطاجني هاني بعل الذي أباد القوات الرومانية إبادة تامة في معركة كونكوي وحاصر روما ذاتها زمناً طويلاً.

(١١) البهرين: البحرين سابقاً.

(١٢) الصليب المسنون هو شعار الحلف الاطلسي، ولا أدري إن كنت، لسوء الحظ، العربي الوحيد الذي لاحظ ذلك.

(١٣) هي قلائد من آذان الهنود الحمر كان أعضاء الحركة التطهيرية وهي حركة دينية امريكية أخذت على عاتقها تطهير امريكا من سكانها الاصليين، يعلقونها حول أعناقهم.



جبل الاحلام

عزيز السماوي

صليت الحلبجه او وجّنْ اجفوفي عرگ من نار
حزين الجبل يتنفس سموم العار
كل شهگة طفل
صوت
او ذبح
غدار
صراخ الناس.. بالظلمه
نجوم..
من الغضب والنار
«خردل» يوجّ بالصدر موت ولهب وحجار
تطيح.. أعيون مذعوره
صهيل من النزف
ظلمه
او فَلَك دوار.

ابْداً . . ما يموت الريح . .
يهتز ضمير الحجر ويصيح
كل المدينة جثث تصرخ بالنزف وطيّح
دخّن هذاك الكَمر
اظلمّ
وكَع
بالريح . .
وينك ياعراق الناس .
يا ليل المحبه وللمحب كاس
يا دمعة صديق اعله الوجن نجمة صبح تنباس
اعرفك ترفع الراس .
صهيل اول حضارة او شيلة الراس
سومر . . بابل . . او آشور
خيول من اللهب
بين الكتب . . تنباس .
توجّ اجفوفي الك كَمرة :
هذاك انت الحزين
انهارك
اتغني
وتهيم
أويلي انت
أويلي انت
صديق اليشعل الظلمه
اغاني
من الشمع . . والياس
زمان ازرك حنينك . . لا كمر ينجاس

أغبش
اشوف الوطن
دمعة
حز ن
بالكاس
اذكر يا عراق الناس
گلگامش اغاني النار.
صهيل ابعد قصيدة وهية التذكار
يهيم الوطن بچفوفي حمامه من الجمر والنار
خبرلي زلم ثوار
توج . . هيبه المشاعل . . للغضب والثار
ترد الموت گمريه . .
هلاهل من فرح وردّ جبلنه : انصار
اعبدك يا جبل بس كون الك انصار
الجرح وردة نزف . . دخان
الجرح . . صدر الحمامه وخفگة الجنحان
الجرح . . طولك يهيم او ياخذ اچفوفي تهر حلمان
الجرح . . آخ . . الجرح
لو . . رف القميص . . ألوان
اهيم گميره بچفوفك وأرد من الفرح حزنان
الجبل ظلمه وصهيل الياخذ اچفوف الزلم
شعلة غضب . . نيران
الجبل يهتز للطفل لو نام جوعان
الجبل اخضر بالمنام
الجبل جمره التوجّ ليل الوطن گمرة وظلام
هيبه انت وصهيل الياخذ اجروحي حمام.

ريح انت تشعلني كلام.
انت الحلم كَبل المنام.
قميص ايوج اصابيعي اغاني من اللهب. . احلام
الجبل خوف او حرير
الجبل دمعة أسير
الجبل صحوة ضمير
الجبل صدر السفينه الياخذ الظلمة نهار
الجبل يمشي ابضميري إلآخر المشوار.

نيسان/ ١٩٩١
لندن



ضحك ينكسر قليلا

ابراهيم يوسف

كأنا نؤول إلى شباك

كأنا الوطن

تلكم خلاخيلك

تلكم سهولك

تلكم المواثيق، يصررها الرجال

ويتورع المساء عن بنادقهم

ذلكم أنا

اولئكم أنتم

اضيق على متاهتي، واجمل الوجوه

وجه للهيئة الدولية وحقوق الانسان

ثلاثة وجوه لبغداد*

. . . .

. . . .

ألف وجه لأمريكا وطائرات الصداقة الطارئة

أفعي سناما منسي الوظيفة
سلاماً تبادره يدُ ببركاتها القليلة
وخناجر لا تزال تذكر مقابضها جيداً
سلاماً تهيؤه أمام سفك كثير
أمت اليك بشهداء بليغين بطقوسهم
نزفك ما تبقى من دم في كلامي
ارفـو رداءك الرسمي في المتاحف
فينكرني
خيطاً
يلثغ في عرى من اللغة
اصابع للملح تلكز على الحلم الظليل
والجبل الظليل
فتذكرني
تلكم ذكورتي
من قال ان تظهروا هنا الآن؟
ان تغسلو الوجوه بكتاب لا أعرف
كانت الشاشات تنشل احديداباتنا
تهمش نسكنا
وتهشم الملامح والروائح بما يكفي الدعابة
لتجيد رهجتنا البشاشات
رجالاً عند الضرورة
وطناً عند الضرورة
أكراداً عند الضرورة
ضروريين ذات حجر من الشطرنج
يرطنون باشكالنا قليلاً
ونرتقي قليلاً

فيدخلون اخوة تحت الجلد
والللحاف
يتكرمون علينا بالرأفة في طرود
لا تصل
ثم نستقر في الدرك الأخير. . . . ونغيب
نغيب كثيراً
كأنا ذرية الرمان نفتتح شهوة العواصم
لترشف الاذاعة ما تبقى من اسمائنا
كأنا الآخرون اداروا حجر الاوقات
ليس لنا
كأنا لنجرب بلاغة العويل
طويلاً
وأنتِ ترتبين لرعاة يعودون العشية بلا ضحك
وماعز
لمرتفع من الحلم لا يبلله الحفيف
لبيوت تمضى إلى حتف الحوارى
للتيجان تربت على بهاء الملوك
ولا حرساً مدججين بالحكمة
لا ايوان
تلكم أضاليلك
ذلكم أنا
اهزُّ ما في الطود من مَنِّ الديانة
تْجني ربوبية توارب اشجار اللوز
تلكم حدوداتي وأنا الراجل. . . .
تلكم حدودي وأنا الراحل. . . .
ياللنسوء. . ٢ كنت اجيد رطانة القميص

مآدب للغصن، حفاوة للصخر ونوايا السهام
بأس الفارس يتأبط الصكوك في خديعة للوعل
تلكم مياهك
فميلي إلى قارب تتقن شخوصه القذيفة
ميلي إلى سحنة وجغرافيا
كأنا ضربنا الحلم خياما
ميلي إلى خدعة
ميلي إلى دعة
إلى جهة . . والجهة ايديولوجيا
إلى جهة . . والجهات سكاكين
ميلي إلى شباك . . واكثرك . . حجل
ميلي إلى جيل
ميلي الينا
ميلي اليك . . ميلي
وأنت تميدين . .
تميلين . .

٣/ آذار/ ١٩٩١

من الشعر الكردي المعاصر

مسافر

صديق شرو

يا رواد الفضاء
لو اعددتم العدة هذه المرة
لرحلةٍ أخرى
فرجائي ان لا تنسوا أن تجلبوا
لي حبلاً طويلاً
أجل وشدّوه بذيل سفينتكم الفضائية
وبذلك سيغدو لي طريقاً سهلاً
لمرافقتكم
وارجو ان لا تخافوا عليّ
فلست أنا الذي يجرح صفحة النجوم
ولا ذاك الذي يبكي الغيوم
. . . كل مطلبي ان ارسم الابتسامة
على ثغر الشمس .

وهناك .ود ان اصغي
اجل سأمضي للقاء اصحاب المسيره
لأرى لـمَ لمْ تطل نجمة الصباح
ولماذا لم نذق . . في عز المكان
رغيف خبزٍ حار
من صنع ايديهم
لابتهالات الفقراء والكادحين ودعائهم
لأرى اين يقبعون
ووراء صرخات أي الغيوم
يذرفون الدموع
ولأرى لم امتلأت عينا المسيح
بالبكاء
ولأخبرُه بان عذراوات العصر
متعلقات بآمالهن المنشودة.



اذ لم اعد؟

ايدوين كاسترو*　　　ترجمة ـ هلال حميد

اذ عدت يوما
للريف سنذهب
متلاصقين نمشي
عند حافة النهر القديمة
حيثما كنا نمضي، بالايادي المتشابكة،
في نهاية ابريل ،
المليء بالسعادة

. . . .

ربما سيكون ابريل آخر
ملتهباً بالحرارة وبالورد.
تتخطين معي
على ارض متربة
وسأقفز اسوار الحظائر
للقرية القريبة

(*) شاعر من نيكاراغوا ـ كتب الشاعر هذه القصيدة في السجن علم ١٩٥٨ ، اهداها الى زوجته روت.

** (المالنجه) ـ نوع من أنواع الاعشاب.

اجمع باقات زهور صفراء
لاضعها بين يديك.
سأسرق المالنجه**
بأزهارها الوديعة الحمراء
لاعلقها على الصدر
نذهب إلى النهر
وفي الماء الهاديء
نغمس ايدينا...

اذ لم أعد؟
اذ لم اجيء ابدا؟
لا يهم. اذهبي انت
وطفلنا
عند حافة النهر القديمة
التي سلكناها يوما.
سيقطف المالنجه
بأزهارها الجميلة الحمراء
ليزيّن بها صدرك،
سيقفز اسوار حظائر المرعى القريب،
ليجمع لك الاغصان
المليئة بالورد الاصفر.
انزلي معه في النهر
واغمسي يديه
في الماء الهادىء...
ان حضوري
سيملأ السيول
المفتوحة للغياب.



ماركيز حول الموسيقى والموروث الثقافي للشعوب

ترجمة: كاظم كودولو

● أي موسيقى تحب؟ لنقول الموسيقى الجادة الرفيعة المستوى، أم الموسيقى الخفيفة؟

ـ بالنسبة ليّ كل صوت يعني موسيقى. بعد ذلك يبدأ المرء بالانتقاء، ما الذي يعجبه، وما الذي لا يعجبه، ما هو الجيد، وما هو الرديء. أحب جميع أشكال الموسيقى من التجارية المذاعة في الراديو إلى الكونشرتو" لبيلا بارتوك". الموسيقى التجارية لا أفهمها كالآخرين العاجزين عن تسميتها بشكل آخر. التجاري من الموسيقى ما هو مكرس للبيع فقط. فالموسيقى تثير اهتمامي على مختلف الوانها. وبالتالي أليست تلك بموسيقى اذا أحبها الناس واذا كانت قد منحتهم متعة جمالية. الموسيقى غير مقبولة اذا كانت رديئة، وغير قادرة على منح المتعة الجمالية، عادية، قاسية، وغير شاعرية.

● هل تتفق مع ان موسيقى فرقة البيتلز ظهرت كموسيقى تجارية؟

ـ لا أعتقد ذلك، لكنها أصبحت موسيقى تجارية بمرور الزمن، وبسبب الحاجة الاجتماعية الواسعة تحولت موسيقاهم إلى سلعة يومية. وقد فاجأ الفرقة، قبل الجميع، الرواج الكبير لموسيقاهم. الشيء نفسه حدث معي بعد كتابة «مئة عام من العزلة». فقد ذهلت أنـا أولاً، قبل الجميع، للاقبال الواسع على شراء الرواية، وانتشارها على نطاق كبير. مع اني كتبتها لاحساسي بضرورة كتابتها.

وبالتأكيد حدث هذا أيضاً مع فرقة البيتلز.

● ألا ترى ان تكريس الفن للسوق فقط، عملية تعادل تعهير الفن؟

ـ اذن لن نبيعه. نقدمه كهدية، ولكن لنجعله معروفاً للجميع. اذا كانت أمثل الطرق هي ان نجعله مشاعاً لجمهور كبير، واذا كانت عملية البيع تخبيء في طياتها وظيفة اجتماعية وثقافية، فعندئذ يجب بيعه. وما العمل بريبتنا من تأنيب الضمير؟ كوننا نبيع الموسيقى؟ حسناً، على ضوء ذلك استطيع القول لنوقف بيع السكر. لماذا بيع الموسيقى عمل مخل بالآداب، وليس بيع السكر؟ الموسيقى الكوبية أصبحت ذات شهرة كالسكر، القهوة والسيكار الكوبي. يبيعون القهوة والسكر، يتاجرون بهما، ويعرف ذلك العالم كله. هنالك محاولات اعادة صياغة الموسيقى الكوبية بعد خروجها للعالم. الكوبيون لماذا لا يشكلون نوعاً من الميكانيزم لمراقبة موسيقاهم المستخدمة في البلدان الأخرى؟ لماذا لا يوجد هذا الميكانيزم للحكم من خلاله على ان الآخرين يجنون ربحاً من اعادة صياغتها؟ كانت كوبا، قبل انتصار الثورة، قد سخرت الموسيقى لاغراض تجارية، وقد عرضتها للتبادل التجاري من خلال الراديو ومختلف العروض الفنية الراقصة. وكانت شركات الاسطوانات الامريكية هي المستفيدة، ولم يكن لكوبا أية حصة من العوائد المالية. فالواردات كانت تسيل نحو امريكا. هناك من جديد سوق للموسيقى الكوبية في الفترة الحالية، وبدأت تحتل مكان الصدارة كما السلاسا*، السون*، الكوارشا*.

● هل ترى ان كل اغنية ثورية يجب بالضرورة ان تتضمن تعاليم الثورة؟

ـ ان هذا كالشعر والأدب، فهناك نوع من الأدب يتحدث بوضوح عن الثورة، لكن هناك اتجاه أدبي آخر يواصل الكتابة عن الانسانية والتقاليد المتعلقة بالجمال. انه بكلمة أخرى يقوم باغناء الموروث الثقافي الانساني. أنا اعتبر نفسي كاتباً ثورياً، على الرغم من ان كتبي لا تحوي، ولو اشارة بسيطة، على ما يتعلق بهذا الشيء.

ومع ذلك فانك ترى ان عمال المصاعد الكهربائية، سائقي التكسي، المثقفين، الاطباء، رجال الدين، الجميع على اختلافهم يقرأون كتبي.

ما هو هدفي؟ ليس ان ترضي كتاباتي اشكالى القيم الأدبية كافة، بل ان تكون مفهومة للجميع. بصراحة أرى اني بهذا الاسلوب انجز عملاً ثورياً دون الحاجة إلى وضعها بإطار الأدب السياسي المحدد. الموسيقى ثورية كالأدب، الشعر ثوري أيضاً اذا كتب بشكل جيد. في الحقيقة ان كل فن جميل، انساني، هو ثوري.

● ما هو رأيك بالفيدو كليب، هذه الاغاني الدراماتيكية المخجلة للنظر، والتي يفيض بها التلفزيون حالياً؟

انظر، ان الحياة لا تتوقف أبداً، فهي تسير للأمام مولدة أشياء جديدة وجديدة. بعضها خالد والبعض يختفي في عتمة النسيان. أنا أقول لننتظر ولنر ما سيحدث مع هذا

الجديد، الفيدو كليب.

● هنالك من يحتمل باشمئزاز «الاوبرات الصابونية»، هذه المسلسلات التلفزيونية الطويلة، ما هو رأيك بذلك؟

ـ ما هي المشكلة مع المسلسلات التلفزيونية الطويلة؟ حسناً، لا أتفق مع هؤلاء الذين يستخفون بالتلفزيون و«الاوبرات الصابونية» فهم يعتبرونها شيئاً ضاراً. ان المسلسلات التلفزيونية الطويلة يمكن ان تصنف عن حق ضمن فئة الفنون الضارة الضرورية، بسبب اهمالنا نحن الكتّاب المدركين هذه الفنون لكتّاب رديئين. أية معجزة قادرة عليها كهذه «الاوبرات الصابونية»، عندما تجبر تسعة ملايين مشاهد على الجلوس أمام جهاز التلفزيون يومياً وفي نفس الساعة. ان الرسالة الثقافية التي يوصلها التلفزيون للناس عظيمة ولا يمكن قياسها. يجب توجيه التلفزيون، وجعله وسيلة نشر ثقافية، بدل الاستخفاف به.

● سمت من أحد، كانت لماركيز رغبة في كتابة احدى البولرو*؟

ـ لم تكن رغبة فحسب، بل كنت منشغلاً ما يقارب عاماً كاملاً وبمساعدة مانزانرو في كتابة البولرو. ان ايجاز كل ما تحويه البولرو في أسطر معدودة لمأثرة أدبية حقاً. فلا يمكن تخيل مدى صعوبتها. مانزانرو اقترح عليّ كتابة الموضوع، ويقوم هو بصياغة جزئه الشعري. فقد أردت كتابة مجموعة شعرية غنائية متممة للبولرو. كذلك فقد قمت بمحاولة أخرى مع سليفيو روديكوز، ومعه حققت تجربتنا تقدماً للأمام. فقد سلمته الموضوع، ومنه استلمت على الايقاعات الشعرية مسجلة على كاسيت يحتوي على المقاطع الصوتية للابيات الشعرية. قمنا بالعمل عدّة أشهر، لكن دون جدوى. لقد كان صعباً للغاية. البولرو تزيد من حب عاشقين لبعضهما. وكانت محاولة كتابة احدى البولرو كافية بحد ذاتها. ان نزيد من حب عاشقين لبعضهما، ولو للحظة واحدة، شيء في غاية الأهمية في عالم الثقافة.

● هل تؤثر الموسيقى على أعمالك الأدبية؟

ـ حسناً، هناك نوع من الموسيقى الكولومبية تسمى الفالانتو، تسميتها مأخوذة عن المكان الذي ظهرت فيه، الفالانتو تشابه لحد ما موسيقى السون الكوبية، أو المرتكة الدومانيكانية. في الأصل كانوا يسمونها بشانسون دكسن، وتعني الشعر الملحمي الفرنسي في العصور الوسطى بكلمة أخرى انها تروي حوادث واقعة. موسيقيو الفالانتو كانوا يجولون المدن، وعند سماعهم لحادثة أو مشاجرة، قاموا بغنائها ومع مرور الزمن أصبحت الفالانتو أكثر شعبية. واليوم فان عدد الاغاني التجارية تعادل تقريباً الاغاني الاصلية. في الحقيقة كون هذه الاغاني تروي حوادث واقعية، كان قد منحني الفكرة لكتابة «مئة عام من العزلة».

ما هي «مئة عام من العزلة»؟ انها فالانتو بـ ٤٥٠ صفحة.

● كيف تنظر إلى هذه المصطلحات الأدبية، الكلاسيك، الموسيقى الجادة، الموسيقى الشعبية؟

ـ نطلق تسمية كلاسيكي على شيء ما، لأننا لا نستطيع ان نسميه بشكل آخر. فالموسيقى الباروكية، أو الرومانتيكية هي كلاسيكية أيضاً.

أما الموسيقى الجادة فمن الواضح ان لها جذوراً في خفايا الموسيقى الشعبية. أتعرف هناك صورة فاتنة لبيلا بارتوك وهو شاب في العشرين أو الثلاثين من عمره، واقف على جبل وفي يده آلة تسجيل قديمة، تعتبر حالياً قطعة اثرية، بواسطتها جمع الاغاني الشعبية لوطنه المجر، ليصيغ بعد ذلك موسيقى رفيعة المستوى فنياً، وأكثرها اثارة للمشاعر. هذه الموسيقى بداياتها كانت مختبئة في تلك الاغاني الشعبية المسجلة على تلك الآلة الاثرية. اتعرف ماذا يحدث اذا ابتعد الفنان عن الشعب؟ أسمح ليّ بالحديث عن ذلك. اذا لم يكن بيلا بارتوك لكان سترافنيسكي وشونبرغ قد قتلوا الموسيقى. لا لكونهم موسيقيين رديئين، بل لأنهم ركزوا على المعارف التقنية، وبذلك جردوا موسيقاهم من الجوهر والالهام. ولحسن الحظ فقد جاء بيلا بارتوك كمقتف للاعراف الرومانتيكية لبرامس، وبدأ البحث عن الجذور في الموسيقى الشعبية، كما فعل بتهوفن، باخ، وكبار الموسيقيين الآخرين في تاريخ البشرية.

● هل تستمع للموسيقى عند الكتابة؟

ـ أنا أعبد الموسيقى، لكني لا استطيع الاستماع للموسيقى عند الكتابة، لأن الموسيقى تجلب انتباهي عند ذاك أكثر من الكتابة. لكي أكتب فانا بحاجة للهدوء التام. في الحقيقة اسمع الموسيقى بشكل كبير خلال فترة كتابة عمل أدبي معين. معارفي استنتجها ليس فقط من خلال الكتب ومن خلال الحياة ذاتها، بل ومن خلال الموسيقى أيضاً.

وتلك الموسيقى التي اسمعها تكون على علاقة بما أقوم بكتابته بالتحديد... عودة إلى بيلا بارتوك، وعندما كنت أقوم بكتابة رواية «خريف البطريارك» كنت على الغالب أسمع موسيقى بيلا بارتوك. ولقد فزعت عندما أجرى أثنان من الصحفيين لقاء معي، وادلوا ليّ بما يلي:

«لقد قمنا بدراسة تفصيلية لرواية «خريف البطريارك»، وقد توصلنا إلى ان بنيان الرواية يحاكي بالضبط البناء الداخلي للكونشرتو البيانوي الثالث لبيلا بارتوك». لقد فزعت حقيقة. كنت دائماً أتصور اني اقتبست من بيلا بارتوك اسلوب الحلول الجمالية لا غير. وبعد تفكير مسهب اعترفت باحقية ما طرحه هؤلاء السادة.

● ألم تكن لك رغبة في ان تكون مغنياً أو موسيقاراً؟

ـ حسناً، يمكن القول ان هذا أيضاً لم أتركه في حياتي، فلسنوات عديدة كنت أغني في نادي ليلي في باريس، يرتاده المنفيون من امريكا اللاتينية.

● ما هو رأيك بالموسيقى الامريكية اللاتينية كاداة تعبير ثقافي؟

ـ هناك ثلاث دول تعتبر فيها الموسيقى الأداة الثقافية الأساسية: كوبا، المكسيك، البرازيل. لنلقي نظرة بسيطة في العالم، وستعرف على الكثير من الاغاني الامريكية اللاتينية، وسيعرف المرء انه يسمع الكثير منها في الحفلات الموسيقية للآخرين. ومن بين الموروث الثقافي الكثير فقد تحولت إلى موسيقى سامية على يد مانتوفاني وفرانك بورساك. واني لعلى ثقة بانهم لم يحصلوا على أية حقوق مالية لقاء ذلك. أخيراً ولقول الحقيقة فان الناس يشعرون بحضور امريكا اللاتينية في العالم من خلال موسيقاها.

الهوامش

* الكونشرتو: لحن يعزف على آلة منفردة أو أكثر بمصاحبة الاوركسترا.
* بيلا بارتوك (١٨٨١ ـ ١٩٤٥): من كبار موسيقي عصرنا، مؤلف، عازف، وعالم موسيقي. ولد في ناج ستنت مكلوش في رومانيا، من أصل مجري. هاجر إلى امريكا بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية بسبب معارضته للفاشية والهتلرية. توفي عام ١٩٤٥ بعد مرض طويل وفي ظروف مالية صعبة.
* السلاسا، السون، الكوارشا: ألوان من الموسيقى الكوبية.
* بولرو: رقصة اسبانية أو موسيقاها، رقصة الساجان.



نشاطات ثقافية في دهوك

خاص بـ «الثقافة الجديدة» ـ أدب وفن

تعتبر الثقافة الكردية رافداً رئيساً للثقافة العربية في العراق، وبلغت على أيدي اعلام الأدب والفكر الاكراد مستوى رفيعاً بوأها مكانتها التي تليق بها، أسوة بشقيقتها العربية، وخاضا معاً في فصيل ابداعي واحد هو الثقافة العراقية الديمقراطية والانسانية، معركة البقاء والاصالة في التصدي لقرارات السلطة القمعية المتوارثة والمتعاقبة طيلة تاريخ العراق الحديث وانتهاج طريق مغاير يحدوه الأمل بالتغيير والحرية والسلام.

واذا قيض للمثقفين والمبدعين الديمقراطيين تشكيل رابطتهم في المنفى، فبالدافع نفسه انجز المثقفون الكرد تأسيس اتحاد أدباء كردستان في الوطن الذي حظي بتأييد وترحاب رابطة الكتّاب والصحفيين والفنانين الديمقراطيين العراقيين التي تضم بين صفوفها عدداً مرموقاً من مبدعي الشعب الكردي.

ونظراً لخصوصية الثقافة الكردية، وما لحق بالشعب الكردي وتقاليده من ممارسات القمع والاقتلاع والتذويب، تكتسب نشاطات اتحاد ادباء كردستان أهمية استثنائية بعد ان تمكن اولئك الأدباء من تأسيس اتحادهم وسط ظروف بالغة القسوة وعلى مرأى من مخبري وكتبة وفيالق السلطة القمعية.

لقد انجز اتحاد أدباء كردستان جملة من الفعاليات، وفي مقدمتها إصدار مجلته المركزية، اضافة إلى طبع ونشر نتاجات اعضائه واصدقائه ووزعت بشكل لا بأس به.

لكن هذا لا يمنعنا من الاشارة إلى تعثر مسيرة اتحاد أدباء كردستان مؤخراً وضعف حضوره الثقافي، بل ان النشاطات العفوية شابها اضطراب ملحوظ بسبب عدم اشراف الاتحاد المذكور.

امسية شعرية يحضرها الآلاف!!

في الفترة الواقعة بين نهاية حزيران ـ بداية تموز ١٩٩١ اقيم مهرجان شعري شارك فيه شعراء وشاعرات دهوك، وقدم فيها الحزب الشيوعي العراقي هدية متواضعة للشعراء. وفي قاعة نقابة المعلمين اقيمت أمسية ثانية حضرها الآلاف (!) من المستمعين..

والحقيقة ان اغلبهم كان خارج القاعة. قصائد الأمسية امتازات بمضامين المقاومة والثورة التي نددت بالدكتاتورية والحرب. واتسمت كلمات الشعراء بالحرارة نظراً لانها فرصة نادرة تتاح لهم وسط هكذا جمهور كبير.

حل اتحاد أدباء الحكومة

هناك ما يسمى بـ (اتحاد الادباء والكتّاب الكرد في العراق) وهو الاتحاد الذي شكلته الحكومة، ورغم انه قدّم فعاليات ثقافية غير قليلة، إلا ان المتابع يمكن ان يتلمس ضعف مستواها الفني. يقف على رأس هذا الاتحاد كل من تيلين أمن وقسيم، وهما نفسهما اللذان أعلنا حل هذا الاتحاد الذي قاطع فعاليته عدد غير قليل من الأدباء الكرد الديمقراطيين.

كما شهدت المرحلة الحالية ظهور مجموعة من الأدباء الديمقراطيين لم تشأ العمل في اتحاد أدباء الحكومة ولا في اتحاد أدباء كردستان، لكن المجموعات الثلاث اجتمعت وانتخبت من بينها هيئة قيادة مؤقتة لقيادة العمل الثقافي اطلقوا عليها (اللجنة الثقافية) في مدينة دهوك.

وقد أقامت هذه اللجنة فعاليتين حضرهما جمهور لا بأس به ولكنهما تفتقران إلى التنظيم. ومن المساهمين في هاتين الفعاليتين كل من الشعراء: عبد الرحمن مزوري - هيڤي برواري - هژرفان - شكري شاهباز - سلمان كوڤلي - هوشيار - ريكاني - حسن سليڤاني وغيرهم.

ثمة مهمات نضالية وابداعية جسيمة تواجه أدباء كردستان بغض النظر عن انتماءاتهم الفكرية والحزبية ذلك ان ديمقراطية الثقافة وطابعها الانساني الشمولي يتجاوز حلقة التنظيم الحزبي وافتراقات الأيديولوجيا، وعليهم، قبل كل شيء توحيد جهودهم الثقافية والمهنية بمواجهة الثقافة الشوفينية التضليلية التي تروجها حكومة بغداد الاستبدادية، وعلى هذا الطريق ينبغي ايجاد أفضل الصيغ للتعاون المثمر فيما بينهم من جهة ومع رابطة الكتّاب الديمقراطيين العراقيين، أو مع أي منظمة أو جماعة أدبية خارج اطر المؤسسة الثقافية الحكومية، سواء داخل العراق أو خارجه.



برلين ـ خاص بـ «الثقافة الجديدة»

من صدى ايام الثقافة الديمقراطية العراقية في المنفى

إن أياً ممن حضروا أيام الثقافة الديمقراطية في المنفى، التي أقامتها رابطة المثقفين الديمقراطيين العراقيين بالتعاون مع قصر ثقافات العالم، لن ينكر ما رافق تلك الايام من إرتباكات وارتجالات سواء فيما يخص الاعداد للايام أو ما يخص تنظيم البرنامج ومستوى الفعاليات. وطبيعي ان يحدث ذلك اذا ما عرفنا طبيعة الشتات الثقافي العراقي في المنافي المتعددة وصعوبة التنسيق بين القائمين على الفعاليات اضافة إلى تركز العمل على واحد أو اثنين دون تعاون الآخرين الموجودين في برلين.

لكن الايام أقيمت وحضرت وجوه لها وزنها الثقافي الابداعي هذه المرة، ممن لم يحضروا في اسبوع السنة الفائتة. واستطاع الجمع العراقي الحاضر ان يأتلف حقاً حول ضرورة الابداع لتقريب وجهات النظر التي لم تزل متعارضة ومتقاطعة في ميادين أخرى.

لقد أشاد رئيس قصر ثقافات العالم بنشاط المثقفين الديمقراطيين العراقيين في المنفى، وقد حضر الافتتاح مندوبو الصحف وعدد من الاذاعات، وأجريت مقابلات عديدة مع بعض وجوه الثقافة والفن العراقيين، واطلع قراء تلك الصحف ومستمعو تلك الاذاعات على واقع الثقافة الديمقراطية في المنفى. ودعت صحيفة «تاس ـ TAZ» اليومية وصحف أخرى إلى حضور المهرجان العراقي.

وكتبت صحيفة «مرآة اليوم Tagespiegel» مقالاً مطولاً بعنوان «ذراع الدكتاتور والمسألة الاخلاقية». بدأته بالسؤال الآتي:

«هل بالاستطاعة تنظيم معارضة مؤثرة، في المنفى، ضد صدام؟» وأضافت الصحيفة «لقد اجتمع المثقفون العراقيون الهاربون من بلادهم، وتناقشوا بحرارة ووضعوا خططاً لعملهم». أما الجواب على السؤال الآنف الذكر فقد قدمه الدكتاتور. ففي الثاني من آب ١٩٩٠ دخلت قواته الكويت. أما اليوم فنحن نعرف ان ما قدمه ممثلو المئات من المثقفين العراقيين المشردين في العالم لم تتمكن من تقديمه الدول المتحالفة لأول مرة في تاريخها.

اذ بعد مضي عام على اجتماعهم الأول في برلين، اجتمع الموسيقيون والأدباء العراقيون، مجدداً، لاحياء أيام الثقافة العراقية في المنفى، وقدموا محاضرات حول امكانية تطور الفن والثقافة العراقيين خارج وطنهم.

كما قدمت حفلات موسيقية وعروض سينمائية وقراءات شعرية وقصصية ودراسات نقدية. وكما قال الشاعر سعدي يوسف ـ كما جاء في الصحيفة «لقد كان لقاء العام الماضي يدور حول نظام صدام حسين. أما اليوم فان لقاءنا يتعلق بمصير بلادنا المدمّرة».

ان سعدي يوسف، تقول الصحيفة، من الشعراء العراقيين البارزين وترجمت له أشعار باللغتين الانكليزية والفرنسية، وانتخب شاعر السنة الايطالية للشعر. وهو يعيش منذ ثلاثين سنة في المنفى، باستثناء بعض سنوات السبعينات حيث عاد إلى العراق ليضطر ثانية إلى الفرار عام ١٩٧٩. «لقد طلبوا مني الانتماء إلى حزب البعث الحاكم، وهذا يعني، بالنسبة لي، أما المدح وأما الصمت»، هذا ما قاله سعدي. بعد ذلك أُعطي فرصة للتفكير (مدة اسبوع) اتخذ خلالها قرار الخروج مع زوجته وطفلتيه إلى المنفى، ومنذ ذلك الحين يعيش خارج وطنه. أما الآن فهو يعيش في باريس معتمداً على المنح ونشر المقالات والترجمة.

وحالة سعدي، تضيف الصحيفة، ليست قاعدة قياساً بزملائه، اذ ان الكثير من هؤلاء يكسبون رزقهم من أعمال مضنية جعلت بعضهم يتوقفون عن ممارسة نشاطاتهم الابداعية، ويمضون أوقات فراغهم يغالبون الوحدة وحياة الكفاف.

يقول أحدهم: «ان اضطهاد اللغة هو أسوأ الاشياء. فهناك حوالي سبعمائة مثقف عراقي يعيشون في اميركا واوربا والدول الاسكندنافية، وأكثرهم لم يتمكن من الحضور بسبب عدم السماح لهم بالحصول على تأشيرات من الدول المعنية».

وتقول الصحيفة «ان فن المنفى ينمو من خلال البعد عن الوطن، وهذا البعد يقرّب نغمات الاغاني وايقاعات الشعر. كان ذلك واضحاً، ومعبّراً، في هذه الايام الثقافية. إن قيمة هذا الفن تكون مضاعفة، أولاً في كونه عملاً وثانياً بسبب الظروف التي نشأ فيها».

«فكيف يستطيع شعب بلا وطن ان يعبر عن نفسه؟» تتساءل الصحيفة. فلك الدين كاكه ئي أحد الكتّاب والصحفيين الاكراد البارزين، اضافة إلى صفته كقيادي في الحزب

الديمقراطي الكردستاني، يقول: «الاكراد منفيون منذ الولادة، الفن والثقافة الشعبية هما، دائماً، تعبير عن النضال من أجل أرض ووطن. إن أكثر المثقفين الاكراد الذين يعيشون في «المناطق المحررة» البعيدة عن مركز الاضطهاد (بغداد) أقل معاناة من زملائهم الذين يعيشون في الجنوب. كثير منهم استطاع البقاء في الوطن وآخرون هربوا من الغازات الكيمياوية من منفى إلى آخر. إن ما يوحد العراقيين، عرباً واكراداً، هو نضالهم المشترك ضد الدكتاتورية».

ويقول سعدي يوسف: «ان ذراع الدكتاتورية لم تستطع، كالسابق، ان تمتد بعيداً. لقد أصبح من السهل، مؤخراً، تهريب ونشر نصوص وأدبيات المعارضة في البلاد».

أما الشاعر المتحمس، حسب توصيف الجريدة المذكورة، فوزي كريم فقال: «الشعر في بلادنا يوجّه إلى الطبقة الحاكمة. غير ان هناك من لا يريد ان يصدق هذه الحقيقة حتى قبل سنة. الآن ـ وبعد الدمار ـ يطرح السؤال الاخلاقي على جدول العمل: فالسياسة والفن لا يمكن فصلهما منذ القدم. وفي وقت مبكر طغت اسطورة بطولة صدام حسين على الفن. فقد أقام له النحاتون التماثيل ومدحه الشعراء. الكثيرون جعلوا انفسهم مسخّرين. ولكن هل من بقي جعل من نفسه مذنباً ومن خرج كان بطلاً؟ حتى في المنفى ـ يقول كريم ـ أصبح الأمر واضحاً. على بعضنا ان يُنقّوا عقولهم، ويعتقد فوزي كريم ان العدد الأكبر من الفنانين في العراق أما صامتون أو مداحون».

برلين ـ ١٥ /٨/ ١٩٩١



العنقاء تولد من الرماد!

اسم الكتاب: «الكواركات.. البروتونات.. الكون»

تأليف: فلاديلين باراشينكوف عرض: سلام جبه

قد يبدو العنوان فلسفياً غرائبياً.. لكنه يعكس الحقيقة التي يفترضها علماء عصرنا، والتي يؤمنون بها حول كيفية ولادة كوننا العميق والعملاق في آنٍ معاً..

لا نستطيع إدراك هذه النظرة إلا بعد ان نفهم طبيعة الجسيمات التي صنعت هذه الظاهرة. ولا نستطيع ان نفهم طبيعة هذه الجسيمات إلا بعد ان نعرف ماهية الفراغ..

تعتبر الفلسفة«ويوماً بعد يوم»الرحم الذي تتوالد منه النظريات العلمية، وتعتبر في نفس الوقت أحد الجدران التي يستند عليها العلماء لاثبات صحة نظرياتهم، ولهذا السبب فإن النظريات الموجودة في هذا الكتاب لا ترتدي زياً فيزيائياً أو رياضياتياً حسب، بل انها ترتكز أساساً على الفلسفة..

ما هو مفهوم الفراغ؟ هذا السؤال المحيّر هو الذي يحل المشاكل التي عكرت صفاء حياة الفيزيائيين وغيرهم لزمن طويل. لقد اعتبر الفيزيائيون القدماء الفراغ بانه (شيء لا يحوي أي شيء!!) ولعل اعتبارهم هذا نشأ من الطبيعة المحيطة بهم وبأي انسان. فنحن نقول عادة«هذا القدح فارغ» ولكننا اذا تعمقنا في دراسة خصائصه الفيزيائية فسنجده مليئاً حتى القمة بالهواء! فهل الهواء فراغ؟ بالطبع لا. فهو مكون من ذرات عدة، من بين هذه الذرات نجد ذرة الآزوت وذرة الاوكسجين... الخ وهكذا كان الفضاء، بالنسبة لهؤلاء خالياً كالقدح. لكن من كان يستطيع ان يخبرهم بأن الفضاء المحيط بالكواكب عبارة عن

شبكة معقدة من المجهريات، أو حتى ما دون المجهريات . . لقد تم الكشف مؤخراً عن بعض خواص الفراغ المحيط بنا بواسطة النظريات المتعددة . . وما زال هناك الكثير الكثير الذي لم يكشف عنه بعد. فلا أحد يعرف هل هناك «فراغ» موحد بين جميع أنحاء كوننا، أم هناك أنواع متعددة من الفراغات . ونقول «فراغ» تجاوزاً، بالطبع . .

ولكي نعرف ما هي مكونات الفراغ نحتاج إلى دراسة لا نهائية للجسيمات الاولية . وعندما أقول لا نهائية فاني أقصد الكلمة بالذات . فمهما كان الجسم صغيراً فهناك ما هو أصغر منه، وهكذا تتوالى سلسلة الجسيمات الصغيرة إلى ما لا نهاية . . ولكي نتصور ذلك، لنأخذ مجرّتنا مثلاً، فهي صغيرة جداً بالنسبة للكون الذي يحوي الملايين من المجرات (وبأشكال مختلفة)، لكنها في نفس الوقت كبيرة جداً بالنسبة لشمسنا حيث تحوي المجرة أيضاً الملايين من الشموس (النجوم). واذا كانت الشمس صغيرة جداً بالنسبة للمجرة فانها عملاقة جداً بالنسبة للكرة الأرضية، واذا كانت كرتنا الأرضية قزمة بالنسبة للشمس فانها ماردٌ بالنسبة للانسان . وهكذا فنحن عمالقة بالنسبة للنمل والنمل كبير بالنسبة لحبة التراب، وحبة التراب كبيرة جداً بالنسبة للبكتريا، وهكذا نصل في سلسلة الصغر إلى ما لا نهاية . .

في نهاية القرن التاسع عشر وبداية قرننا الحالي اكتشف العديد من الجسيمات الاولية الصغيرة، وكان أهمها البروتون والنترون، ونعرف بالطبع ان للاول شحنة موجبة وللثاني شحنة معتدلة . لكن علماء اليوم تجاوزوا هذه الجسيمات التي أصبحت عملاقة الآن . فقد توصلوا مثلاً إلى الكوارك، وتوصلوا إلى الميزون، وتوصلوا إلى الغلوون . .

فما هي هذه الكائنات الغريبة؟

ان الكوارك مثلاً هو جسيم صغير يقع ضمن البروتون أو النترون، وله عدة أنواع، وكل من هذه الأنواع هو الذي يُحدد خاصية الجسيم الذي يقع فيه . . أما الميزون فهو جسم أصغر من البروتون بمقدار الثلث تقريباً، ومؤلف من كواركَيْن . أما الغلوون فهو جسيم نُقَطي يحيط مع رفاقه بالكوارك ليشكلوا حوله ستاراً منيعاً يضمن سلامته . ويسمى هذا الستار بالغشاء الغلووني . . وهكذا فكلما تعمقنا أكثر في دراسة المادة الصغيرة ظهرت لنا مادة أصغر (انظر الجدول). لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو ما الذي يضمن لنا الاستمرارية في الكشف عن الجسيمات الاولية؟

لقد اعتمد فيزيائيو قرننا على المعادلات الرياضية، أو الفرضيات في بعض الأحيان، فعندما لاحظ المراقبون خللاً في مقدار الطاقة الناتجة عن أحد التفاعلات بين الالكترون وأحد الجسيمات، وظنوا لوهلة ان الطاقة قبل التفاعل تنقص بعده، ظهر فجأة (باولي) وعارضهم وافترض وجود جسيم ما، سمي النترينيو، يمتص بعض الطاقة التي

يختزنها الالكترون، وهكذا ظهر هذا الجسيم الصغير.

أما الوسيلة الأكثر شيوعاً لاستكشاف هذه الجسيمات فهي المعجّلات التي أُطلق عليها اسم «اهرام القرن العشرين» وهي فعلاً كذلك، فمقياس تطور الفيزياء أصبح يُدرج ضمن مقياس تطور هذه المعجّلات. فهي بالذات التي تثبت صحة نظريات العلماء.

فالجسيمات المضادة مثلاً (ويقصد بالجسيمات المضادة للجسيمات الاصلية أنها تعاكسها في خواصها: الشحنة، الالتفاف حول نفسها أو ما يسمى بالسبين.. إلى غير ذلك) ثبتت صحة وجودها، بعد ان كانت مجرد فرضيات، عن طريق المعجلات، فاكتشف البوزيترون (مضاد الالكترون) ومضاد البروتون، ومضاد النترون.. وذلك باستقدام الاشعة الكونية إلى هذه المعجلات.

فالنترينو وهو من عائلة اللبتونات التي يقع ضمنها الالكترون،وجد في الاشعة الكونية المنبعثة عن انفجار أحد النجوم الذي يسمى «المستعر الأعظم: super nova 1987A). ولم يكن النترينو من قبل، سوى فرضية وضعها (باولي) كما ذكرنا من قبل. والمبدأ الأساسي لعمل هذه المعجلات هو صدم الجسيمات ذات الطاقة العالية بالجسم، المراد دراسة مكوناته، فتتبعثر هذه المكونات اذا كانت طاقة الجسيم الصادم عالية، وتدرس خصائصها بعد ان كانت مبهمة ضمن الجسيم الهدف الذي تبعثر. ويتوقع الفيزيائيون الوصول إلى جسم صغير تبلغ المسافة التي يشغلها على حرف المسطرة مثلاً (10^{-33}) من السنتيمتر. (أي انه يظهر على حرف المسطرة في جزء صغير من السنتيمتر. هذا الجزء هو قسم من ترليون ترليون ترليون من السنتيمتر تقريباً، والترليون هو ١٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠).

وتمكنوا من الوصول إلى هذا الرقم عن طريق فرضياتهم التى تتنبأ بالاجسام العالية الطاقة التي تستطيع ان تفتت الاجسام المغلقة الاحكام والتي تحوي بداخلها الاجسام الصغيرة المجهولة.

وانطلاقاً مما سبق نستطيع الاستنتاج بانه لا وجود للفراغ المطلق. فالفضاء الذي حول كرتنا الارضية-ليس إلا تلك الجسيمات الصغيرة التي لم نكتشفها بعد والتي كانت الأساس في تشكيل كوننا. وهكذا نعود إلى البداية ونرى العنوان «العنقاء تولد من الرماد» ونتأمل في كوننا الذي تشكل عن طريق تلك الجسيمات اللامتناهية في الصغر.

لا تزال هناك تفاعلات تجري لتكثف مادة الفراغ المحيط بنا، والتي شكلت الكون عن طريق هذا التكثف وهي تفاعلات مجهولة نوعاً ما، إلى حين التوصل إلى ما يحتويه فراغنا من جسيمات أولية أخرى.

فكوننا (وعن طريق عوامل ناتجة عن تأثيرات محيطة تلعب المصادفة دوراً كبيراً فيها) بدأ حياته بنقطة متناهية في الصغر، وخلال اجزاء صغيرة من الثانية تفجرت قواه الكامنة

وأصبح يتمدد في كل اتجاه وصوب بعد ان حدث ما يسمى بالانفجار الاعظم (big bang) وتوصل العلماء إلى اللحظات الاولى من حياة الكون بعد الانفجار (أجزاء صغيرة جداً من الثانية) فقد تحولت النتروتونات المعتدلة الشحنة مثلاً إلى بروتونات ذات شحنات موجبة وإلى الكترونات ذات شحنات سالبة (حسب مجلة العلوم الامريكية ـ عدد نيسان ـ ١٩٨٩ ـ الكواركات). .

وهكذا تمدد الكون وما زال يتمدد حسب نظريات (هابل) وغيره. ونشأ ما يسمى بالفضاء ـ الزمن المنحني الذي اكتشفه انشتاين، وعرف البشر شكل كونهم الكروي، وعرفوا بأن كتلتهم تتغير في كل موقع من هذا الكون، وانهم قد يطول عمرهم في بعض ارجائه وقد يموتون لحظة ولادتهم في أرجاء أخرى!؟

ما زال عمل العلماء مضنياً في معرفة الزمن، والتحقق من النظريات التي تؤكد على امكانية التحكم به، نعم يمكن التحكم به. قد تبدو هذه الفكرة مثيرة للجدل، فكيف لنا ان ننتقل إلى عالم أجدادنا الحجريين أو إلى عالم أحفادنا الفضائيين دونما أي عائق؟!

ان الواقع المحيط بنا قد فرض علينا نوعاً متزمتاً من طرق التفكير فأصبحنا متزمتين مع هذه الطرق. . لكن لو غيرنا طرق تفكيرنا بالتعود على نمط آخر للتفكير لكان من السهل جداً ان نبتكر أجهزة ما تجعلنا نشهد معركة (واترلو) ونواسي نابليون على هزيمته أو نلعنه، فإما ان يدير ظهره ببرودته الظاهرية أو يدفع بمن تبقى معه من حرس جمهوري لذبحنا! فنحن كمن يسير على سطح اسطوانة بخط مستقيم وإلى الأمام. ويجزم بعدم وجود نهاية لطريقه إلا اذا سقط عن هذه الاسطوانة.

هل فكر أحدنا بأن الزمن هو هذه الاسطوانة، وانه شيء محسوس ويمكن السيطرة عليه؟ هكذا نعود إلى السؤال السابق كيف يمكن السيطرة عليه؟ مثلاً لو أننا مددنا جسراً إلى الوراء مصنوعاً من مادة الزمن ستتمكن حينها ان نرى نابليون. ولو اننا اختصرنا الطريق وبدلاً من ان نسير إلى نقطة مماتنا على سطح الاسطوانة سنحفر هذا السطح ونسير افقياً فنجد انفسنا قد قطعنا مئة سنة على الطريق اللانهائي للاسطوانة، وسنكتشف وقتها مثلاً النفق الذي يصل بين افريقيا وامريكا اللاتينية أو المحرك الجبار الذي قد تقارب سرعته سرعة الضوء. .

ان عالم الزمن لا يمكن المساس بهيبته بهذه البساطة، ولكن ذلك ممكن في نفس الوقت. ربما بطرق مختلفة وان ادخال انشتاين للبعد الرابع (الزمن) في نسبيته لم يكن عبثاً، فما هي اللحظة التي سبقت تكثّف مادة الكون واللحظة التي قبلها وقبلها؟. هل سنعرفها؟ اذا بحثنا، فاننا سنرى طريقاً ممدوداً إلى ما لا نهاية واذا أردنا التنبؤ بما سيحدث للكون بعد انهياره لرأينا أيضاً طريقاً غير محدود وغير نهائي . .

هل نهاية الكون حقيقة؟ هذا السؤال سيريحنا مؤقتاً من «مجزرة» الزمن . .

لقد توصل العلماء إلى ان الكون الذي نعيش فيه عبارة عن كرة تنغلق جميع ثغراتها اذا كانت كتلتها (مجازاً) ستصل إلى درجة حرجة وعند الوصول إلى هذه الدرجة سيبدأ الكون بالتقلص بدلاً من التمدد وستكبس مجراته ونجومه كلياً، وهذا غير ممكن بالنسبة للعلماء، وفي هذه الحالة سيحصل العكس، سيتابع الكون تمدده حتى تصبح طبقاته متخلخلة جداً. وعندها أيضاً تتفتت محتوياته وتفقد الطبقات روابط الصلة بينها.

هل هذه النهاية المحتمة هي الوحيدة؟

بالطبع لا، فمثلاً هناك الخطر المحدق بالمادة الاولية، المادة التي تُكوننا، فالجسيم المُفتِّت الذي يدعى المونوبول (وهو جسيم افتراضي غير مكتشف، جسيم مغناطيسي يملك قطباً واحداً) عند ظهوره سيقوم بتمزيق البروتونات إلى اشلاء، ويحولها إلى مُكوناتها الاولية، وخطره يكمن في استمراريته!!

ليس هذا فقط. فالبروتون كائن ككل الكائنات، له فترة زمنية محددة لحياته (١٠ مليارات عام) يموت بعدها.

لكن فناءه هذا مطمئن لنا، فضمن كل مجموعة من ترليونات البروتونات، لا يموت سوى عدد ضئيل منها. . وهذا لا يؤثر علينا بالمرة. . فقطرة الماء، مثلاً، تحوي ملايين الملايين من البروتونات. وفناء أحد هذه البروتونات لا يفتت الاوكسجين والهيدروجين المكونين للماء. وخلال فترة تقدر بمليارات السنين لا تحدث هذه الحادثة إلا مرات قليلة.

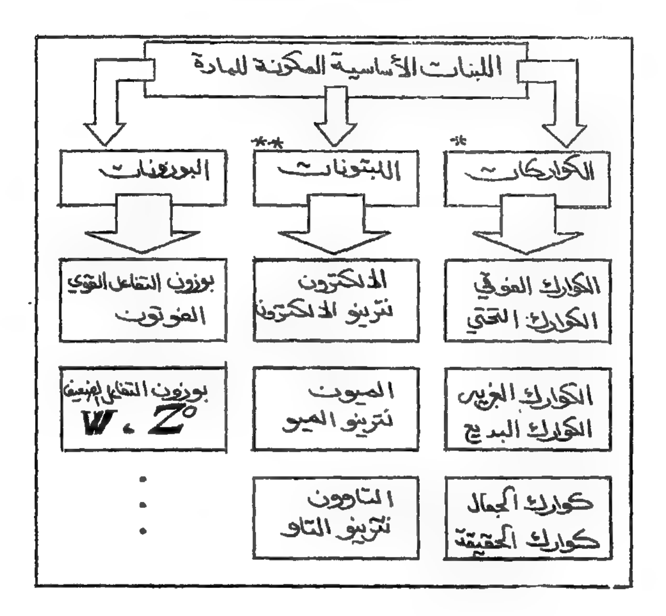
ان هذا المستقبل القاتم الذي ينتظرنا ما زال حبراً على ورق، وينتظر البرهنة عليه تجريبياً. ولكن احتمال فناء الكون أكثر من احتمال عدم فنائه. ولكننا نتحدث الآن والعلم ما زال في طوره الاول اذا ما حسبنا تاريخ العلم بمليارات السنين المقبلة. ولربما بحث العلماء في المستقبل عن طريقة لصيانتنا من التبعثر.

لقد تحدثنا عن مصير الكون. . فلنتحدث الآن عن مصير بعض اجزائه وهو ما يخصنا بشكل مباشر على الأمد القريب.

لقد شكلت صورة «الثقب الاسود» شيطاناً مرعباً للعلماء، هذه التي التقطت عن طريق الامواج الكهرطيسية بواسطة مراصد في استراليا والولايات المتحدة واليابان في شهر ايلول من عام ١٩٩٠. فقد ظهر للعيان ما كان منبوذاً على الورق. . فاضطر الجميع للتصديق!!

ترى ما هو المرعب في هذا الثقب؟

القصة وما فيها ان هذا الثقب لم تستطع المراصد الضوئية التقاط صور لأمثاله، بسبب الغبار الكوني المحيط بها وبسبب عدم اصدارها لأي اشعة ضوئية نظراً لجاذبيتها



* البروتونات والنترونات مكونة في الكواركات، فالبروتون مؤلف من كواركين فوقيين، وكوارك تحتي، وشحنته تساوي الواحد، لان مجموع مكوناته يساوي $2/3 + 2/3 - 1/3 = 1$ والنترون مكون كوارك فوقي وكواركين تحتيين، وشحنته تساوي الصفر، لان مجموع مكوناته يساوي $2/3 - 1/3 - 1/3 = 0$

** كل لبتون له مضاد، وهو من عائلة اللبتونات فالالكترون (e) له مضاد في الشحنة هو البوزيترون(e).6

الداخلية الهائلة. فهو مغناطيس للنجوم التي فقدت شباب عمرها. ومن هذه النجوم التي ستفقد قوتها مستقبلاً هي شمسُنا التي تنعم حالياً بدفئها. وان ابتلاع أحد الثقوب السوداء المنتشرة في مجرتنا وما بين المجرات المجاورة، لشمسنا يعني ابتلاع الكواكب المحيطة بها.

لقد بالغ العلماء لأول وهلة في خوفهم، فهذا لن يتم إلا بعد مرور ٥٠ مليون سنة أو أكثر، وذلك عندما تهرم شمسنا وتنفجر وتتحول إلى (super nova) أي شمس شديدة الاشعاع بسبب انفجارها. وفي ذلك الوقت سيكون أحفادنا قد عرفوا مكاناً آخر قرب شمس مستقرة ليسكنوا فيه.

إن ظهور الثقب الاسود في النظريات سابقاً واكبه ظهور ثقيبات سوداء مكرسكوبية في النظريات أيضاً، وذلك ما أوحى به العالم (فريدمان) واثبت صحته رياضياً.. وهكذا ظهرت لأول مرة فرضيات وجود عوالم (واعية) بجانب هذه الثقيبات الصغيرة.. مادام الثقب الاسود الكبير الذي يتولد عن انهيار شمس (وكتلتها على الأقل أكبر من كتلة شمسنا بثلاثة أضعاف) أو عن انهيار مجرة كاملة، وما دام هذا الثقب يجاور شموساً وكواكب عليها حياة، فما الذي يمنع ان يجاور الثقيب الاسود الصغير نفس هذه العوالم الحية المحيطة بالثقب الكبير؟

لقد استقطبت هذه الفكرة العديد من العلماء، واستطاعت مع الزمن إثبات عدم غرابتها، فهل يا ترى سنتمكن من الاتصال بسكان عوالم الثقيبات السوداء المكرسكوبية؟

أما الآن فبودي ان أشير اشارة فقط إلى جدليات الطاقة لأن الحديث عنها طويل، وبسبب كثرة التناقضات في ثناياها قد تذهل القارىء.

إن أهم ما كتبه بارشينكوف (مؤلف الكتاب) هو كيف التزمت نظريات الفيزياء الحديثة وبشكل صارم بقانون مصونية الطاقة (قانون حفظ الطاقة) وكان لهذا الالتزام بالقانون أثره الايجابي على تطور الفيزياء. ولكن ما أثار العلماء فيما بعد هو ماهية الطاقة، فما هي الطاقة؟ هل هي الكتلة، أم هي العمل، أم انها ظاهرة منفردة.. وما هو أصل هذه الظاهرة، ومن أين أتت؟ أم انها من أصل الوجود؟ فما دام زمان الوجود غير محدود ولا نهائي فوجود الطاقة أيضاً لا نهائي.. وهل هناك وجود للمحرك الأبدي؟

اسئلة كثيرة والاجابة على أحد هذه الاسئلة تتطلب الاجابة على اسئلة إضافية يطرحها الجواب نفسه. لكن الراسخ الآن هو ان الطاقة ليست هي الكتلة أو العمل.. وان أصلها لا يرتبط أبداً بضرورة حدوث شيء ما. فمثلاً يطرح علماء اليوم فكرة يعتبرونها غير مناقضة لقانون حفظ الطاقة، وهي انه ليس بالضرورة اقتران الحركة بالطاقة؛ فمن أين إذن سيستمد الجسم المادي حركته؟ هذا السؤال يطرحه المعارضون. ويجيب أصحاب الفكرة

بأن هناك شيء ما غير الطاقة يجعل الجسم يتحرك في لحظات متقطعة . واذا ما دققنا النظر في هذه الفكـرة وكـررنـاهـا سنشعـر بصوابها أو نشعر بجنونيتها، لكنها فكرة مطروحة، ولأصحابها أدلتهم خصوصاً فيما يتعلق بالتناقضات في نظرية النسبية العامة، التي تبحث في الجاذبية والزمن والفضاء. واذا ما صحت وجهة نظر هؤلاء فان للجسم لدى انعدام طاقته سرعتين : الاولى سرعة معدومة والأخرى سرعة تكبر إلى ما لا نهاية . أما عن المحرك الأبدي فقد أثبتت التجارب عدم وجوده، لكنه قد يوجد يوماً ما .

إن قراءة هذا الكتاب قد تغني يوماً ما الاجيال القادمة في البحث عن معاني عصرنا وظـواهـره الاجتمـاعية ومستقبله، وستبدأ في تلك المرحلة جهود المحافظة على جنسنا البشري والتوحد في كائن اسمه الانسان، أرقى السلالات الحية التي انجبتها الأرض، وسيصبح الولاء المطلق لا لفرد ما بل لقضية المحافظة على استمراريتنا في هذا الوجود المعقد إلى ما لا نهاية . .

ملاحظة : لقد تمت اضافة الكثير من المعلومات الجديدة للفيزياء الحديثة في هذا العرض والتي لم يضمها الكتاب (المراجع : مجلة العلوم الامريكية ـ النظرية النسبية العامة) .



تصريح المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي

حول تطورات الاوضاع في الاتحاد السوفييتي

شهدت الفترة الأخيرة، تطورات متسارعة خطيرة في الاتحاد السوفييتي، واتخذ الصـراع للاستيلاء على السلطة السياسية منحى مثيراً للقلق على مصـائـر الشعوب السوفييتية، وقضية السلم والتقدم والديمقراطية في العالم بأسره.

لقد اندفعت المواجهة، بمختلف الأساليب اللاديمقراطية، بما في ذلك الانقلاب العسكري، لتقطع مسيرة التطور الطبيعي لانتشال البلاد من أزمتها الطاحنة، وارساء أسس الحياة الديمقراطية في إطار الخيار الاشتراكي، ومن منطلق تجديده في مختلف الميادين، لصالح رفع قامة الانسان باعتباره هدف أي نضال وموضوع أي تقدم.

لقد اطلق الحزب الشيوعي السوفييتي عام ١٩٨٥ مبادرة التجديد، كعملية موضوعية لا منـاص منهـا لاعـادة الاعتبـار للاشتـراكية وقيمهـا وقسماتها الانسانية الرفيعة، وازالة التشوهات الغريبة عنها، بالاستناد أساساً للديمقراطية والتعددية والمصارحة ونبذ كل وسائل القسر والارهاب والاوامرية وغيرها من مظاهر النظام الشمولي الاستبدادي.

ومن هذا المنـطلق بالتحـديد، استقبـل حزبنـا، كما هو حال الاحزاب الشيوعية والعمالية والاوساط والقوى التقدمية في العالم، هذه العملية بالتفهم والدعم والتفاعل. ورغم التحفظات العديدة التي ازدادت في مجرى تطبيق «البريسترويكا» على تفاصيلها ونزعاتها السلبية ونتائجها العدمية فان حزبنا ظل، ولا يزال يقيم العملية باعتبارها عملية موضوعية، وظاهرة ايجابية في مسيرة التقدم الانساني والتطور الحضاري.

ولكن الاحـداث الاخيرة التي أعقبت الانقلاب الفاشل، المعبر عن روح الجزع وضعف الايمان بالحركة الجماهيرية والاستناد إلى ارادتها، والمشدود إلى الحلول الفوقية،

الاوامرية المغامرة، عكست من حيث المضامين والأساليب والأهداف، ذات النزعة الانقلابية المناهضة لجوهر عملية التجديد واداتها الديمقراطية.

لقد جرى استغلال المغامرة الفاشلة من قبل الأوساط المهيمنة في عدد من الجمهوريات، لدفع الأوضاع باتجاه تنظيم حملة ثأرية واسعة وتصفية الحسابات مع الحزب الشيوعي السوفييتي، إثر اجراءات لا ديمقراطية استهدفت تجريده من حق مواصلة نشاطه ومصادرة ممتلكاته، بالاضافة إلى الارهاب الفكري الذي لا يجمعه جامع بالديمقراطية والتجديد والقيم الانسانية.

لقد كان الشيوعيون السوفييت رواد عملية التجديد، ودعاة الاصلاح، وضامني حقوق الآخرين من مواقع السلطة التي كانوا على رأسها وهم جديرون بالمشاركة النشيطة الديمقراطية في مواصلة هذه العملية بمختلف جوانبها. ولابد لأي محاولة لتحويل مجرى الاحداث لحجب حق العمل والنشاط عنهم أو التضييق عليهم أو على غيرهم، من دفع البلاد إلى مصائر من شأنها الحاق أفدح الاضرار، لا بالشعوب السوفييتية ومستقبلها ومعافاتها واعادة مكانتها ودورها، بل وبقضية الديمقراطية والتقدم وحق الشعوب في اختيار طريق تطورها المستقل في العالم أجمع، وبحماية كوكبنا من الكوارث المحدقة به.

ان الحزب الشيوعي العراقي الذي كان ينظر منذ نشوئه باحترام ودعم لنضال الشعوب السوفييتية ويعتبر أي تقدم تحرزه نصراً لقضية السلم والديمقراطية والتقدم في العالم، يعبر اليوم أيضاً عن أقصى التعاطف والدعم لنضال هذه الشعوب وللشيوعيين وجميع الأوساط والقوى الديمقراطية والتقدمية في الاتحاد السوفييتي في سبيل انهاء الأزمة المستفحلة فيه، وصد التيارات والنزعات والنشاطات التي ترمي إلى اعادته إلى أشكال معاصرة من التخلف والبربرية.

اوائل ايلول ١٩٩١

تصريح ناطق باسم المكتب السياسي

حول استمرار طغمة صدام حسين في ابادة الشعب العراقي في الجنوب وكردستان

فيما تتعاظم حاجة شعبنا العراقي إلى الأمن والاستقرار لتخفيف ما يكابده من أهوال المجاعة وتفشي الامراض، فضلاً عن سائر الآثار الاجتماعية والاقتصادية الوخيمة لأكثر من عشر سنوات من الحروب المدمرة، تواصل طغمة صدام حسين سياسة الأرض المحروقة والقتل الجماعي في مناطق مختلفة من بلادنا تمتد من اهوار الجنوب إلى جبال كردستان.

ويهم حزبنا ان يلفت انظار الرأي العام العربي والدولي إلى الحرب العدوانية غير المعلنة التي تشنها الطغمة الحاكمة حتى اليوم ضد العرب في الجنوب والكرد والتركمان والاقليات القومية في كردستان العراق. . .

فمنذ مطلع ايلول الجاري تقوم قوات النظام بعمليات عسكرية واسعة في مناطق الاهوار، وخصوصاً اهوار محافظة ذي قار (الناصرية)، مستخدمة الطائرات السمتية والدبابات والمدفعية الثقيلة وقوات المشاة.

وشملت تلك العمليات التي أدت إلى مئات القتلى والجرحى معظمهم من الاطفال والنساء والشيوخ، مناطق سوق الشيوخ وكَرمة بني سعيد والحمّار والجبايش والفهود والجوبير والشدود والكرمانشية، واستهدفت ابادة سكانها وكذلك المواطنين النازحين اليها من مناطق أخرى في الوسط والجنوب استباحتها قوات الحرس الجمهوري اثر الانتفاضة الشعبية المجيدة التي تفجرت في آذار الماضي.

وترافق مع تلك الهجمات الهمجية قيام القوات الحكومية بفرض حصار على المنطقة لمنع وصول الاغذية والادوية اليها أو خروج المنتجات المحلية، كالاسماك والمواشي منها إلى المناطق الأخرى بهدف ابادة مئات الالوف من المواطنين عن طريق التجويع وانتشار الامراض بين صفوفهم.

وعمدت قوات السلطة ايضاً إلى تسميم بعض المناطق مما أدى إلى تعريض حياة السكان للخطر واتلاف كميات كبيرة من الاسماك والمواشي التي يعتمدون عليها في معيشتهم .

وتستمر السلطة الدكتاتورية في الوقت نفسه بتعزيز قواتها في المناطق الجنوبية والغربية من كردستان العراق تمهيداً لعملية عسكرية واسعة ضد الشعب الكردي وقوى الجبهة الكردستانية، ففي الأونة الأخيرة دفعت الطغمة الحاكمة بقوات اضافية، اتخذت الوضع القتالي، إلى مناطق دهوك والشيخان وازمر وطاسلوجة وچمچمال وعربت ودربندخان وكَرميان وخانقين وقادر كرم اضافة إلى عدة مناطق في محافظة كركوك .

وفي الثالث من ايلول الجاري شنت قوات السلطة حملة مداهمة وتفتيش في مدينة خانقين واعتقلت ٣٥٠ من شبابها بتهمة الهروب من الخدمة العسكرية . كما قامت في اليوم التالي باعتقال عوائلهم الذين نقلوا إلى أماكن مجهولة، ولم يعرف أي شيء عن مصيرهم حتى الآن.

وقد توفرت لدينا دلائل على استعداد الطغمة الحاكمة لاستخدام انواع من اسلحة الإبادة الشاملة، بينها الاسلحة الكيمياوية، في عملياتها العسكرية الجديدة. ومن تخطيطها لشن هجوم بواسطة الوية الحرس الجمهوري على عدة محاور هي : چمچمال ـ بازيان، والسليمانية من الداخل والخارج حتى ازمر وقرداغ . وكفري ـ اسكي كفري، وولي حيدر ـ سرقلا ـ كوله جو ـ كلار وطقطق ـ رانية ـ كويسنجق. وتكليف عناصر مرتزقة من منظمة مجاهدي خلق الايرانية، بارتداء الزي الكردي لغرض التضليل. وجرى تحديد موعد الهجوم الشامل في الساعة ٧٠٠ من يوم ١٩٩١/٩/٢٤ .

ان حزبنا الشيوعي العراقي يتوجه بالنداء الحار إلى كل اوساط الرأي العام العالمي وحكومات الدول العربية والاجنبية والمنظمات الدولية والقوى السياسية والاجتماعية وكل من تعز عليهم قضية حقوق الانسان للقيام بكل ما من شأنه وقف طغمة صدام حسين عند حدها، وردعها عن الاستمرار في أعمالها الهمجية ضد الشعب العراقي الذي انهكته السياسات الارهابية والمغامرات العدوانية لهذه الطغمة المسلطة على رقاب شعبنا بقوة الحديد والنار.

١٩٩١/٩/٢٢

بيان

يا ابناء شعبنا

ان اللجنة القانونية للجنة العمل المشترك لقوى المعارضة العراقية، اذ تعلن عن بدء عملها وتحمل مسؤوليتها ومهامها الوطنية، تنطلق من الاهداف التي أعلنتها لجنة العمل المشترك ومكتب الامانة في بياناتها ومذكراتها المتعددة المتمثلة باسقاط النظام الدكتاتوري بارادة الشعب العراقي، وتصفية مخلفاته والغاء القوانين الجائرة الصادرة عنه، وانهاء ممارسة الاضطهاد السياسي والقومي والديني والمذهبي وتقرير مبادىء حقوق الانسان.

يا احرار العالم

يعاني شعبنا في العراق من ممارسات النظام الحاكم وخرقه لأبسط مبادىء حقوق الانسان، وحرمانه من حقوقه وحرياته الأساسية التي تكفلها القوانين والدساتير العراقية والمواثيق والاعراف الدولية.

فضحايا النظام يزدادون عدداً واماكن تواجدهم تزداد انتشاراً، فاهوار وسط وجنوب العراق تحتضن مئات الالوف منهم هاربين من بطش النظام وقمعه، ومدن وقرى كردستان العراق تضم مئات الألوف، وكذلك مخيمات اللاجئين في ايران وتركيا وسورية والسعودية والاعداد المتزايدة التي وصلت إلى الاردن وما زالت في زيادة مستمرة هرباً من المعاناة ومن بطش النظام، تحتوي اعداداً هائلة من هؤلاء الضحايا، الذين ما زالوا في انتظار موقف انساني عربي ودولي لنصرتهم ودعمهم ومساعدتهم للخلاص من الحالة المأساوية والمعاناة التي يعيشونها في ظل ظروف قاسية من غذائية وصحية وجوية وغيرها.

ان اللجنة القانونية التي تعلن عن بدء عملها، تدعو المواطنين العراقيين كافة والحقوقيين منهم بشكل خاص إلى دعم عملها للقيام بمهامها بما يخدم ويعزز قضية الشعب العراقي والمساهمة في فضح انتهاكات وممارسات النظام الحاكم في العراق واجهزته الارهابية محلياً وعربياً ودولياً، كما تؤكد على أهمية تزويد اللجنة بما يتوفر لديهم من معلومات موثقة عن انتهاكات السلطات العراقية من حالات الاعتقال التعسفي والتعذيب والاختفاء والخطف والحجز والفصل والاعدام وغيرها.

لقد ادان العالم النظام الحاكم في العراق ورئيسه صدام حسين، وطالبت وما زالت تطالب العديد من الدول والمنظمات تقديم صدام حسين إلى محاكمة دولية كمجرم حرب، جراء ارتكابه جرائم بحق الانسانية وتهديده للأمن والسلام الدوليين وانتهاكاته

لمبادىء القانون الدولي، وفي مقدمتها استخدامه للقوة في العلاقات الدولية بدل حل المنازعات الدولية بالطرق السلمية. وعلى الصعيد المحلي انتهاكاته المستمرة لحقوق وحريات المواطن وانتهاجه سياسة الابادة الجماعية التي تعتبر جريمة دولية بمقتضى القانون الدولي.

وتؤكد اللجنة القانونية في بيانها هذا على أهمية المشاركة الواسعة من أبناء شعبنا في العراق، بما يخدم ويعزز المبادىء الانسانية لحقوق الانسان وتعرية الأساليب القمعية لاجهزة السلطات العراقية وممارساتها الارهابية وخرقها المستمر للقوانين المحلية والمواثيق الدولية.

كما تؤكد اللجنة على أهمية التعاون والتنسيق مع كافة المنظمات واللجان العراقية والعربية التي تعني بالدفاع عن حقوق الانسان، وبذل الجهود والسعي لتحقيق طموحات أبناء شعبنا في عراق يتحقق في ظل حكمه احترام القوانين، ومن أجل اعادة الوجه الحضاري لعراقنا الذي مسخه النظام الحاكم ورئيسه صدام حسين بجرائمه وانتهاكاته المستمرة لحقوق الانسان وخرقه للمواثيق والاعراف الدولية.

وتأمل اللجنة القانونية التابعة للجنة العمل المشترك لقوى المعارضة العراقية ان تكون الصوت المعبر عن ضحايا النظام الحاكم في العراق والمدافع عن قضاياهم المشروعة في اللقاءات والندوات والمؤتمرات وايصالها إلى المنظمات الدولية والانسانية ولجان حقوق الانسان الحكومية وغير الحكومية.

اللجنة القانونية
لمكتب امانة لجنة العمل
المشترك لقوى المعارضة
العراقية



لا لقتل أطفال العراق على يد بوش وميجر وميتران

د. ابو بكر السقاف

كتب كاتب عربي من لبنان ان صدام حسين هزم العرب، ولو توخينا الدقة لقلنا قد هزمنا انفسنا، فنحن نملك زاداً نفسياً وثقافياً في داخلنا يجعلنا نتحمس حتى الهذيان لمن يقودنا نحو الهاوية، كل عقد أو عقدين، وتلك سمة يمكن ان تصفها بتحوير بسيط لاحد مصطلحات المرحوم مالك بن نبي، انها القابلية للاستبداد، الكامنة في بنية الوعي والثقافة والسلوك السياسي، لأننا حتى الآن لم نستبدل بجوانب الضعف في ثقافتنا السياسية ملامح جديدة تصنع المناعة ضد جرثومة الاستبداد. فنحن سرعان ما نتخلى عن القشور الثقافية التي نلصقها بوعينا من الخارج، مثل الديمقراطية والعقلانية وكرامة الفرد، ونشرع في احراق البخور لأول مستبد يتخذ بعض مسوح الفارس المخلص الخارجية، وبذلك نلقي عن كاهلنا مسؤولية تحرير انفسنا، ونسلم قيادنا سلسا للاب الملهم، و«القائد الضرورة» وكأنه قانون من قوانين الطبيعة.

انه ضرب من الخوف من الحرية أو «الهروب من الحرية» الذي حلل اريك فروم اسبابها ومظاهرها في كتابين يحملان نفس العنوان وبين الأساس النفسي الاجتماعي للنازية في المانيا.

العراق اليوم يتعذب من التقاء ارادتين شريرتين: جنون عظمة حاكمه، واحتراف القتل في سبيل الهيمنة العالمية، الذي يمارسه بوش، وهو الذي ضرب رقماً قياسياً بين رؤساء امريكا في الحديث عن ضرورة قيادة امريكا العالم. وهو يحاكم منذ أيام على يد الشجعان الامريكيين الذين كونوا محكمة برئاسة رمزي كلارك المدعي العام الامريكي

السابق، ولم يوجد بين العرب من يحاكم صدام على جرائمه، فمن شأن المحكمة ان تبين كيف أصبح شعب العراق ضحية غولين أحدهما داخلي والآخر خارجي وكل الكتابات والدراسات تقرر ان العراق أصبح ضحية منذ انفرد فيه بالحكم فرد مستبد وحزب أوحد. ان الاستمرار في القاء كل المسؤولية على الخارج، ليس إلا شهادة براءة الأوضاع الداخلية من دم العراق. وذلك اسلوب أصبح مألوفاً سائداً في الفكر السياسي العربي، وهو يتجنب بوعي أو بغير وعي دراسة تلك البنية التي تنتج الاستبداد كل يوم. وكما يفعل القُصَّر يلقى باللوم على الكبار.

العراق اليوم دولة تحت الوصاية، وسوف يعاني سنوات طويلة من نتائج مغامرتين عسكريتين ومن آثار سوط العذاب، الذي لم يترك مكاناً لجرح جديد في جسمه بعد ان دمر شماله وجنوبه، وسجن مائة الف من أبنائه وشرد عشر سكانه (انظر ان شئت فالح عبد الجبار/ الحياة ٩١/٧/٣٠).

ان الطريق الوحيد لخلاص الشعب العراقي من كل محنه وويلاته، يمر عبر وحدة المعارضة العراقية لاسقاط صدام حسين، واقامة البديل الديمقراطي، ذلك ما ورد في بيان للحزب الشيوعي العراقي، يستنكر فيه الحصار الاقتصادي.

هذا هدف المعارضة العراقية، ولا شك انها ستحققه، فصمام الأمان المتمثل في الجيش والأمن والحزب، يعاني من هزة عميقة بعد الهزيمة. لكن المهمة العاجلة اليوم انما هي انقاذ الشعب العراقي الشقيق من الموت البطيء ولاسيما اطفاله فوفقاً لتقرير مجموعة اطباء من جامعة هارفرد هناك منذ شهرين ١٧٠ الف من الاطفال مهددين بالموت.

تقدم الممثلة البريطانية الشهيرة فانسيارد جريف، نصيرة قضايا العرب وصفاً دقيقاً لحال أطفال العراق، في فيلم عرضته في احدى قاعات مجلس العموم وقد قدم المسؤولون عن صندوق رعاية الطفل التابع للأمم المتحدة تسهيلات لتصوير ذلك الفيلم وجاء في نشرتهم الصحفية قبل عرضه «ان الشريط الذي مدته ٢٨ دقيقة ذكرى تصدم المشاعر للطريقة التي يكون بها الاطفال الضحية الأولى للحرب. فمن البصرة إلى العمارة، ومن بغداد إلى السليمانية نشاهد اطفالاً في حالات متفاقمة من الهزال والبؤس، وحتى أطفال مصابين بانتفاخ البطن نتيجة نقص التغذية، وهو مرض نادراً ما عرف خارج افريقيا. وفي البصرة تضاعف عدد الاطفال دون الخامسة الذين اصيبوا بالاسهال منذ مايو ١٩٩٠ م. (١٩٩١). ويقدر ان هناك حوالي ٢٥٠٠ حالة من الاصابة بالحمى التيفية الشديدة..

وعرض التلفزيون البريطاني مقتطفات من الشريط الذي يظهر اطفالاً لم يبق على عظمهم سوى الجلد وعلى وجوههم سوى الشحوب. (سبريل تاونسند، الحياة ٩١/٧/٢٨، والكاتب عضو مجلس العموم عن حزب المحافظين).

تظاهـر في فرنسـا انصـار حقوق الانسان مطالبين برفع الحصار وتجويع الاطفال وكـذلـك فعل الالمان. العرب وحدهم لا يتحركون ساستهم مشغولـون بمكافأة الدولة الصهيونية على ايقـاف عمـل غير شرعي كمـا قال مناضل فلسطيني وذلك بالوعد بفك الحصـار الاقتصـادي، مقـابل وقف بناء المستوطنات في هذه الايام، مع السكوت عن المستوطنات القديمة منذ هزيمة عام ١٩٦٧. وقد بدا الاقتراح بفكرة التعليق، وطوره ساسة السعودية والخليج فاصبح فكاً للحصار. ذلك ضرب من التفاوض والذهاب إلى الحرب دون سلاح، وهو معجزة لا يجيد اجتراحها أحد غير الزعماء العرب.

أما الرأي العام العربي فقد تخلى عن حماسه لاستخدام الكيمياوي، وقبع يجتر مهانة الهزيمة، وما أجدره اليوم يتعلم الدرس القاسي والعودة إلى مقاومة اعدائه. ولكنه لم يقرر حتى الآن لا التصـدي للجزار بوش، ولا للاطاحة بدكتاتور العراق. انطوى على نفسه، دخل شرنقة، لا يريد ان يخرج منها هذه المرة لتأييد مغامر جديد أو مسيح دجال. يوظف الضعف الاسـاسي في الشخصية لخـوض مغـامرة جديدة. قتلنا انتظار المهدي المنتظر الذي تنقل كل قوانا اليه، بحيث لا يبقي فينا إلا الانتظار الثالث الذي شكا منه المفكر الشهيد علي شريعتي ووصفها بالتشيع الاسود، تمييزاً له عن التشيع الاحمر الفاعل.

القاء اللوم كله ولاسيما في هذه الايام على دكتاتور العراق وحده، كما تفعل اجهزة اعـلام الانـظمة العربية في مصر والسعودية، ليس موقفاً صحيحاً. انهم يحاولون اعفاء حلفـائهم الكبـار من كل مسؤولية حتى عنـدما تكون جرائمهم بينة لا تحتاج إلى برهان فالحلفاء يقومون بخرق كل القرارات والقوانين الدولية، مستغلين فترة الانتقال التي يمر بها النظام الدولي، ليرسخوا فيه مقومات هيمنتهم.

ان العقوبات التي تطبق على العراق في هذه الايام تتجاوز قرارات مجلس الأمن اذ يدخل فيها الغذاء والدواء، وهناك توسع في تفسير حق التعويض لا يكتفي باحتجاز ٣٠٪ من ريع النفط العراقي في صندوق التعويضات بل يمارس حق الاشراف حتى على استيراد الغذاء والسلع التي لا علاقة لها بالانتاج الحربي من قريب أو بعيد.

انهم يهدفون إلى دفع الشعب العراقي في طريق الخوف من الموت البطيء، حتى يندفـع بفعل هذا الرعب إلى التخلص من الدكتاتور، بعد ان حقق كل مطالب امريكا وحلفائها. وصف عضو في لجنة الشؤون الخارجية في الكونجرس الامريكي حال صدام قائلاً: «لقد وضعناه في الركن المناسب، وهو يوقع على كل ورقة نقدمها اليه» ذلك لأن الاولوية لبقائه في الحكم وحزبه الأوحد.

أشار الأمير آغا خان في تقريره الانساني إلى الأمم المتحدة إلى ان الشعب العراقي

هو الذي يعاني من الحصار لا حكام العراق. وذكر التدمير الذي الحقه الحكام بجنوب العراق، الاهمال الطويل الذي يعاني منه.

ان القـادة لا يزالـون يتمتعون بنفس مستوى معيشتهم السابق بل تتمتع به بعض المناطق المدللة من العراق، على حساب الجنوب والشمال، الأمر الذي كشف خطورة الحكم القائم على وحدة العراق تبين للعالم ان نظام بغداد حكم اقلية، يرعى مصالح اقلية أكثر من منظمة دولية، وكذلك كل احزاب المعارضة العراقية، فقد اتضح ان الحكم متحيز ضد أقسام كبيرة من سكان العراق، حتى التجويع وحجب الأدوية. فحكم الاقلية الذي يستخـدم بحق تقـرير المصير، الـذي يتمثل في الحكم الذاتي للاكراد في وجه العدل الاجتماعي الذي لم يعرف طريقه نحو الجنوب حتى في أبسط صوره.

ان ثلاثي الشر بوش وميجر وميتران يستثمرون صورة الجلاد، التي يدعمها حاكم العـراق بالافعال، كما حدث في الجنوب والشمال، بدعوى وجود تدخل اجنبي، فوجه حرسه الجمهوري أسداً على شعبه، بعد ان كان نعامة في الحرب، ليدعم حكمه، ويهدد وحدة الشعب. فأية وحدة هذه التي تؤسس على قتل مئات الالاف وتشريدهم وهدم الاف القرى. ان هذه الطريقة في الدفاع عن الوحدة، هي في الواقع تقويض لأسسها ومقوماتها، فلا يعقل ان ينزاح نحو مليوني انسان إلا نتيجة استخدام بربري للقوة الحربية فلا يغادر الانسان وطنه إلا خوفاً من موت داهم*.

تستحق الولايات المتحدة الوصف الذي اطلقه رئيسها السابق ريجان على الاتحاد السـوفييتي «امبـراطورية الشر» التي تقوم على ما وصفه «الشيخ فولبرايت» صلف القوة، فرئيسها مع حليفيه لا يتورعون عن قتل اطفال العراق كل يوم، وزوجة ميتران التي ترعى جمعية للدفاع عن الاكراد منذ سنوات لـم تفكر لحظة في الدفاع عن أطفال العراق. ان المشاعر الانسانية تصبح موضع شك عندما لا يرى اصحابها ان تدمير حق الحياة لشعب بأسره أمر جدير بالمعارضة والادانة والمقاومة. . . ومن الواضح ان امريكا وحلفائها يحلون الرغبة محل القانون، وضرورة الهيمنة مقدمة على كل ما هو قانوني أو انساني.

ان الرؤساء الثلاثة يقومون بتمرينات يومية على أكل لحوم البشر، تحت دخان كثيف من الحديث عن الحضارة والاخلاق وحقوق الانسان والمحبة.

يثير الصمت البليد للشارع العربي الحزن والغضب، وكأنه لا يستطيع التفكير إلا بأمر، أو في غمرة هياج عاطفي يغشي البصر والبصيرة ويجعل العاطفة بديلاً للتفكير، أو معادلاً له. بل يبدو انه لا يستطيع حتى الاحساس بأمر. انها الثمرة المرة لغياب الوعي بكرامة الانسان الفرد المستقل والمسؤول عن أعماله. ويترتب على ذلك غياب مؤسسات المجتمع المدني، التي يشيدها المواطنون قلاعاً للدفاع عن حريتهم وحقهم وكرامتهم.

أين لجنة الدفاع عن الشعب العراقي، التي كانت تقود الجماهير بمناسبة وبدون مناسبة للاجتماع والمظاهرات. أين نقابات اليمن، واتحاد نقاباته؟ أين الرجل، أين المرأة، أين المثقف أين الامي . . أين الانسان في هذا الركام الهامد عندما كان الدفاع عن العراق يعني الدفاع عن مغامرة احتلال الكويت، وعن حاكمه كانت اللجنة تصول وتجول، وتمارس كل هواياتها الرسمية، على جميع المنابر، والآن عندما اصبح الدفاع عن شعب العراق واجباً لا يحتمل التأجيل لا نسمع كلمة احتجاج ولو خجلى عابرة. نحن مرة أخرى أمام ظاهرة التفكير بأمر والاحساس بأمر والحماس بأمر وهو مقتل كل المجتمعات العربية: وصاية الدولة على كل حركة في المجتمع صغيرة أو كبيرة فردية أو جماعية والالغاء الكامل للمبادرة الفردية والجماعية.

لعلها موازين توازن مبدئي جديد تقوم به حكومتنا فلا يتلاءم معه أي حديث عن بربرية امريكا وحلفائها، كما ان اغضاب الجيران من الامور التي تعكر صفو البحث عن طريق العودة إلى دروب المحبة والاخاء ونسيان الجراح، كما نسمع من الاصوات التي تتعالى على كل المنابر في المشرق والمغرب. وما أجدرنا بهذا النبل ونحن موطن الحكمة القديمة والجديدة، وان اغرقتنا في الأزمات والمشاكل السياسية والاقتصادية. ان غياب النقد الذاتي نذير بتكرار الخطأ.

كيف يمكن الشروع في بناء تجربة ديمقراطية في غياب المجتمع وحضور الدولة وحدها في ساحتي التفكير والعمل؟

انه سؤال يتصل بكل الشأن القومي والانساني قطرياً وقومياً لاسيما ونحن نعيش في وحدة عجز فاضح يمنعنا من اظهار أدنى حد من التضامن مع ضحايا الكولونيالية الجديدة، والاستبداد المحلي، وامريكا ماضية قدماً مع حلفائها الاوربيين والعرب في ارساء قواعدهما بالنار كما فعلت الرأسمالية في فجر تاريخها الدامي، عندما أبادت الملايين، ونهبت ثروات كل القارات من أجل ان تزدهر اوربا وامريكا.

هل نطمح ان نواجه اعداءنا في الداخل والخارج ونحن في (رقدة العدم) بله ان نتقدم من اهدافنا القومية الكبرى. لا أظن. نحن نتحرر إلا اذا كنا أحراراً حقاً. ولذلك شرط ان نلغي قوة القابلية للاستبداد في وعينا وسلوكنا.

يدافع تاونسند عن حزبه وحكومته، فهو لا يستطيع ان يفهم مطالبة رد جريف برفع العقوبات عن العراق، بحيث يتسنى مع الوقت وصل التيار الكهربائي وتنقية المياه واعادة الرواسب إلى مجاريها، (المصدر السابق).

تسبب الرواسب الامراض الوبائية لأن شبكة المياه لم تعد نظيفة لاختلاطها بمياه المجاري، من جراء القصف الجوي، الذي أعاد الطاقة الكهربائية في العراق إلى مستوى

العقد الثاني من القرن. ولكن تاونسند مبتهج لأن العقوبات لم يحدد رفعها بزمن، ويهمل في نفس الوقت السؤال المركزي الملح اليوم: ان العقوبات تجاوزت قرارات مجلس الأمن. وليس هناك من يجهل ان المنتصر لا يحاكم، ولكن لابد من مقاومة هذا التجاوز على جميع المنابر. ان القضية اليوم لم تعد المعيار المزدوج فحسب، بل خرق كل معيار قانوني، وانساني وتجاوز القرارات بفظاظة صريحة.

يساعد على هذا التجاوز ان الصين والاتحاد السوفييتي لا يريدان جعل هذا الموضوع سبباً لخلاف حاد مع الفرسان الثلاثة. ان الروح البراجماتي (العملي) في سياسة البلدين له تاريخ طويل فيهما بدأ من استبدال الدولة بالثورة. ولكن قبل محاسبتهما علينا ان نحاسب انفسنا، لاسيما اولئك الذين رفضوا عقد مجلس وزراء الخارجية العرب حتى لا يتهموا بالدفاع عن شعب يحتضر.

نعرف جميعاً ان عدوانية حاكم العراق وحزبه الاوحد وجهت ضربة إلى التضامن العربي ومدت النزعة القطرية بوقود جديد عندما مارست قطريتها حرباً.

ان رأب الصدع في نفوس المواطنين يحتاج إلى سنوات. والحي العربي الغني يدخل شرنقته محروساً بقوى التحالف. ولكن يظل السؤال هل يمنعنا ذلك كله من الوقوف إلى جانب اخوتنا واهلنا في العراق. مع رسم واضح بيننا والحكم الذي جر الكوارث على كل العرب.

آن الأوان للقيام بمبادرة شعبية لتكوين لجان للدفاع عن الشعوب العربية في كل مدن اليمن، وفي مقدمة من يجب الدفاع عنهم شعب العراق وشعب فلسطين. وان يكون من مهام اللجان معارضة الوجود العسكري الغربي والامريكي في الجزيرة العربية والخليج العربي. ولتكن البداية دعوة من اتحاد عمال اليمن إلى المظاهرات السلمية والتعبير بمختلف الاشكال للاحتجاج على تجويع الشعب العراقي، وقتل اطفاله.

لا أشك في ان عملاً على هذه الشاكلة ينبثق من المنظمات والمؤسسات الاجتماعية والاتحادات المهنية سيكون مقدمة مناسبة لبناء حركة اجتماعية ورأي عام يدافع عن الوطن الصغير والكبير.

عن جريدة (التجمع اليمنية) ٥/٨/ ١٩٩١

- لم يكتفوا فقاموا بسابقة خطيرة في السياسة الدولية بتكوين قوة تتمركز في تركيا قرب الحدود مع العراق للتدخل عند الحاجة لحماية الاكراد. وتساهم تركيا في القوة في إطار سياستها للقيام بدور رئيسي في المنطقة. ان سياسة ابادة الاكراد تقدم ذريعة لامريكا وحلفائها لمثل هذه الاعمال، ليقوموا بهذه السابقة تحت ستار الدفاع عن الانسان.

بين «نظام الشورى» وموجبات الديمقراطية

الشيخ خليل عبد الكريم

تحت عنوان «اقالة الشورى»، يعالج الشيخ خليل عبد الكريم في بحث مسهب، «الشورى» كنظام مدني، وتطور الفكرة تاريخياً، محاولاً ابراز الروابط بين «نظام الشورى» المدني كما قال به الاسلام وبين التطور الاجتماعي وظروف المجتمعات العربية الراهنة، وضرورة اعتماد الديمقراطية.

يعـرِّف البـاحث نظام الشورى بانه نظام عربي قديم لدى عرب الجزيرة العربية، استعاره الاسلام منهم مثل كثير من الأنظمة في كافة النواحي. وكانت القبيلة العربية هي الـوحـدة الاجتماعية والسياسية، ثم يعطي أمثلة على ظروف وقضايا أساسية يعتمد فيها المسلمون الشورى: ومنهم الصحابة، بدءاً من ابي بكر الذي «امضى رأيه رغم مشورة كبار الصحابة»، ورغم خطورة الموقفين السياسي والحربي (. . .) واصر على محاربة القبائل الثائرة (حرب الردة) رغم اجماع الصحابة من المهاجرين والانصار، على مهادنتهم وقبول الصلاة منهم وترك الزكاة. وكذلك يعطي مثلاً عن مسيلة «تقسيم أرض السواد التي فتحت عنـوة»، منهـا ما هو في مصر والشام، ويومها «استشار الخليفة عمر الصحابة في أمرها فانقسموا فريقين (. . .)».

وفي مجال آخر من بحثه يعرض الشيخ عبد الكريم الفرق الجوهري بين «الشورى» و«الديمقراطية»، فالأول يقتصر على أخذ رأي «الملأ» (النخبة في القبيلة) أما القبيل (أي العامة) فلا حساب له عنده ولا قيمة، في حين ان الآخر يرتكز أساساً على رأي القاعدة الشعبية العـريضـة (. . .) فهـو حكم الشعب بالشعب لصالح الشعب. ويتأسس نظام الديمقراطية على الانتخاب من القاعدة إلى القمة في حين ان نظام الشورى لا يعرفه ولم يعرفه طوال ماضيه، ولم نقرأ في التاريخ الاسلامي ان «خليفة» أو «والياً» تم تنصيبه عن طريق الانتخاب الحر المباشر الذي شاركت فيه جماهير المسلمين. . وليست «البيعة» انتخاباً بأي صورة من الصور. ويضيف ان «موجبات ذلك العهد وآلياته ودرجة الوعي والحظ من المسيرة الحضـارية، كلها كانت تمنع الوصول إلى اختيار الحاكم أو الوالي بطريق الانتخاب الحر المباشر واشراك القاعدة الشعبية في تنصيبه. اذن، نظام الشورى كان، ولا شك، ملائماً لمجتمع معين له مقوماته وظروفه التي تختلف اختلافاً كلياً عن مثيلاتها في

مجتمعاتنا المعاصرة».

وفي مقدمة بحثه القيّم، والتي نقتصر على نشرها في ما يلي يقول عبد الكريم:

«الشورى» نظام مدني، لأنها وثيقة الصلة بسياسة الحكم. وهي من أمور الدنيا مثل البيع والايجار والمزّارعة والمغارسة والمساقاة «غيرها من المعاملات أو الأنظمة المدنية التي فننتها الشريعة الاسلامية أما عن طريق الكتاب او السنة وراعت ان تكون محدودة بقدر الضرورات التي حتمها واقع المسلمين زمن الرسول عليه الصلاة والسلام. والحكمة في محدوديتها واضحة وهي فتح الباب أمام المخاطبين بالشريعة للاجتهاد للوصول إلى حلول لنوازل حياتهم التي تتجدد باستمرار وتتبدل بتطورات مجتمعاتهم، ولدفع الحرج عنهم، لأنها لو الزمتهم بانظمة مدينة شاملة لكل النواحي لشكلت قيوداً عليهم وغلت حركتهم وغدت سداً منيعاً يحول تقدمهم.

ولذا وجدنا المسلمين منذ عهد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أخذوا يبتكرون الحلول التي تناسب مشكلاتهم المستحدثة بعد انقطاع الوحي بانتقال الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى ،اضياً مرضياً. وذلك بشحذ عقولهم وملكاتهم واستثمار معلوماتهم واستخدام خبراتهم وتجاربهم. وهكذا فعل التابعون وتابعو التابعين ـ طيّب الله ثراهم ـ خاصة أولئك الذين انتقلوا أو عاشوا في بيئات تغاير أمة الوحي تمام المغايرة وتختلف عنها في أغلب الوجوه. وبمضي الزمن تعقدت الأمور بصورة لم تكن في الحسبان ووجد المسلمون ان مقتضيات عصرهم والمستجدات التي يتوالى أو يتسارع ظهورها ووضعهم في المجتمع الدولي وعلاقاتهم بغيرهم من الأمم، كلها، تحتم عليهم أما اقالة بعض الانظمة المدنية أو الالتفات حولها بهذا التبرير أو ذاك منها على سبيل المثال.

نظام الرقيق. فالمسلمون اليوم جزء من المجتمع الدولي. وبذلك فحتم عليهم ان يوقعوا على الاتفاقية الدولية التي حرمته. مع ان هذا النظام ورد في الكتاب والسنة. واذا فتحت أي موسوعة فقهية في أي مذهب تجد ان موضوع الرقيق يشغل حيزاً كبيراً منها، وتفصيلاً دقيقاً لشتى احكامه في نظام تقسيم الغنائم. فقد كان ذلك ملائماً لأن المقاتل أو المحارب أو المجاهد هو الذي كان يقوم بتسليح نفسه أو احضار فرسه. أما الآن فان الظروف تغيرت بعد ان وجدت القوات المسلحة التي تجهزها الدولة، كما ان الغنائم ليس في المقدور قسمتها على الجنود فلا يتصور تقسيم ما يغتنم من طائرات ودبابات وصواريخ وسيارات مدرعة الخ.

كذلك تحريم التصوير الذي غدا مستحيلاً لضرورته لجوازات السفر وبطاقات الهوية وفي الاغراض الأمنية والسياسة الاجتماعية والفنية الخ. أيضاً «تحريم سفر المرأة إلا مع ذي رحم محرم». فقد التف الفقهاء المحدثون حول هذا الحكم الصريح وافتوا بالجواز

بمقولة ان السفر أصبح يستغرق ساعات محدودة وربما دقائق معدودة، وان المرأة تكون في رفقة مأمونة في الطائرة أو السيارة أو السفينة. وبالمثل اختفت من من حياتنا عدة أنظمة مثل «الظهار» و «الملاعنة» أو «اللعان» و «الايلاء» و «شركة الوجوه»، إلى غير ذلك من الأمثلة.

اذن ليست كل الانظمة المدنية التي جاءت بها الشريعة قابلة للتطبيق على مر العصور ومع توالي التطورات التي لم تكن متوقعة وقت نزول الوحي وهنا نسارع إلى التأكيد ان هذه التغيرات انما تشمل الفروع. أما الأصول والثوابت وهي العقيدة والعبادات والاخلاق فهذه ليست لبشر ان يغير منها حرفاً واحداً مهما تغيرت الظروف أو استحدثت من مستجدات. فعقيدة التوحيد أزلية أبدية والصلاة والصيام والزكاة والحج لا سبيل إلى التحلل منها أو الزيادة فيها أو النقص منها لأي سبب من الأسباب أو تحت أي مسمى منها. وليس الشأن كذلك بالنسبة للفروع أو «الأنظمة المدنية» فهذه هي التي تكون عرضة للتبديل أو التغيير أو التجاوز إلى ما هو أفضل منها.

والشورى ليست أصلاً من أصول الاسلام أو ثوابته، ومن ثم فاذا وجد المسلمون نظاماً جديداً يحقق مصالحهم ولا يتصادم مع الأصول أو الثوابت في شريعتهم فلا بأس من الأخذ به. ولا يقال في هذه الحالة ان هناك مساساً بالاسلام، بل هو في اعتقادنا تأكيد لشريعته التي ما انزلت إلا لتحقيق مصالح العباد.

ولذلك عندما ننادي اليوم انه قد آن الأوان لـ «نظام الشورى» المدني ان يستقيل ويحل محله «نظام الديمقراطية» الذي هو أنسب للظروف الراهنة لمجتمعات العرب والمسلمين اليوم، خاصة وان النظام الأخير لا يصادم أياً من النصوص المقدسة، بل انه يتفق مع روحها لأنه يحقق مصالح العباد التي عليها مدار الشريعة، عندما ننادي بذلك فهذا النداء لا يعارض الشريعة وليس بدعة. اذا سبقت «الشورى» إلى استقالة الانظمة التي ذكرناها.

وقد يعترض أحد فيقول ولكن الشورى وردت في القرآن الكريم وطبقها السنة العملية. والرد عليه ان بعضاً من تلك الأنظمة التي المعنا اليها جاءت به نصوص من الكتاب أو السنة أو افتى به وفصل احكامه فقهاء الأمة الاثبات ومنهم شيوخ المذاهب الاربعة، بل درجت الأمة على العمل به مئات الأعوام.

عن (النداء) ٢٥ آب



أدوات الصراع وسياق المواجهة

(..) أما الآن وحيث تتكرس الهيمنة الغربية ويندفع الانفراد الامريكي في التأثير على احداث العالم بعد فشل المحاولة الانقلابية الاخيرة في الاتحاد السوفييتي، تثار جملة من التساؤلات الطبيعية حول دور المعارضة العراقية ودرجة استيعابها لضخامة تأثير العامل الدولي على قضيتها لاسيما خلال السنة الماضية وفيما اذا كانت هي قد احاطت بمجموع التغيرات الدولية الآنفة.. ونسقت جهودها في إطار التحرك مع الساحة الدولية على ضوءها وأعطت خطابها السياسي ما يستحق من لمسات يفرضها التغيير المذكور.. وقبل ان ندخل في صلب هذه التساؤلات لابد من القول ان المعارضة العراقية وبالأخص الاسلامية كانت غير مختارة في إسقاط الحوار مع دول العالم وأخذ تأثير العامل الدولي على قضيتها بنظر الاعتبار.. اذ كانت أبواب العالم المؤثرة مغلقة أمامها بحكم المصالح الدولية التي كانت ترى في نظام صدام حسين محققاً أميناً لها.. فهذا الاغلاق المقصود ما كان يجعل من عملية الحوار مع العالم عملية سهلة وممكنة بالاطلاق إلّا انه في نفس الوقت ما كان يلغيها أو يشطب عليها تماماً ويجعلها ضرباً من المستحيل.. وأيضاً ربما تكون المعارضة فاقدة لفرص الاصلاح الداخلية التي يمكن ان تسهل عليها مهمة الحوار أو ان تفتح لها افقاً حوارياً، كالفرصة التي وفرتها الانتفاضة الشعبانية وإيقاعاتها على التفكير العالمي في إطار القضية العراقية.

نقول رغم انعدام الفرص الداخلية الخالقة للأفق الحواري مع الخارج ورغم الطوق الدولي المفروض على المعارضة إلا ان عملية الحوار مع دول العالم لشرح ابعاد القضية العراقية كانت ممكنة لو ان العقل العراقي المعارض كان قادراً على اكتشاف الأساليب

البديلة التي بامكانها ان تفتح ذهنية العالم عليها.. بغض النظر عن نتائج هذا الحوار.

وفي هذا المجال لا يمكن للمرء ان يتجاهل الحواجز الذاتية ـ النفسية للمعارضة التي كانت تحول دون ابداع تفكيرها لاكتشاف أساليب الاثارة التي توجه انظار الساحة الدولية عليها.. وبالتأكيد فان هذه الحالة لا تلغي بعض المبادرات الحوارية مع العالم التي كانت بها بعض اطراف المعارضة في فترة قبل أزمة الكويت والتي كانت تدلك على استيعاب دقيق لدور العامل الدولي من قبل هذه الاطراف.. والدليل الذي يمكن ان يساق في هذا الاطار والذي يثبت ان طوق الحصار العالمي على المعارضة كان بالامكان كسره هو ما حصل للسيد مهدي الحكيم من عملية اغتيال قامت بها مخابرات صدام حسين في السودان.. فما كان هذا الأخير قد خطط لاغتيال السيد مهدي الحكيم لولا إدراكه لأهمية العامل الدولي وحركته الدؤوبة في اتجاهه ومبادراته العديدة التي استفزت اعصاب النظام الحاكم في العراق.. فقرر اغتياله.. والآن وحيث ادركت قوى المعارضة العراقية دور العامل الدولي واجتمعت كوفد رفيع المستوى برئاسة السيد محمد باقر الحكيم مع الأمين العام للأمم المتحدة خافيير بيريز ديكويلار لم يتردد نظام صدام حسين من إبداء إنزعاجه من هذا الاجتماع وتقديم احتجاج رسمي للأمين العام للأمم المتحدة بسبب لقاءه مع الوفد المذكور واذا كان اغتيال مخابرات صدام للسيد مهدي الحكيم وانزعاجه الشديد من لقاء جنيف الأخير يدللان على شيء فهما يدللان على ضرورة ان يتم التعاطي مع الاطراف الدولية من قبل الخط القيادي الأول في المعارضة العراقية. فتصدي الخط الأول يعطي التحرك قيمة أكبر ونتائج أكبر، كما انه ينطوي على أكثر من دلالة اعتراضية وتأثيرية وتوضيحية لابعاد القضية العراقية.

ان الحوار مع العالم الذي يجب ان يقوم على الاحاطة بالسياسات العالمية والتغييرات الكبيرة التي طرأت عليها والذي يجب ان يقوم على أرضية تفاهم متوازنة.. حتى وإن لم يُعطِ ثماراً مباشرة.. فهو بلا شك سيلعب دوراً توضيحياً وتعريفياً هائلاً لابعاد القضية العراقية في ساحة الرأي العام العالمي.. كما انه سيفتح للقضية آفاقاً إعلامية كبيرة لاسيما اذا ما عُرف بأن ساحة العالم الاعلامية لا تتحرك بازرار حديدية.. إنما هي ساحة وان كانت محكومة إلى مجموعة من المبادىء التوجيهية المحسوبة في صياغة القرار العالمي إلاّ ان العقلية المعارضة الذكية بامكانها ان توجد أكثر من فرصة لتحريك قضيتها في الوسط الاعلامي.. سواء كانت هذه الفرصة نابعة من ظروف تنافسية داخلية بين التكتلات السياسية لأي دولة أو من غير ذلك.

وبالتأكيد فإن المردود الاعلامي في العالم له إفرازات سياسية على القضية وله إفرازات في إطار صياغة المواقف العالمية حيال الحدث العراقي.

إن الحوار الذي يعطي المعارضة فرصة أكبر لفهم التفكير العالمي ازاء قضيتنا،

ويثبت للعالم ان المعارضة العراقية تؤمن بمبادىء الحوار مثلما تؤمن باللجوء إلى القوة ضد النظام الارهابي في بغداد. . إن هذا الحوار يجب ان لا يكون مبعثراً بحيث يؤدي إلى نتائج عكسية تخدم الطرف الآخر فقط أو تسهل له عمليات الاختراق لصفوف المعارضة. . بل يجب ان تنظم مبادراته ضمن سياق واحد وخطاب سياسي موحد يؤدي المهام المتوقعة منه.

بقلم: عادل رؤوف

عن (نداء الرافدين) ١٦ ايلول

الانقلاب والديمقراطية

وقف العالم مذهولاً أمام الحركة الانقلابية التي جرت في الاتحاد السوفييتي واستهدفت الاطاحة بالرئيس السوفييتي المنتخب كورباتشوف، وتتبع العالم بقلق شديد النتائج التي يمكن ان تسفر عنها هذه الحركة المغامرة على مصير الديمقراطية والتحولات في الاتحاد السوفيتي وفي بلدان اوربا الشرقية وعلى قضية الديمقراطية وحقوق الانسان في العالم وفي المنطقة.

ان اوساطاً شعبية في المنطقة العربية وفي بلدان العالم الثالث تعاطفت مع الانقلاب من منطلقات الرغبة في عودة الدور الذي كان الاتحاد السوفييتي يضطلع به في دعم نضال الشعوب من أجل حريتها واستقلالها وبغية الحد من انفراد الولايات المتحدة في تقرير مصائر شعوب العالم وفقاً لمصالحها الانانية، وحرصاً على خروج الاتحاد السوفييتي من أزمته الاقتصادية والاجتماعية الحادة التي باتت تهدده بخطر التفتت والزوال.

أما التأييد الذي محضته اوساط حاكمة عربية معينة وفي المقدمة منها النظام العراقي للانقلابيين فيأتي كحصيلة لنهج الحكم الفردي الدكتاتوري الذي يرى في حريات الشعب وحقوقه الديمقراطية تهديداً خطيراً لوجوده.

وبصرف النظر عن النيات الحسنة التي انطلقت منها بعض الحركات والمنظمات السياسية في تأييدها للانقلاب فان ذلك لا ينفي خطأ الركون إلى المنطلقات الذاتية الضيقة في تقويم الاحداث على الساحتين العربية والدولية ويكشف عن مدى القصور عن ادراك أهمية الحريات الديمقراطية والمؤسسات الدستورية المنتخبة بحرية كوسيلة لا غنى عنها

لحل المعضلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لاسيما في منطقتنا العربية.

فالنضال الوطني والقومي المعادي لاهداف الامبريالية وأطماعها في العالم العربي لا يتعارض على الاطلاق مع الحريات الديمقراطية للجماهير ومع الحياة الدستورية واحترام حقوق الانسان، بل هو يفترض مزيداً من الحريات للشعب تمكنه من التعبير عن ارادته الحرة التي هي في آخر الحساب الضمانة الرئيسية لانتهاج سياسة تنسجم والمصالح الوطنية والقومية لشعوب الأمة العربية.

والموقف الذي اتخذته بعض تلك القوى من أزمة الخليج ومن انتفاضة الشعب العراقي التي تفجرت في آذار الماضي من هذا العام كرد فعل طبيعي على هزيمة النظام العراقي عسكرياً وسياسياً واخلاقياً في الكويت وكنتيجة لابد منها لتغييب دور الجماهير العراقية ومصادرة حقوقها وحرياتها الديمقراطية بأشد وسائل القمع الدموية، مثال واضح على التقويم الخاطىء للاحداث.

ومع ان الفشل الذي مني به الانقلاب في الاتحاد السوفييتي لم يحدث بمعزل عن التدخلات غير المقبولة للولايات المتحدة والدول الغربية في الشؤون الداخلية السوفييتية، غير ان الشعب السوفييتي لم يكن ليفرط بالسهولة التي يتصورها الانقلابيون بالمكتسبات الديمقراطية وبالمؤسسات الدستورية التي تحققت خلال السنوات الماضية.

واذ تجدر الاشارة إلى ان الانقلاب اسلوب خاطىء يجب عدم اللجوء اليه لحل المشكلات والصراعات الداخلية، فان الرد السليم عليه هو المضي في التحولات الديمقراطية وتعميقها وليس الانقياد، كما يجري الآن، لارادة الولايات المتحدة في صياغة الوضع الداخلي في الاتحاد السوفييتي بما يتفق وأهدافها. ان اللجوء إلى اجراءات تتعارض مع الحريات الديمقراطية، تحت أية حجة اتخذت ومهما كانت الأسباب والمبررات، كحظر نشاط الحزب الشيوعي السوفييتي سواءً في جمهورية روسيا أو في الجمهوريات السوفييتية الأخرى، يتناقض مع أسس الديمقراطية وقيمها ويعيد إلى الاذهان السياسة المدانة، سياسة احتكار العمل السياسي والانفراد بتقرير مصير الشعب والبلاد.

واذا كان الالتزام بالديمقراطية كان ولا يزال الأمر المعول عليه في حل المشاكل والصعوبات الكبيرة في الاتحاد السوفييتي، فان اعادة الحيوية لحركة التحرر الوطني العربية واحداث انعطاف في الوضع العربي نحو تحقيق أهداف النضال العربي، الوطني والقومي، يتعلق، إلى حد كبير، بادراك ان الديمقراطية أولاً وقبل كل شيء، هي الوسيلة الرئيسية لاستعادة الجماهير العربية لثقتها بنفسها وبقدراتها وبقياداتها، كما انها الوسيلة الوحيدة في تعبئة الجماهير في النضال من أجل تلك الأهداف.

عن (الغد الديمقراطي) عدد ايلول/ ١٩٩١

الاجتياح العسكري التركي والموقف المطلوب

الاجتياح العسكري التركي لمناطق واسعة من كردستان العراق، وما تبعه من مواصلة القوات البرية التركية عملياتها التوغلية داخل العمق العراقي تحت غطاء مطاردة المعارضة الكردية (التركية)، وقرار السلطات التركية من جانبها فقط اقامة حزام حدودي أمني بين البلدين وداخل الأراضي العراقية، تعبر بمجموعها، وبالطريقة التي اخرجت ونفذت، عن خطوات لا مشروعة تتنافى مع الأعراف والقوانين الاقليمية والدولية، فضلاً عن كونها ممارسات عدوانية مرفوضة وطنياً، وعربياً.. ودولياً.. وتكشف من ناحية أخرى عن بداية سياسات مريبة تستعد تركيا لتنفيذها ضد العراق مستغلة الظروف الاقليمية والدولية التي يمر بها، جراء سياسات الحكم الصدامي المتهورة.

فالتحركات التركية الأخيرة مرفوضة وطنياً لأنها تنتهك سيادة العراق وتمس استقلاله ووحدة اراضيه، ومرفوضة عربياً لأنها تمثل اعتداء صارخاً على أرض بلد عربي وشعب عربي وهو ما يتناقض مع طبيعة العلاقات التاريخية الاخوية التي تربط بين الشعبين العربي والتركي، وهي مرفوضة دولياً باعتبار انها تتنافى اصلاً مع ميثاق الأمم المتحدة وقراراتها وقوانينها الدولية التي لا تجيز استخدام القوة في حل الخلافات ولا تبيح احتلال أراضي أي بلد وانتهاك سيادته واستقلاله مهما كانت الأسباب.

ومن المؤسف حقاً ان يحصل تقصير ـ أو قصور ـ كبير في المواقف الوطنية والعربية والدولية المعلنة ازاء حدث الاجتياح التركي لكردستان العراق الذي يشكل في مضامينه خرقاً للنظام الاقليمي والدولي الذي يراد تأسيسه في العصر الحالي.

وطنياً، تميزت مواقف المعارضة العراقية ـ عدا التيار الاسلامي وبعض الفصائل الأخرى ـ بالكثير من التسيب واللامبالاة ازاء هذا العمل اللامشروع، وكأنها غير معنية لا من قريب ولا من بعيد بسيادة العراق واستقلاله ووحدة أراضيه، رغم حقها الكامل ومسؤوليتها التاريخية في الوقوف ضد هذا العدوان فضلاً عن شجبه واستنكاره..

عربياً، اتسم الموقف العربي ـ باستثناء سوريا ـ باللامبالاة أيضاً وعدم الشعور بالمسؤولية القومية ازاء هذا الحدث الخطير وكأن خلافات الانظمة العربية مع النظام الصدامي أو افتقاد العراق للنظام السياسي القادر على حماية سيادة واستقلال البلد تبيح له السكوت والصمت ازاء احتلال تركي واضح للأراضي (العربية) العراقية، بل ان البعض من المواقف الاعلامية اتسم بالتشفي بالعراق وشعبه..

دولياً، لم تخرج المواقف المعلنة عن الشكلية في الاحتجاج، والرسمية في التعاطي مع الاحتلال، واقتصر دور منظمة الأمم المتحدة على دعوة الحكومة التركية «لضبط النفس» و«سحب» قواتها من الأراضي العراقية.

اننا نعتقد ان ما أقدمت عليه القيادة التركية وما نتج عنه لحد الآن، هو حدث نوعي في مفاعيله ومداليله، ويستبطن الكثير من معاني التحديات الخطيرة ضد سيادة واستقلال العراق ووحدة أراضيه.. لذلك، فليس من المعقول ابداً ان يستمر هذا الحدث ويتطور ويتحرك باحتمالات مفتوحة دون مواقف حازمة وحاسمة تحفظ العراق وتصونه من أمثال هذه التحديات الاستراتيجية وتشدد الدعم والمساندة لجهاد شعبنا العراقي الأبي وهو يخوض معركته الفاصلة مع النظام، معركة الخلاص من الدكتاتورية وافرازاتها، معركة العودة بالعراق إلى الحياة الديمقراطية التي في ظلها سيتم تأسيس النظام البديل الذي يختاره الشعب بملء حريته وارادته.

عن (البديل الاسلامي) ٢٩ آب

الحركة الاسلامية.. وتداعيات حرب الخليج

صادق الركابي

تعتبر حرب الخليج أو أزمة الكويت واحدة من الأحداث الفاصلة في تاريخ المنطقة، وستترك آثاراً على عموم المنطقة، ان لم تمتد حتى إلى النظام العالمي كله. والحركة الاسلامية واحدة من الوجودات التي تفاعلت وانفعلت بالأزمة، وستترك الأزمة بصماتها عليها..

ترى ما هو موقع الحركة الاسلامية في ترتيبات ما بعد حرب الخليج؟ وما هو حجم الربح أو الخسارة التي لحقت بالحركة الاسلامية من جراء هذه الحرب؟

تعد الحركة الاسلامية فاعلاً أساسياً في المجتمع العربي والاسلامي، وعلى الرغم مما تعرضت له طوال العقد المنصرم، فانها استطاعت البروز على سطح الاحداث. وان تكون المستقطب الأساسي للجماهير المحرومة والمضطهدة. حتى أصبحت الحاكم

الفعلي للشارع في أكثر من بلد اسلامي فيما بقيت الانظمة الحاكمة هناك صاحبة اليد على قوات الشرطة والقمع.

وكان بمقدور الحركة الاسلامية ان تكون الفاعل الوحيد بعد أزمة الخليج، إذ ان هذه الأزمة التي افتعلت من قبل نظام عربي ضد آخر، ولم تجد حلها إلاّ عبر استدعاء مئات الالوف من الجنود الاميركان وغيرهم ليخوضوا حرب تحرير بلد عربي من قوات نظام عربي آخر. ولكنها (الحركة الاسلامية) لم ترق إلى مستوى الطموح.

ان أزمة الخليج كشفت طبيعة العلاقات بين الانظمة العربية، وحجم العجز الذي تعيشه هذه الانظمة حتى بالدفاع عن نفسها. وحجم التحكم الغربي بمصائر الكثير من الانـظمة بعيداً عن كل ادعاءات السيادة واستقلال القرار السياسي، وهشاشة المحاور-التجمعات الاقليمية التي تنتظم فيها هذه الانظمة.

ان أزمـة الخليج شكلت هزيمـة لا للانـظمة العربية فحسب، وانما للانتلجنسيا (النخبة المثقفة) العربية كذلك بكل مداعياتها العريضة وتنظيراتها الواسعة وفكرها التبشيري

توظف هذه الهزيمة لصالحها، وان تضيف نقطة أخرى إلى نقاطها فيما لو احسنت التعامل مع الحدث، ولكن أزمة الخليج لم تأت لصالح هذه الحركة لأمرين:

- الأول: اخطاء الحركة الاسلامية:

لقـد أخـطأ الكثير من قيادات الحـركـة الاسلامية في تشخيص الموقف من أزمة الخليج، وتحت ذريعـة محـاربـة الولايات المتحدة الاميركية والغرب الكافر وقفت هذه القيادات إلى جانب مجرم الحرب صدام، وراحت تتحرك من أجل توفير الدعم له، حتى سماه البعض بصلاح الدين وسماه آخرون بالأخ المجاهد!!

وقد ارتكب هؤلاء ثلاثة اخطاء:

الخطأ الأول انهم وقفوا ضد مبادئهم الاسلامية التي يدّعون الدفاع عنها من خلال وقوفهم إلى جانب نظام حارب الاسلام والمسلمين طوال سني حكمه البغيض، ولا زالت يداه تقطران من دماء خيرة دعاة الاسلام ومفكريه، فيما تكتض سجونه بالموحدين.

الخطأ الثاني: انهم وقفوا إلى جانب نظام معتدٍ غزا مسلمين ابرياء في عقر دارهم، وأخذ ينهب ممتلكاتهم ويخرب دورهم ويعتقل شبابهم.

الخــطأ الثـالـث: وهـو خطأ سياسي، وذلـك من خلال وقـوفهم إلى جانب نظام دكتاتوري، فبغض النظر عن الاسلام ومبادئه، فان هذه الحركات التي تعاني من القمع وغياب الحرية، ينبغي ان تدافع عن الحرية كقيمة انسانيّة، وبالتالي فانها يجب ان تقف ضد كل نظام قمعي تسلطي سواء كان في العراق أو في اميركا اللاتينية لكي تثبت هذه

الحركات انها فعلاً تدافع عن الشعوب وحقها في حرية الرأي والمعتقد. اما ان تقف إلى جانب نظام قمعي، وتسكت على كل انتهاكاته لحقوق الانسان بما في ذلك عمليات الابادة الواسعة وتشريد أكثر من مليوني عراقي في ظروف بالغة القسوة، وترى امكانية تبرير مثل هذه الممارسات البربرية، فلماذا اذن تعترض على ما يلحقها من مطاردات أو سجن أو تشريد؟

ان القمع لا يمكن ان يُقبل ضد شعب ويرفض ضد آخر، فاما ان ترفض كل المبررات التي تطرح لتبرير القمع في كل مكان، واما ان تقبل كذلك في كل مكان.

الخطأ الرابع: وبعيداً عن الايديولوجيا أو السياسة وبحساب واقعي فقط فان هذه الحركات راهنت على معركة خاسرة بكل المقاييس، وبالتالي فانها يجب ان تدفع ثمناً لرهانها الخاسر ومن الطبيعي ان لا تقتصر آثار الهزيمة على نظام صدام وحده، وانما تمتد لتشمل جميع الذين وقفوا إلى صفه.

ان الموقف الذي وقفته الكثير من الحركات الاسلامية من أزمة الخليج لا يمكن تبريره بالوقوف إلى جانب الشعب العراقي المسلم، اذ ان الوقوف إلى جانب هذا الشعب لا يستدعي الوقوف إلى جانب جلاده، وانما يستدعي التمييز بين الجلاد والضحية. ثم ان الايام التي تلت الحرب اثبتت كذب هذا الادعاء، فبعد ان وقفت الحرب وانتفض الشعب العراقي ضد الجلاد للاقتصاص منه لما جرّه عليه من كوارث وهزائم، ورد النظام المهزوم ـ أمام اميركا ـ على الشعب بكل قسوة، لم نسمع صوتاً واحداً لهذه الحركات دفاعاً عن الشعب العراقي المسلم.

واما ان الوقوف ضد اميركا هو الذي دفع هذه الحركات لهذه المواقف، فهذا ما نتمناه من كل أعماقنا، ونأمل ان يظهر اثر هذا الموقف في فكر وممارسات هذه الحركات على طول الخط وان لا تؤثر المصالح على الموقف المبدئي (...)

عن (الموقف) ٢٩ آب

ما المطلوب: وحدة المعارضة العراقية أم تعدد مراكزها؟

أجل: ما المطلوب؟ أوحدة المعارضة العراقية في هذه اللحظات التاريخية الحاسمة أم تعدد مراكزها؟

وُلِدَ هذا السؤال في لندن، عندما زار وفد من التجمع الديمقراطي العراقي العاصمة البريطانية في نهاية تموز وبداية آب ١٩٩١ للالتقاء بتجمعات المعارضة العراقية هناك، ومواصلة الحوار معها بعد اللقاءات التي تمت في إطار مؤتمر بيروت، وكذلك استمزاج آراء الديمقراطيين تنظيمات وشخصيات في عملية توحيد الحركة الديمقراطية العراقية، وأقام التجمع لهذا الغرض ندوة سياسية عامة في ٢٦ تموز حظيت باهتمام الوسط السياسي العراقي المقيم في لندن طرح فيها الاستاذ صالح دكله سياسة التجمع ازاء وحدة المعارضة العراقية (يجد القارىء نص محاضرة سكرتير اللجنة المركزية للتجمع الديمقراطي العراقي في مكان آخر في العدد)، وقد أجاب المحاضر عن تساؤلات الحاضرين وعقّب على مداخلاتهم وشارك في ذلك د. مجيد الراضي. كما أقام «المنتدى العراقي» في لندن ندوة فكرية للدكتور مجيد الراضي في ١ آب. هذا اضافة إلى الاتصالات الكثيفة مع «اتحاد الديمقراطيين» التي أسفرت عن بيان مشترك منشور في موقع آخر من الجريدة، وعن سعي جدي للوحدة، والتقى الوفد بشخصيات سياسية مستقلة، وحضر ندوة أقامها الوفاق الوطني للاستاذين أديب الجادر ونوري عبد الرزاق. وقد طرحت في هذه الندوة على الخصوص فكرة «تعدد مراكز المعارضة العراقية».

ومع ان التجمع الديمقراطي كان قد أبدى رأيه على لسان سكرتير لجنته المركزية الاستاذ صالح دكله في هذه القضية الهامة، إلا اننا نجد من المناسب ـ لأهمية الفكرة ـ التطرق اليها على صفحات «الغد الديمقراطي» لكي تكون موضع نقاش أكثر هدوءاً وعمقاً.

ان مبرر القول بتعدد مراكز المعارضة العراقية ينطلق من تكريس اللحظة الراهنة في تشتت المعارضة وتضارب الآراء في أوساطها، وخاصة بعد انفراد الحركة القومية الكردية في التفاوض مع حكومة صدام حسين في بغداد دون تشاور مسبق مع «لجنة العمل المشترك»، مما عُدَّ خروجاً على الاجماع الذي توصل اليه مؤتمر بيروت في آذار ١٩٩١.

كان قرار الحركة الكردية مفاجئاً للجميع، ولكن ردود الفعل ازاءه تباينت إلى حد كبير: بين التحفظ والشجب المطلق، بين النقد الموضوعي الذي لا يريد القطع مع الحركة القومية الكردية باعتبارها أحد الأركان الأساسية لحركة المعارضة العراقية مع الاقرار بخطورة الخطوة التي أقدمت عليها القيادة الكردية بما تنطوي عليه من امكان لامداد الحكومة الصدامية بشيء ولو ضئيل من الشرعية الدولية بعد أن فقدتها تماماً، وبما تقدمه لها من دعم مادي ومعنوي بمعزل عن ارادة الطرف الكردي المفاوض، وبين الشجب والادانة والمطالبة بعقد مؤتمر مستعجل للمعارضة العراقية يستثني الحركة القومية الكردية ويضعها خارج إطار المعارضة العراقية بما يترتب على ذلك من دفع باتجاه التقاء «غير شرعي» بين القيادة الكردية وحكومة بغداد المدانة من الشعب العراقي بفعل انتفاضة آذار ١٩٩١ الجبارة، وكذلك من الرأي العام العالمي والمجتمع الدولي المتمثل في الأمم المتحدة ولاسيما مجلس الأمن.

وفي هذه الاجواء المتوترة غادر وفد «الوفاق الوطني» «والمجلس العراقي الحر» الاجتماع الموسع (دمشق) الذي دعت له «لجنة العمل المشترك» وصدر عنه بيان يدعو - بين أشياء أخرى - إلى عقد مؤتمر للمعارضة العراقية «لتقييم الحاجة لتشكيل مجلس وطني ولجان ومكاتب متخصصة خلال فترة لا تزيد على ستة أشهر». وتلاحقت الاحداث سراعاً فتكونت في لندن لجنة للاتصال تعبر عن رأي ست منظمات سياسية معارضة وشخصيتين مستقلتين. وكانت مهمة هذه اللجنة ولا تزال الدعوة لفكرة «تشكيل لجنة تحضيرية تقوم بالاعداد السياسي والتنظيمي لمؤتمر عام للمعارضة العراقية» (انظر: الديمقراطي العدد في الثالث والرابع في ٢٥ تموز ١٩٩١ - لندن).

كان رأي التجمع ولا يزال ان قيام «لجنة الاتصال» لا يساعد على خلق الاجواء الملائمة لتوحيد المعارضة العراقية. وهو أحد الاهداف الرئيسة التي أعلنت أثناء التحضير لمؤتمر بيروت وخلال انعقاده، بل ان انعقاد مؤتمر بيروت بالشكل الذي انعقد فيه انما هو أحد ثمرات هذا السعي للتوحيد الذي تألفت من أجله لجنة سباعية تتكون من «الامانة العامة للجنة العمل المشترك» (خمسة اعضاء) وممثلين أحدهما عن الوفاق الوطني وثانيهما عن المجلس العراقي الحر. ويبدو ان عمل اللجنة قد تلكأ لاسباب منها ما هو معروف، ومنها ما هو خفي. فهل هذا مبرر كاف لتكوين محور جديد بعد بدء السعي الجدي لاستقطاب كل مفردات ساحة المعارضة العراقية كبيرها وصغيرها، وبعد سقوط الحواجز الواحد تلو الآخر؟

لقد قيل الكثير حول هيمنة القوى الأساسية في «لجنة العمل المشترك»، وحول محاولات العزل السياسي من جانبها، وحول تركيبتها، وكذلك حول مفهوم التيارات

السياسية وحول تمثيلها في الامانة العامة. وكان جواب التجمع هو ان كل هذه الآراء والأفكار ينبغي دراستها بتأنٍ وامعان الفكر فيها والتخلص من رواسب الماضي سواء في تركيب اللجنة أو أساليب عملها، ولكن كل الثغرات والعيوب لا تبرر محاولة شل عمل «لجنة العمل المشترك» أو الادعاء بأنها طرف مساوٍ من حيث الوزن والنوع للاطراف الأخرى على الساحة العراقية مجتمعة أو منفردة.

وفي ندوة الوفاق المارة الذكر توجه التجمع بسؤال محدد للاخوة المشاركين فيها والمساهمين في المناقشات: ما هو الموقف من توحيد الجهود لعقد مؤتمر موحد للمعارضة العراقية لا يستثني أحداً؟ وجاء الرد سلبياً. وهذا يعني ان الاخوة في «لجنة الاتصال» يرون في أنفسهم القدرة على تمثيل المعارضة العراقية أو أغلبيتها المؤثرة. اننا اذا كنا قد شجبنا أية محاولة مفترضة (من الأكثرية) لعزل أية قوة من القوى السياسية المعارضة على الساحة العراقية، فاننا ـ من باب أولى ـ لا نقر أي مسعى لعزل قوى سياسية أساسية على الساحة العراقية تحت أية ذريعة جاء هذا المسعى، أو لأي غرض كان. ورأينا هو ان تصحيح خطأ بخطأ آخر ليس طريقاً قويماً للوصول إلى الأهداف المرجوة. ونأمل ان يجلس الجميع لدراسة هذه الحالة بروح عالية من الشعور بالمسؤولية ازاء محنة شعبنا. واذا كنا لا نستطيع التوصل إلى اتفاق عام ونحن في المعارضة، فهل يتوقع شعبنا منا ان نتفق بعد سقوط الدكتاتورية الدموية؟

ان مصداقية المعارضة العراقية تكمن في وحدتها ـ مهما كان الطريق اليها وعراً ـ لا في تعدد مراكزها، فهذه المراكز قائمة منذ ان وجدت المعارضة العراقية في الخارج، ومنذ ان اتسعت لأسباب مختلفة ومنذ ان أصبح الانشطار والتشظي هو الظاهرة الأكثر بروزاً فيها. ونحن لا نضيف جديداً اذا قبلنا فكرة المراكز أو المحاور وعملنا على تبريرها. فالحاجة اليوم ماسة لوحدة المعارضة العراقية سواء فيما يتعلق بتطوير أساليب عملها في مواجهة النظام الصدامي على الصعيد الداخلي أو العربي أو العالمي، واعطاء شعبنا والعالم العربي أجمع صورة ايجابية عن المعارضة العراقية الساعية لاسقاط الدكتاتورية وتقديم البديل الملائم للظروف الراهنة، وهو على أية حال ينبغي ان يكون بديلاً ديمقراطياً يستند إلى ارادة الشعب العراقي. وفي هذا المضمار يتحدد التنافس على كسب ثقة الجماهير الشعبية لصالح البرامج السياسية للقوى والاحزاب والائتلافات السياسية ان وجدت.

ان البحث الجدي عن القاسم المشترك ـ وهو موجود موضوعياً في الحالة الراهنة، انما هو بداية الطريق. ثم يليه من حيث الأهمية تحديد الأساليب الناجعة للوصول إلى الهدف وتمكين الشعب من حكم نفسه بنفسه لأول مرة في تاريخ العراق المعاصر. وهي مسألة في غاية التعقيد. ولا تزال الادعاءات ـ الطويلة العريضة ـ تقف حائلاً أمام الوصول

إلى نقطة التوحيد التي تكون عادة المركز الذي ينطلق منه الجميع لتحقيق الهدف المنشود. ومحاولة الابقاء على الانقسامات القائمة وتبرير اقامة محاور جديدة أو احياء محاور قديمة ليست سوى عمل يخدم ـ بصرف النظر عن النيات والمقاصد ـ النظام الاستبدادي الدموي الجاثم على صدر شعبنا المثخن بالجراح بما يولده من شعور باليأس لدى كل المخلصين لقضية شعبنا العادلة في التحرر والديمقراطية والتقدم الحضاري.

ومن هنا رفضنا ونرفض فكرة العزل السياسي وتكريس المحاور أو انشاء المحاور الجديدة، وآثرنا العمل على توحيد المعارضة في هيكل عام ذي علاقات ديمقراطية ما بين أطرافه يحفظ للجميع الاستقلال التنظيمي والسياسي والفكري، وحرية الحركة بما يعود على المعارضة العراقية كلها بالنفع.

هيئة تحرير الغد الديمقراطي
أواخر آب

قرار توحيد الجهد العسكري العراقي المعارض

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد التوكل على الله واعتماده في تأليف القلوب وجمع الصفوف في هذا الظرف القاتل الجائر بكل قواه على شعبنا المظلوم الجريح في العراق والمستخف بقدرات الأمة وتطلعات الجماهير البائسة لنيل حريتها وكرامتها واستقلالها في هذه المرحلة من عمر التاريخ حيث شاء القدر ان تمر قضية العراق من بين منحنياته المتقاطعة الملتوية كماً وكيفاً وفق احدث الابتكارات السياسية المحفورة المتضاربة والقاطعة منافذ التفكير على بني البشر الغارق في هموم قضية العراق من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب كل من موقعه ارتفاعاً وانخفاضاً، مرة متفاعلين تظاهراً، وبأسم البائسين من شعب العراق مستنكرين على الطاغوت اجرامه بحق شعبه، وأخرى ناكسين على أعقابهم بذرائع شتى وبين هذا السبب وذاك تفرز الحقائق ويوحى للخيرين من أبناء العراق الاحرار الشرفاء بأهمية التوكل والتفاعل المستميت لانقاذ الشعب والأمة في العراق، ولكن في هذه المرة ليس من خلال امنيات حرب الخليج الأولى التي دامت ٨ سنوات على حساب طاقات الأمة، ولا من خلال حرب

الخليج الثانية التي استنزفت كل العراق بفعل الحاكم المعتوه. بل في هذه المرة أصبح دور الحسم بعون الله من خلال شعب العراق وجيش العراق الغيور الشهم وقادته الاباة الرافضين لكل أنواع التعسف والذل والعبودية والمتضافرين في الداخل والخارج لتنضيج فجر العراق المشرق في ربوع الرافدين الحبيب ان شاء الله.

انطلاقاً من هذه الحقائق وتثميناً وتسديداً لجهاد وكفاح المعارضة العراقية في الداخل والخارج من جوانبها الفنية واختصاصاتها العسكرية، وتأكيداً لدور الاخوة العسكريين المعارضين الاحرار وعهدهم المقطوع مع شعبهم في صون الحقوق وحماية عز الوطن بقانون الخدمة المسلحة وشرف الجندية الثابت، تم الاتفاق بعون الله على ما يلي:

١ ـ ائتلاف الجناح العسكري للهيئة العراقية المستقلة بقيادة اللواء الركن حسن مصطفى النقيب وحركة الضباط العراقيين المتمثلة بلجنتها التنفيذية المشخصة بالعميد قوات خاصة أشرف البو صالح.

٢ ـ الشروع بتشكيل لجنة عسكرية مشتركة من ضباط كلا الطرفين للقيام بتهيئة وتنظيم العمل العسكري المقاوم للنظام.

٣ ـ السعي لعقد مؤتمر عسكري قيادي للضباط العراقيين المعارضين وباسم جميع الفصائل المعارضة بقصد توحيد الجهد العسكري وتشكيل هيئات الركن القيادية المسلحة الممثلة لجميع أطراف المعارضة العراقية.

٤ ـ السعي لتأسيس نواة مشتركة للقوات المسلحة الوطنية المجاهدة وتنظيمها واعدادها للمساهمة في عملية الثورة والاطاحة بنظام الدكتاتورية المجرم في العراق.

لذا نهيب باخوتنا العسكريين في كل مكان، ومن خلال هذا التوجه لتوحيد الكلمة المقاتلة لدرء الحدث العظيم الذي يتربص بالعراق الدوائر بين الحين والحين وندعوهم باسم العراق للتفاعل والمساهمة مع هذه المبادرة الخيرة في سبيل الوطن العزيز وشعبه المظلوم.

ـ ومن الله التوفيق ـ وهو غالب على أمره.

اللجنة العسكرية المشتركة/ عنهم:

العميد ق. خ اشرف البوصالح. العميد فارس ابو حمزة.
العميد عبد العزيز الياسري. العميد الركن نزار عبد الصاحب.
اللواء الركن حسن النقيب.

نسخة إلى: لجنة العمل المشترك للمعارضة العراقية (الامانة العامة)

١٩٩١/٨/١٦

غزو الكويت وحقوق الانسان

مداخلة
رئيس المنظمة العربية لحقوق الانسان
أديب الجادر
تحت البند ٦ «مسألة انتهاك حقوق الانسان والحريات الأساسية. . .»

السيد الرئيس

لقد كان العام الذي مضى منذ اجتماع لجنتكم الفرعية الأخير عام محنة الحقوق الجماعية في الوطن العربي اضافة إلى الانتهاكات الفردية والتقرير السنوي لمنظمتنا يشير إلى أهم هذه الانتهاكات.

فقد واصلت اسرائيل تحدي الشرعية الدولية في حرمان الشعب الفلسطيني من تقرير مصيره وفي حقه في العودة إلى وطنه. ولم تتحرك الولايات المتحدة الامريكية لتطبيق الشرعية الدولية كما فعلت حين تعرض الشعب الكويتي لفقدان استقلاله وحقه في تقرير مصيره.

وكان تصاعد معدلات هجرة اليهود السوفييت وتوطين بعضهم في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ وزيادة المستوطنات انتهاكاً خطيراً جديداً لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وعقبة كأداء في طريق السلم والأمن في المنطقة.

وخلق الغزو العراقي للكويت حالة من الاضطراب واسعة النطاق في العديد من بلدان المنطقة، وشهدت المنطقة أكبر حركة نزوح وطرد في تاريخها الحديث وفَقَدَ مئات الآلاف من العاملين والمواطنين العرب والاجانب حقوقهم.

واضافت حالة الحصار الاقتصادي المفروضة على العراق والكويت أثناء الغزو تهديدات جوهرية بالمجاعة في البلدين..

كما حاول الحكم العراقي طمس الهوية الوطنية الكويتية بمصادرة جوازات السفر وبطاقات الهوية الكويتية واحراق السجل المدني الكويتي وحاول أيضاً تغيير الطبيعة الديموغرافية للسكان وشمل ذلك عمليات ترحيل قسرية للعديد من الكويتيين.

وكان أبرز الانتهاكات بالنسبة للكويت وبلدان المنطقة هو حرق آبار النفط الكويتية قبيل انسحاب القوات العراقية.

ومن المؤسف ان انتهاكات جماعية حصلت في الكويت بعد التحرير ضد العراقيين والفلسطينيين والاردنيين واليمنيين وصدرت احكام لم تستوفي الاجراءات القضائية السليمة ولكن النظام الكويتي الغى الاحكام العرفية مؤخراً وحول كل القضايا إلى المحاكم العادية كما بدّل احكام الاعدام التي صدرت مؤخراً إلى السجن المؤبد.

وأعلن النظام الكويتي عن اجراء انتخابات عامة في اكتوبر ١٩٩٢ وهي بادرة طيبة رغم ان الموعد جاء متأخراً وكان بالامكان اجراء الانتخابات في موعد أقرب لاسيما وان الفترة المقبلة ستشهد اتخاذ قرارات مصيرية تتعلق بالاقتصاد الكويتي والأمن والسلم في المنطقة.

وقد آن الأوان لتعديل قانون الانتخابات ليسمح للمتجنس وللمرأة بحق الترشيح والانتخاب كما يجب ان يعطي نفس الحق لمن يسمون «البدون» وهم اناس ولدوا وعاشوا واباؤهم في الكويت ولا يحملون أي جنسية.

وربما كانت حالة الشعب العراقي هي الاتعس بين شعوب المنطقة. فبعد معاناة دامت ٢٢ عاماً من الحكم الشمولي القمعي الذي استولى على السلطة بانقلاب عسكري عام ١٩٦٨ وبعد انتهاكات مستمرة وجسيمة لحقوق الانسان، وكان أبشعها استخدام الاسلحة الكيمياوية ضد السكان الآمنين، قام هذا النظام بغزو الكويت.

ثم جاءت الحرب في السابع عشر من يناير ١٩٩١ باسم الشرعية الدولية لتضيف عشرات الآلاف من القتلى ومئات الآلاف من المعوقين والجرحى من العراقيين، كما دمرت البنية الاقتصادية والاجتماعية في العراق وبضمن ذلك الماء والكهرباء والمجاري والجسور والطرق والمواصلات السلكية واللاسلكية.

لقد دمرت الحرب ٩٦٪ من طاقة توليد الكهرباء ولم يستطع العراق بعد مرور أربعة أشهر على انتهاء الحرب من اصلاح أكثر من ٢٢٪ من تلك الطاقة. أي ان الطاقة الانتاجية لتوليد الكهرباء تعادل الآن ما كانت عليه عام ١٩٢٠.

ويبقى السؤال الكبير لماذا يحرم السكان المدنيين من الماء والكهرباء ولماذا دُمرت الطرق والجسور؟ لقد أشاعوا ان الجيش العراقي هو رابع أقوى جيش في العالم لكي يبرروا تدمير دولة بأكملها بقطاعيها المدني والعسكري.

وبعد كل هذه المآسي التي عاناها الشعب العراقي الشهيد، عاد النظام مرة أخرى (بعد الحرب) وعلى اثر حركة احتجاجات أهلية في جنوب العراق وشماله يستخدم القتل والعنف والتشريد والتدمير للقضاء على هذه الاحتجاجات. ان الوقت مناسب الآن للأخذ باقتراح منظمة العفو الدولية بانشاء جهاز دولي يتولى الرصد الميداني لوضع حقوق الانسان في كل محافظات العراق تحت اشراف الأمم المتحدة. ويجب على منظومة الأمم المتحدة

ان تتوسع في معوناتها الانسانية لتشمل كل المستضعفين من فقراء ونساء واطفال واقليات.

ورغم ان آخر تقديرات اضرار الحرب على العراق كما جاء في دراسة The Christian Science Monitor ليوم ٩١/٦/٢٦ بلغت ١٧٥ , ٢٧٠ بليون دولار ورغم ان العراق كان مديناً يوم ٩٠/٨/٢ بمبلغ ٤٢ بليون دولار اضافة إلى ديونه للبلدان العربية، فان مجلس الأمن فرض على العراق المفلس اقتطاع ٣٠٪ من قيمة صادراته وهي النفط أساساً في حالة السماح له بالتصدير، تعويضاً للدول التي تضررت من الحرب.

ونسيت الدول العظمى انها هي التي سلحت هذا النظام وقبضت قيمة السلاح بلايين الدولارات وهي اليوم وبعد ان دمرت قسماً من هذا السلاح تريد ان تدمر الباقي وان تقوم هي بالتدمير وتقبض ثمن التدمير أيضاً والذي يقدر بمئات الملايين من الدولارات.

وكما اعادت حرب القوات المتحالفة بقيادة الولايات المتحدة الامريكية العراق إلى ما قبل العهد الصناعي كما جاء في التقرير الشهير لاهتساري نائب الأمين العام السابق للأمم المتحدة، فان النظام الاستبدادي قد اعاد العراق إلى القرون الوسطى في قوانينه المعادية للحريات والمنافية للشرعية الدولية.

فمشروع الدستور العراقي والذي نشر قبل ثلاثة أيام من غزو الكويت ينص على وجوب نشر القوانين في الجريدة الرسمية ثم يردف «ما لم ينص فيها على خلاف ذلك». فهل هنالك دولة في العالم المتحضر لا تنشر قوانينها ليطلع عليها المواطنون؟

كما حظر مشروع الدستور الجديد تأسيس الاحزاب السياسية والجمعيات والنوادي التي تقوم على أساس «زج الدين في السياسة أو الالحاد أو الطائفية أو الاقليمية أو الشعوبية» وفرض شروطاً سياسية على الترشيح للمجلس الوطني أو مناصب الحكم المختلفة. منها ان يكون المرشح مؤمناً بمبادىء ثورة ١٧ تموز وهو الانقلاب العسكري الذي جاء بالنظام إلى الحكم عام ١٩٦٨ وان تكون اسهاماته في «قادسية صدام المجيدة» فعالة ومتميزة وان يكون مؤمناً بأن قادسية صدام المجيدة «قد عززت بالمجد هام العراق والأمة العربية». وان يكون مؤمناً بالاشتراكية وذا سلوك اشتراكي. وان يكون غير محكوم عليه في جريمة التآمر على ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ أو على نظام حكمها أو محاولة قلب ذلك النظام. وهي أحكام قيمية تتنافى والاختيار الديمقراطي للقيادات.

كما يحظر الدستور على الاحزاب - عدا حزب البعث - العمل السياسي أو الحزبي في القوات المسلحة وقوات الأمن وهو تقنين للتمييز بين المواطنين تحاول جنوب افريقيا الآن التخلص منه.

هذه وغيرها من القيود اللامعقولة يسميها النظام الشرعية الدستورية وتداول السلطة على أساس التعددية الفكرية والسياسية.

وحين سيسمح للشعب العراقي التعبير عن نفسه في انتخابات حرة وبمراقبة الأمم المتحدة ومنظمات حقوق الانسان غير الحكومية، سيستخدم الشعب حقه الاصيل في محاسبة المسؤول عن هذه الكارثة، كما سيطالب الشعب العراقي هذه المرة بالتعويضات من الدول العظمى التي سلحت النظام العراقي ثم جرته إلى المصيدة.

ان القرار ٦٨٧ بمواده الـ ٣٤ تَدَخُل في صميم السيادة العراقية لدرجة لم يسبق لها مثيل في تاريخ العلاقات الدولية ومجلس الأمن ولكن شيئاً مهما تجاهله القرار وهو حقوق الانسان والديمقراطية للشعب العراقي.

والمادة ١٤ من نفس القرار تتكلم عن تدمير الاسلحة العراقية كخطوة هدفها انشاء منطقة في الشرق الاوسط خالية من اسلحة الدمار الشامل. ولكي نصدق ان هنالك شرعية دولية وان هنالك نظام دولي جديد ترجو منظمتنا ان تطبق هذه المادة فعلياً على كل دول الشرق الاوسط وان لا تكون أبرز مكونات هذا النظام هو نزع سلاح العرب ومكافئة اسرائيل.

«قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين» سورة النمل ٢٧

صدق الله العظيم

١٢ أوت ١٩٩١





لوحتا الغلاف للفنان الكردي سالار مجيد

السعر ديناران